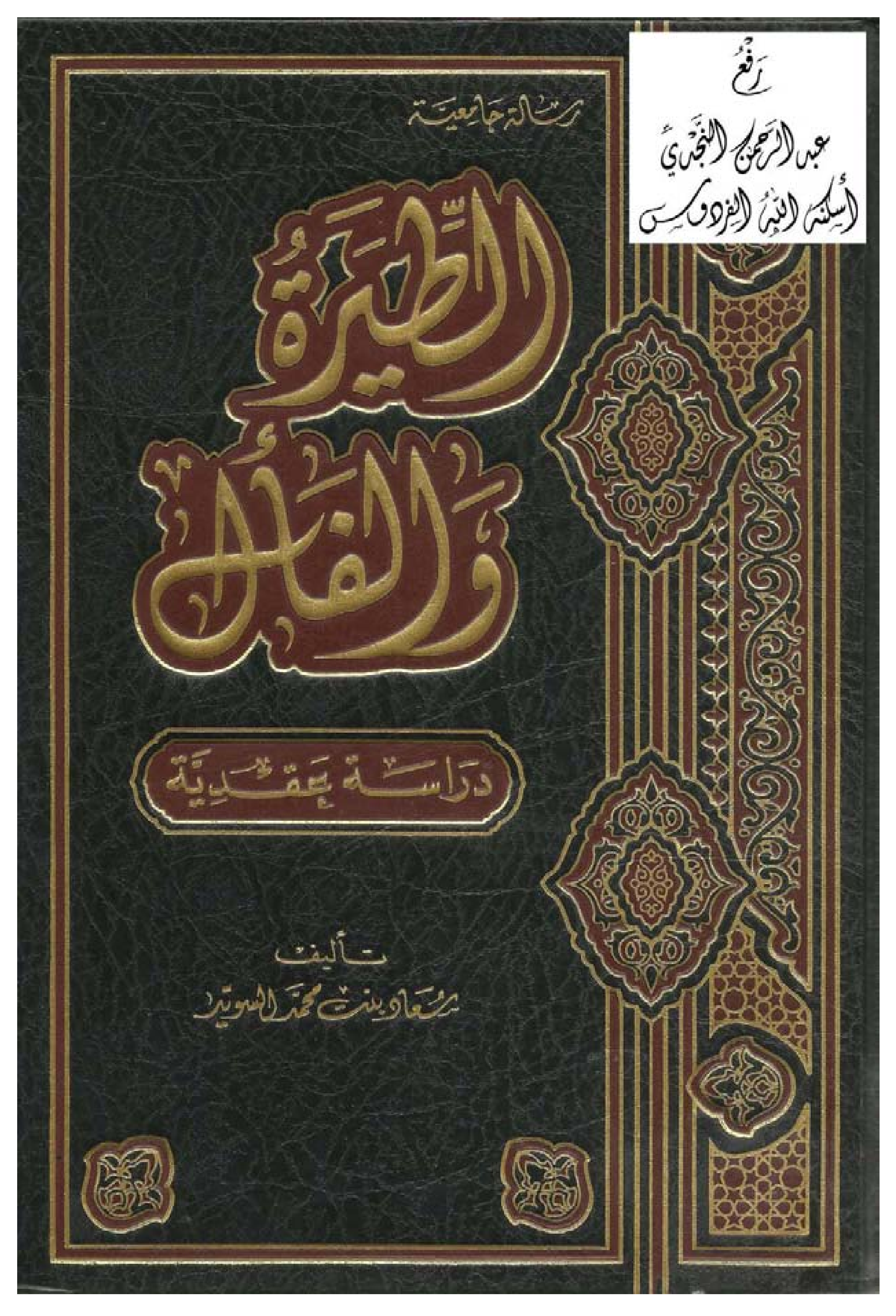


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
رسالة جامعية
الطيرة والفأل
دراسة عقدية
تأليف
سعاد بنت محمد السويلم

الطِّيَرَةُ والفَأْلُ

دراسة عقدية

ح سعاد محمد السويد، ١٤٢٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السويد، سعاد محمد
الطيرة والفأل : دراسة عقدية. / السويد ، سعاد محمد .-
الرياض، ١٤٢٤هـ
٢٨٨ص؛ ١٧×٢٤سم
ردمك: ١ - ٨٢٠ - ٤٣ - ٩٩٦٠
١- العقيدة الإسلامية ٢- التشاؤم ٣- التفاؤل أ.العنوان
ديوي ٢٤٠ ٦٩٦/ ١٤٢٤

الطبعة الأولى
ربيع الأول ١٤٢٤

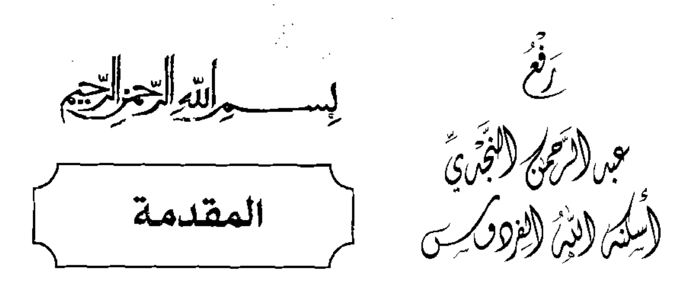
رسالة جامعية

الطيرة والفأل

دراسة عقدية

تأليف
سعاد بنت محمد السويد

رسالة حصلت بها المؤلفة على درجة
الماجستير من كلية أصول الدين بالرياض
- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بإشراف
د. محمد بن إبراهيم العجلان.
وكيل كلية أصول الدين بالرياض.



المقدمة

الحمد لله الذي أرشد عباده إلى سبيل الرشاد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أرسل رسله مبشرين ومنذرين للعباد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﷺ، وعلى آله وأصحابه، الذين تمسكوا بالسنّة، وحاربوا البدع والخرافات الجاهلية.

أما بعد:

فقد بعث الله رسوله ﷺ وحال العرب فيها أسوأ الأحوال، كان الفخر كل الفخر لديهم في سفك الدماء وابتزاز القوي مال الضعيف، وقد استحوذ عليهم الجهل فقست قلوبهم وفسدت عقائدهم، حتى عبدوا الأصنام واستباحوا الحرمات، وكانت لهم عادات مستهجنة مستقبحة تغلغلت في نفوسهم، منها أنهم يتطيرون، أي يتشاءمون بأشياء كثيرة يعدونها دالة على الشر، ويتفاءلون بأشياء، أي يعدونها دالة على الخير، كانوا إذا أرادوا تجارة أو سفراً مثلاً، أهاجوا الطير من أماكنها، فإن طارت ذات اليمين تفاءلوا خيراً ومضوا في أمرهم، وإن طارت ذات الشمال تطيروا وتشاءموا، ورجعوا عن سفرهم، أو تجارتهم، كذلك كان من عادتهم أنهم كانوا يتشاءمون بحلول شهر صفر، لما يتوهمون أن فيه تكثر الدواهي والكرب والغارات والحروب لانقضاء شهر المحرم الذي كان يحرم فيه القتال فيعتبرون شهر صفر شهر بلاء وشر وقتال وضرر، ومما يعتقدون كذلك، اعتقاد أن المرض يؤثر بطبعه دون أن يمر بخواطرهم، أن ذلك مبني على مشيئة الله وقدره.

لهذا قضى النبي ﷺ على الطيرة قضاءً تاماً وأبدلها بما يصحح العقيدة، فنعم المسلمون بهذا الدين وساروا عليه، ولما تقادم عصر النبوة وكثرت الأخلاط

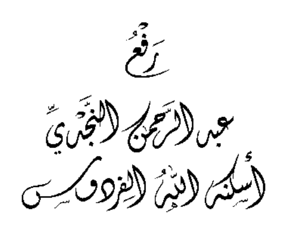
وتلاعب الشيطان والأهواء بعدد كبير من المسلمين، وانتشر الجهل وبعد كثير منهم عن النهج الصحيح، المستقى من الكتاب والسنّة، وسيرة السلف الصالح، عادت طوائف من هذه الأمة لما كانت عليه في الجاهلية واعتقدت بعض معتقداتها المنافية للتوحيد أو كماله، ومن ذلك التطير والاعتقاد بالعدوى، لهذا أردت أن أكشف النقاب، وأبصر الأعين بهذه العادات، لكي يكون المسلم على علم بها فيسهل عليه الابتعاد عنها، ويكون شأنه التفاؤل وعدم التطير والأمل وعدم القنوط واليأس.

❑ ❑ ❑

التمهيد

ويشتمل على ما يلي:

- أولاً : مفهوم التوحيد عموماً.
- ثانياً : معنى الشرك وأقسامه.
- ثالثاً : حقيقة التوكل على الله ومتى يكون شركاً أكبر ومتى يكون شركاً أصغر.
- رابعاً : أحكام الأسباب أو شروطها.



أولاً: مفهوم التوحيد عموماً

كثير من الناس في مختلف أقطار العالم الإسلامي في عصرنا هذا قد غفلوا عن حقيقة التوحيد الذي طالبهم به رب العالمين، وبعث به رسله وأنزل به كتبه، فيعملون أعمالاً، ويعتقدون عقائد تدخلهم في الشرك، وهم يحسبون أنهم مسلمون، وما ذلك إلا لأنهم لم يفرقوا بين توحيد الألوهية والربوبية، فيؤمنون بالخالق ويحسبون أنهم بذلك وحدوا الله، وهم في الواقع يعبدون غيره، وفي هذا المقام، نبيّن أقسام التوحيد، وما بينها من ترابط وتلازم.

* معنى التوحيد:

التوحيد في اللغة: التوحيد تفعيل للنسبة كالتصديق والتكذيب، لا للجعل، فمعنى وحّدت الله نسبت إليه الوحدانية، والواحد اسم بين لمفتتح العدد، تقول: جاءني واحد من الناس، والواحد متفرد بالذات في عدم المثل والنظير(١).

شرعاً: هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً، فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه ولا تشبه صفاته الصفات، ولا تنفك عن الذات، ولا يدخل أفعاله الاشتراك، فهو الخالق دون سواه(٢)، وسمي دين الإسلام توحيداً، لأن معناه مبني على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته، لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ندّ له(٣).

وتوحيد الله ﷻ الذي هو معنى لا إله إلا الله، يعني أنه لا معبود بحق إلا الله، فهي تنفي العبادة عن غير الله بالحق، وتثبتها لله وحده، كما قال

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٢٣٠)، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/ ١٥٩).

(٢) انظر: لوامع الأنوار (١/ ٥٧).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سلمان بن عبد الوهاب (ص٣٢).

سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾[1].

* أقسام التوحيد:

ينقسم التوحيد إلى قسمين:

الأول: توحيد المعرفة والإثبات، ويقال له: التوحيد العلمي الاعتقادي الخبري، ذلك لتعلقه بالأخبار المعروفة، ولأنه مختص بالاعتقاد المحض، وهو يشمل توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

الثاني: توحيد الإرادة والقصد والطلب، ويقال له كذلك: توحيد العبادة والعمل، وذلك لتعلقه بالقصد والإرادة، وهذا النوع هو توحيد الألوهية.

وإذا نظرنا إليه من جهة الشخص فهو قسمان:

توحيد العلم والاعتقاد، وتوحيد العبادة والعمل.

وبالنظر إلى توحيد الله ﷻ، فهو ثلاثة أنواع:

- فمن جهة انفراده بالخلق والرزق والتدبير، يسمى توحيد الربوبية.
- ومن جهة انفراده بالأسماء الحسنى والصفات العليا، يسمى توحيد الأسماء والصفات.
- ومن جهة استحقاقه وحده للعبادة، يسمى توحيد الألوهية، أو توحيد العبادة والعمل[2].

* معاني أنواع التوحيد الثلاثة، وكيف يحصل الإشراك بكل نوع منها:

توحيد الربوبية:

معناه: الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو رب كل شيء ومليكه، وهو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، الضار، النافع، المعطي، المانع، المتصرف في هذا الكون بمشيئته المطلقة، وليس معه رب آخر يشركه.

---

(١) سورة لقمان: الآية (٣٠).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (ص٤٦٤)، ومدارج السالكين لابن القيم (٣/٤٤٩)، وشرح العقيدة الطحاوية لمحمد حنفي أبو العز (ص٣٥).

والقلوب مفطورة على الاعتراف بالرب سبحانه، أكثر من اعترافها بأي شيء آخر، ولذلك أجاب الرسل أممهم بالاستفهام الإنكاري بقولهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]. وقد كان المشركون مقرّين بتوحيد الربوبية، وذلك واضح في كثير من آيات القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾[2]، وهكذا نرى أن مشركي العرب ومن سبقهم من الأمم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، لأن دلائل ربوبيته تعالى واضحة في كل شيء، فأشد الناس إلحاداً لا يصدق بأن يكون الأثر بلا مؤثر، وأن تكون الصدفة هي التي نظمت هذا الكون بما فيه من أبدع تنظيم وأحكمه، ولهذا فإن إقرار الخلق بالله من جهة ربوبيته، أسبق من إقرارهم به من جهة ألوهيته[3]، فقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية[4] رحمه الله كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل[5]

ومن هنا تبين خطأ المتكلمين الذين بذلوا جهدهم وأتعبوا أنفسهم لتقرير توحيد الربوبية وأنكروا معرفة الله الفطرية ـ من هؤلاء: الجهمية[6]،

---

(١) سورة إبراهيم: الآية (١٠). (٢) سورة يونس: الآية (٣١).

(٣) انظر: شرح الطحاوية (ص٣٤)، والتنبيهات السنية (ص٩)، والعقائد السلفية (١/ ١٤)، وتطهير الجنان (ص٥)، والدرر السنية في الأجوبة النجدية، عبد الرحمن بن قاسم العاصمي (٢/ ٣٧).

(٤) هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، تقي الدين أبو العباس، الفقيه، المحدث، المفسر، المتكلم، ولد في ١٠ ربيع الأول سنة ٦٦١هـ بحران. آثاره كثيرة منها: مجموعة رسائل، منهاج السنة.. إلخ.
انظر: البداية والنهاية (١٤/ ١٣٢)، معجم المؤلفين (١/ ٢٦١).

(٥) انظر: الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ٣٢٨)، والتنبيهات السنية (ص١١١)، وشرح الطحاوية (ص٣١)، السير (٦/ ٤٠٣). ولم أستطع الوقوف على قائل البيت.

(٦) فرقة من الفرق الضالة، الذين يزعمون أن الإيمان هو المعرفة، تنسب إلى جهم بن صفوان، الذي ينسب إليه القول بالجبر، ونفي الصفات وفناء الجنة والنار، قتله أسلم بن أحوز المازني سنة ١٢٨هـ.
انظر في هذه الفرقة وآرائها: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٣١٢)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٠٩)، الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٢/ ٣٥).

والقدرية[1] الذين هم عند سلف الأمة من أجهل الطوائف وأضلهم ـ، ظانين أن مشكلة البشرية من أول التاريخ، أنها لا تعترف بوجود الرب، وقد غفلوا عن هذه المعرفة الفطرية، وأن المشكلة الحقيقية هي انحراف البشرية عن توحيد الألوهية[2].

توحيد الألوهية:

هو توحيد العبادة، أو التوحيد العملي، أو الإرادي الطلبي، ومعناه: الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو المستحق لجميع أنواع العبادة، مع القيام بصرف هذه العبادات له وحده، ولا يصرف منها شيء لغيره، والكلمة المعبرة عن هذا المعنى أدق تعبير هي كلمة الشهادة (لا إله إلا الله) معناها: أنه لا معبود بحق إلا الله[3].

وهذا التوحيد هو الذي جاءت به الرسل ودعوا إليه أقوامهم، فالرسل مقرُّون لتوحيد الربوبية داعون لتوحيد الألوهية كما أخبر الله عنهم[4].

وقد قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾[6]، وهذه السورة قد اختصت بتوحيد الألوهية، أو التوحيد العملي، وهو توحيد العبادة، كما اختصت سورة

---

(١) فرقة من الفرق الضالة القائلين بأن كل عبد خالق لفعله وقادر عليه، فهم الذين كانوا يخوضون في القدر ويذهبون إلى إنكاره، وأول القدرية هو معبد الجهني، وتبعه على ذلك غيلان الدمشقي.
انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص١٨ ـ ١٩).

(٢) انظر: الفتاوى (١٤/ ١٤) و(٢/ ١٤)، وصيانة الإنسان (ص١٥٠)، وتيسير العزيز الحميد (ص١٧).

(٣) انظر: الفتاوى (١/ ٤) و(١٩/ ١٠٦)، ومدارج السالكين (١/ ٢٥)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص٤٧)، وشرح الطحاوية (ص٢٣)، والعقائد السلفية (ص٢٣)، ودعوة التوحيد (ص٤٧).

(٤) انظر: تيسير العزيز (ص٢٠)، ودعوة التوحيد (ص٣٧).

(٥) سورة الأنبياء: الآية (٢٥). (٦) سورة الكافرون.

الإخلاص بتوحيد الأسماء والصفات(١).

وفي هذا النوع من التوحيد ـ توحيد الألوهية ـ وقع النزاع بين الرسل وأممهم، حيث أنكر المشركون الدعوة لتوحيد الإله المعبود بقولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝﴾(٢)، ولهذا كان سياق الآيات الدالة على الربوبية يأتي بالاستفهام التقريري، لأنهم مقرون بالرب كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝﴾(٣).

توحيد الأسماء والصفات:

معناه: أوضحه شيخ الإسلام بما لا مزيد عليه، حيث يقول في الرسالة التدمرية: (فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفياً وإثباتاً، فنثبت لله ما أثبته لنفسه وننفي عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته لنفسه، من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في أفعاله، فإن الله ذم الذين يلحدون في أسمائه وأفعاله، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝﴾(٤)، فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تشبيه وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٥)، ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، رد للتشبيه والتمثيل، وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، رد للإلحاد والتعطيل)(٦).

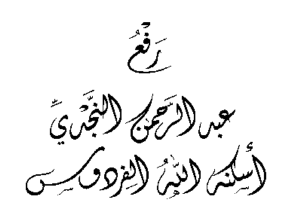
وهذه الأنواع الثلاثة التي جاء بها المرسلون والأنبياء متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن آتى بنوع منها ولم يأت بالآخر لم يقبل منه وإن كانت دعوة الرسل إلى توحيد الألوهية، وما ذلك إلا لأن توحيد الربوبية

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص٤٦٤).
(٢) سورة ص: الآية (٥).
(٣) سورة النحل: الآية (١٧).
(٤) سورة الأعراف: الآية (١٨٠).
(٥) سورة الشورى: الآية (١١).
(٦) الرسالة التدمرية (ص٤).

والأسماء والصفات لا يدخل الجنة، ولا ينجي من النار، ولا يعصم النفس والمال إن لم يصحبه توحيد الألوهية، (ولأن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية دون العكس فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لا يصح أن يكون إلهاً)[1].

❑ ❑ ❑

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٩).



ثانياً: معنى الشرك وأقسامه

إن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، فإن نسبة الشرك من التوحيد كنسبة الليل إلى النهار، والعمى من الإبصار، فهو يعرض للأمم الموحدة ويطرأ عليها كما يطرأ المرض على الأجسام، فإذا كان حفظ الصحة بالغذاء والدواء، فإن حفظ التوحيد بالعلم والدعوة.

وقد مرت عصور أهملت فيها الدعوة، فجهل جمهور المسلمين عقيدة الإسلام أو خفي عليهم ما ينافيها، فطرأ عليهم ما طرأ على الأمم قبلهم من عقائد زائفة وبدع سائدة، حتى ظنوا الإسلام جنسية تتمشى مع الأنساب، لذا نتج من قلة الخوض في هذا الموضوع أن صار الشرك أخفى المعاصي معنى وإن كان أجلاها حكماً، فلظهور حكمه وكونه من الضروريات، نرى المسلمين عامتهم يتبرؤون منه في حين أنهم يقعون فيه وهم لا يشعرون، فعمَّت الحاجة إلى معرفة معنى الشرك.

* معنى الشرك:

في اللغة:

شرك: جمع الشرك: شُرَكاء وأشراك، مثل شريف وشرفاء وأشراف، والمرأة شريكة، ونقول: شركته في الأمر أشركه ـ من باب تعب ـ، شركاً وشركة بفتح الأول وسكون الثاني، وذلك إذا حدث له شريك، وشاركته وأشركته جعلته شريكاً، قال تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾[1]، أي: اجعله شريكي فيه، ومرجع مادة الشرك إلى الخلط والضم، وقيل: هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً، فإذا كان بمعنى الحصة من الشيء تكون لواحد وباقيه للآخر أو آخرين، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[2].

---

(١) سورة طه: الآية (٣٢).

(٢) سورة فاطر: الآية (٤٠).

واجتماع الشركاء لا يقتضي تساوي أنصبائهم منه، ولا يمنع زيادة قسط على آخر، تقول: اللهم أشركنا في دعاء الصالحين، أي: اجعل لنا معهم في ذلك شركاً، قال الله في قصة موسى ﷺ: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾[1]، والاسم منه شرك؛ وإشراك بالله: جعل له شريكاً في ملكه تعالى الله عن ذلك[2].

أما في الشرع:

فقد فسر بالكفر، وهناك من قسمه إلى قسمين، قال صاحب اللسان:

الشرك: أن يجعل لله شريكاً في ربوبيته وألوهيته، وينقسم إلى قسمين، كقوله تعالى: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾[3]، وهو الشرك الأكبر.

وشرك أصغر: وهو الرياء كما في الحديث: «الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل»[4]، والمقصود به مراعاة غير الله معه في بعض الأمور[5].

فالشرك بالله ﷻ، هو ضد التوحيد الذي بعث الله به الرسل عليهم الصلاة والسلام، فالمشرك مشرك لأنه أشرك مع الله غيره فيما يتعلق بالعبادة لله وحده، أو فيما يتعلق بملكه وتدبيره العباد، أو بعدم تصديقه فيما أخبر أو فيما شرع، فصار بذلك مشركاً بالله، وفيما وقع منه من الشرك.

* أنواع الشرك:

اختلف كثير من العلماء في تقسيم الشرك، فهناك من قسّم الشرك على حسب أنواع التوحيد، كما وقع ذلك من شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، حيث

---

(١) سورة طه: الآية (٣٢).

(٢) انظر: لسان العرب (٧/ ٩٨٩)، مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص٤٥١)، مختار الصحاح (ص٣٣٦)، محيط المحيط (ص٦٦٣)، مجمل اللغة لابن فارس (٢/ ٢٧).

(٣) سورة الأعراف: الآية (٣٣).

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٥/ ٤٢٨)، مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٧)، حسّنه الألباني في صحيح الترغيب (ح٣٣) (ص١٦).

(٥) لسان العرب (٧/ ٤٩٦)، مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ص٤٥١)، مختار الصحاح (ص٣٣٦)، محيط المحيط، (ص٦٦٣)، معجم مقاييس اللغة (٢/ ٥٢٧).

قسّمه إلى شرك أكبر، وأصغر، في توحيد الألوهية والربوبية، والأسماء والصفات.

*** القسم الأول من أقسام الشرك:**

الشرك في الإلهية، هو صرف بعض أنواع العبادة التي لا تصرف إلا لله من دعاء أو استعانة أو استغاثة أو ذبح أو نذر أو رجاء أو محبة أو غير ذلك من العبادات، فهو أن يجعل لله نداً، أي مثلاً: في عبادته، أو محبته، أو خوفه، أو رجائه، أو إنابته، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾(١)، وهذا هو الذي قاتل عليه رسول الله ﷺ مشركي العرب، لأنهم أشركوا في الإلهية، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾(٢). والمحبة نوع من أنواع العبادة.

فمن هنا نرى أن من عبد غير الله أو توجه بشيء من أنواع العبادة لغير الله فقد أشرك، وقد نقل شيخ الإسلام الإجماع على أنه لا يجوز أن يعبد غير الله فقال: (فإن المسلمين متفقون على ما علموه بالاضطرار من دين الإسلام أن العبد لا يجوز له أن يعبد، ولا يدعو ولا يستغيث ولا يتوكل إلا على الله، وأن من عبد ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو دعاه أو استغاث به فهو مشرك)(٣).

وهذا هو الشرك الأكبر في الألوهية، أما الشرك الأصغر، كيسير الرياء والتصنع للمخلوق، وعدم الإخلاص لله تعالى في العبادة، بل يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة، ولطلب المنزلة والجاه تارة، فله من عمله نصيب ولغيره منه نصيب، ويتبع هذا النوع الشرك بالله في الألفاظ كالحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشئت، وقد يكون هذا شرك أكبر حسب حال قائله ومقصده(٤) وقد سماه شيخ الإسلام بالشرك الخفي، وهو الذي لا يكاد يسلم أحد منه.

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٣٨).
(٢) سورة البقرة: الآية (١٦٥).
(٣) انظر: الفتاوى (٣/ ٢٧٢).
(٤) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٥٢)، تيسير العزيز الحميد (ص٤٣).

*** القسم الثاني من أقسام الشرك:**

اعتقاد المرء وجود مشارك لله تعالى في الخلق والرزق والتدبير، أو في النفع والضر، والعطاء والنفع، أي: الشرك في الربوبية.

والشرك في الربوبية، نوعان:

الأول: شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون، إذ قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، ومنه شرك الفلاسفة القائلين بقدم العالم، وشرك ابن عربي[2] وأصحابه من أهل وحدة الوجود، وشرك من عطل أسماءه وصفاته من غلاة الجهمية[3].

الثاني: شرك من جعل معه إلهاً آخر، ولم يعطل أسماء الله وصفاته وربوبيته، كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، ويلحق به شرك عبَّاد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت[4]، وهذا النوع وهو الشرك الأصغر في الربوبية وإن كان أكبر، ولكن هو أصغر بالنسبة إلى ما هو أكبر منه.

*** القسم الثالث من أقسام الشرك:**

الشرك في الأسماء والصفات، وهو إطلاق بعض أسماء الله تعالى وصفاته المختصة به ﷻ على مخلوق من مخلوقاته، أو الميل والإلحاد بهما بتأويلها أو تعطيلها أو تفويضها أو تشبيهها بصفات المحدثين، وينقسم إلى قسمين، وهو أخف مما قبله:

القسم الأول: تشبيه الخالق بالمخلوق، كمن يقول: يد كيدي، وسمع كسمعي، وهو شرك المشبهة.

---

(١) سورة الشعراء: الآية (٢٣).

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عربي، أبو بكر الحاتمي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الكبير، فيلسوف، أنكر عليه أهل الديار الشطحات فعمل بعضهم على إراقة دمه، قال عنه الذهبي: من الإلحادية الباطنية، له مؤلفات كثيرة منها: مفاتح الغيب، الفتوحات المكية. انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ١٥٩)، الأعلام (٤/ ٢٨١).

(٣) سبق التعريف بهم (ص١٠).

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٤٣).

القسم الثاني: اشتقاق أسماء الإلّه الباطلة من أسماء الإلّه الحق، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[1].

قال ابن عباس[2]: يلحدون في أسمائه: يشركون، وعنه سموا اللات من الإلّه والعزى من العزيز[3]، وبذلك نرى أن الشرك ينقسم إلى أكبر وأصغر على حسب أنواع التوحيد، وإن كان أغلب تقسيم العلماء له إلى أكبر وأصغر في توحيد الألوهية لأنه أعظم الشرك، ويليه في المرتبة اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل.

وحتى نفرّق بين الشرك الأكبر والأصغر، نعرّف بكل منهما:

الشرك الأكبر:

وهو تسوية غير الله به فيما هو من خصائصه، فمن سوّى غير الله به؛ كمن صرف عبادة أو سواه به في علم غيب أو غير ذلك مما هو من خصائص الله، وخصائص ربوبيته، فهو مشرك شركاً أكبر، وهذا الشرك الأكبر ينافي التوحيد بالكلية ويخرج صاحبه من الإسلام وصاحبه خالد مخلد في النار، ولا يغفره الله إلا بالتوبة منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾[4].

الشرك الأصغر:

قد فسّره النبي ﷺ بيسير الرياء. ففي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه، قال: الرياء»[5].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٨٠).

(٢) هو عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ، حبر الأمة، صحابي جليل، ولد بمكة عام ٣ق.هـ. وتوفي عام ٦٨هـ.
انظر: الإصابة (٢/ ٣٦٠).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٤٣).

(٤) سورة النساء: الآية (٤٨).

(٥) رواه أحمد (٥/ ٤٢٨)، وأورده البغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٢٣)، وهو حديث جيد الإسناد. قاله المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦٩)، وقال العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٣/ ٢٩٤): ورجاله ثقات، وقال ابن حجر في بلوغ المرام (٢/ ١٨٦): إسناده حسن.

ولكن الشيخ عبد الرحمن بن حسن[1]، قسم الشرك تقسيماً آخر، من حيث توحيد الألوهية، فجعله على ثلاثة أقسام: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي، فقال: (الشرك الأكبر على أربعة أنواع: شرك الدعوة، وشرك النية، وشرك الطاعة، وشرك المحبة، أما الشرك الأصغر: فهو الرياء، أما الشرك الخفي: فهو ما دل عليه قول الرسول ﷺ: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل»)[2].

ونلاحظ على تقسيم الشيخ عبد الرحمن بن حسن، أنه قسم الشرك الأصغر إلى قسمين: أصغر، وخفي، بينما العلماء جمعوا بينهما وجعلوهما تحت الشرك الأصغر، وبذلك نرى أن أنواع الشرك هي: أصغر، وأكبر، والفرق بينهما ظاهر.

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

فالشرك الأكبر: صاحبه مخلد في النار، والأصغر: تحت المشيئة، إن شاء الله عذب به وإن شاء غفره.

- الشرك الأكبر، لا يغفر إلا بالتوبة منه، والأصغر تحت المشيئة.
- الشرك الأكبر: يخرج من الإسلام، والأصغر: لا يحكم عليه بالخروج من الإسلام.

بِمَ يعرف الشرك الأصغر من الأكبر:

١ ـ بدلالة اللفظ: (قالوا ما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء»)[3].

٢ ـ بدلالة النص: (وما منا إلا، ولكن يذهبه الله بالتوكل)[4].

---

(١) عبد الرحمن بن حسن محمد بن عبد الوهاب، فقيه حنبلي، من علماء نجد، مولده في الدرعية، وهو حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد عام ١١٩٣هـ، توفي عام ١٢٨٥هـ. له كتب منها: فتح المجيد، ومجموعة رسائل وفتاوى، انظر: الأعلام (٣/ ٣٠٤).

(٢) الجامع الفريد، مجموعة رسائل وكتب لأئمة الدعوة الإسلامية (ص٣٤١).
والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٤٢٨)، وحسّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (ح٣٣) (ص١٩).

(٣) سبق تخريجه (ص١٨).

(٤) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الطيرة (٤/ ١٧)، مسند الإمام أحمد (١/ ٣٨٩)، حسّنه النووي في رياض الصالحين (ص٥٣٧).

٣ ـ بدلالة نص آخر على نفس الفعل: كأن تقول: وحياتي وحياتك من الشرك الخفي، تفسيراً له: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[١].

٤ ـ بعدم الرجوع إلى (الحد)[٢].

وهناك من قسّم الشرك حسب أنواعه إلى أربعة أقسام:

- شرك الامتلاك أو الاحتياز.
- شرك المشاع.
- شرك الإعانة.
- شرك الشفاعة.

وقد استوفتها آية سبأ، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[٣]، فجعلت الآية أقسام الشرك أربعة وفندتها كلها، ولنضع لكل قسم ما يمتاز به.

الأول: شرك الاحتياز، فنفى سبحانه أن يكون غيره مالكاً لشيء يستقل به، ولو كان من الحقارة مثقال ذرة في العالم العلوي أو السفلي.

الثاني: شرك المشاع، فنفى سبحانه أن يكون لغيره نصيب يشاركه فيه كيفما كان هذا النصيب في المكان والمكانة.

الثالث: شرك الإعانة، فنفى جل شأنه أن يكون له ظهير ومعين من غير أن يملك معه، كما يعن أحدنا مالك متاع على حمله مثلاً.

الرابع: شرك الشفاعة، فنفى تعالى أن يوجد من يتقدم بين يديه يدل بجاهه ليخلص أحداً بشفاعته، فهو تعالى لم يقبل من أقسام الشركة حتى أضعفها

---

(١) المسند للإمام أحمد (٢/ ٣٤)، سنن أبي داود، كتاب الأيمان والنذور في كراهية الحلف بالأسماء (٣/ ٢٢٣)، والترمذي، كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (٣/ ١٨٥)، وقال عنه: حديث حسن، وصححه ابن حبان (١١٧٧)، والحاكم (١/ ١٨)، مسند الطيالسي (٢٥٧).

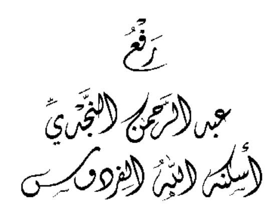
(٢) الموافقات للشاطبي (٣/ ٤٥).

(٣) سورة سبأ: الآيتان (٢٢، ٢٣).

وأخفاها، وهي الشركة بالجاه في تحصيل السلامة والنجاة، إلا بعد إذن للشفيع وتعيين المشفوع له، وحينئذ لا تكون في الشفاعة رائحة الشراكة بل الشفاعة كغيرها من وجوه النفع هي لله وحده، ولم يخرج عن الآية شيء من أقسام الشركة، لأن الشريك إما في الملك وإما في التصرف، والأول: إما أن يختار قسطه وإما أن يكون على المشاع، والثاني: إما أن يعين المالك، وإما أن يعين أحداً عند المالك، فتلك الأقسام الأربعة مرتبة ترتيبها في الآية[1].

❑ ❑ ❑

(١) انظر: رسالة الشرك ومظاهره، تأليف مبارك بن محمد الميلي (ص٦٠)، والإيمان وآثاره والشرك ومظاهره، زكريا علي يوسف (ص٨٠).



ثالثاً: حقيقة التوكل على الله ومتى يكون شركاً أكبر ومتى يكون شركاً أصغر

إن من شعب الإيمان التي ينبغي أن يتمسك بها المسلم ويحافظ عليها، التوكل على الله تعالى، ولذلك نجد القرآن الكريم قد اهتم بهذا الأمر، فقال جل شأنه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[(١)]، وقال لنبيه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾[(٢)]، وقال في صفات المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾[(٣)].

وفي الحديث: أن النبي ﷺ ذكر أنه يدخل الجنة من أمته سبعون ألفاً لا حساب عليهم، ثم قال: «هم الذين لا يكتوون، ولا يَسْتَرقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»[(٤)]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً»[(٥)]. ومن هنا نرى أهمية أن يتعرف المؤمن على ماهية التوكل وحقيقته.

تعريف التوكل:

التوكل في اللغة:

التوكل: إظهار العجز والاعتماد على غيرك[(٦)]، والاسم الوكالة، والوكالة

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٢٢). (٢) سورة الفرقان: الآية (٥٨).
(٣) سورة الأنفال: الآية (٢).
(٤) سوف يأتي الحديث بطوله وتخريجه في (ص٢٠١).
(٥) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله (٤/ ١٥٤)، وقال عنه: حسن صحيح، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. مسند الطيالسي (ص٦١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٦٧)، صححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ١٥).
(٦) مختار الصحاح (ص٧٣٤)، لسان العرب (١/ ٢٨٨)، معجم مقاييس اللغة (٣/ ٩٣٤).

بكسر الواو وفتحها، ويقال: اتكل عليك فلان وأوكل عليه فلان بمعنى واحد، يقال: توكل بالأمر: إذا تضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه، ووكل إليه الأمر: سلّمه، ووكله إلى راية وكلاً ووكولاً: تركه[١].

التوكل شرعاً:

فسّره ابن الجوزي[٢]: (هو ثقة القلب بالله ﷻ)[٣]. أما ابن القيم[٤] فبيّن أن حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه[٥]، كما بيّن أنه حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها، فهي عبارة عن معرفة بالرب وصفاته، ثم إثبات في الأسباب والمسببات، ثم رسوخ في القلب في مقام توحيد التوكل ثم اعتماد القلب على الله واستناده إليه وسكونه إليه، ثم حسن الظن بالله ﷻ واستسلام القلب له وانجذاب دواعيه كلها إليه وقطع منازعاته، ثم التفويض بالرضى وهي ثمرة التوكل[٦].

ومن هنا نرى أن التوكل على الله يجمع بين علم القلب وعمله، وقد قال ابن القيم: (فإن التوكل يجمع أصلين، علم القلب، وعمله، أما علمه، فيقينه بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم في ذلك، وأما عمله فسكونه إلى وكيله، وطمأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أمره إليه ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه، فبهذين الأصلين يتحقق التوكل)[٧].

---

(١) لسان العرب (١٥/ ٣٨٧)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٢١).

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علّامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، ولد سنة ٥٠٨هـ، وتوفي سنة ٥٩٧هـ في بغداد. له نحو ثلاثمائة مصنف منها: تلبيس إبليس، انظر ترجمته في: الأعلام (٣/ ٣١٧)، البداية والنهاية (١٣/ ٢٨).

(٣) تلبيس إبليس، ابن الجوزي (ص١٨٤).

(٤) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي، أبو عبد الله، من أركان الإصلاح الإسلامي، ولد سنة ٦٩١هـ في بغداد، وتوفي فيها سنة ٧٥١هـ، تتلمذ على يد الشيخ ابن تيمية، حتى أنه لا يخرج عن أقواله. ألف الكثير من الكتب منها: إعلام الموقعين، مدارج السالكين.
انظر ترجمته في: شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ١٦٨)، والأعلام (٦/ ٥٦).

(٥) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٦٧).

(٦) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١١٨).

(٧) طريق الهجرتين (ص٢٤٥).

وقد أمر الله ﷻ بالتوكل وأوجبه وأثنى على المتوكلين، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1]، وقال جل شأنه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾[2]، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3].

في الآية الثانية جعل التوكل دليلاً على صحة الإسلام، وفي الآية الأخرى جعل التوكل شرطاً في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[4]، وذكر اسم الإيمان دون سائر أسمائهم دليل على استدعاء الإيمان للتوكل، وأن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإن كان التوكل ضعيفاً فهو دليل على ضعف الإيمان، والله جمع بين التوكل والعبادة وبين التوكل والإيمان وبين التوكل والإسلام وبين التوكل والتقوى وبين التوكل والهداية، فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام[5].

وكذلك أثنى الرسول ﷺ على المتوكلين وبين أنهم يدخلون الجنة بغير حساب. ففي الصحيح عن عمران بن حصين[6] في حديث طويل، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بلا حساب، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»[7]، وفي السنن: «الطيرة شرك، الطيرة شرك». قال ابن مسعود: ما منّا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل[8]، وقال من حديث عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقكم

---

(١) سورة إبراهيم: الآية (١١).
(٢) سورة يونس: الآية (٨٤).
(٣) سورة المائدة: الآية (٢٣).
(٤) سورة المجادلة: الآية (١٠).
(٥) طريق الهجرتين (ص٢٤٣).
(٦) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن سالم أبو نجيد، أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر، استقضاه عبد الله بن عامر على البصرة، ثم استعفاه ومات بها، سنة ٥٢هـ، وكان الحسن البصري يحلف ما قدمها راكب خير من عمران بن حصين.
انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٨/ ١١١ ـ ١١٢)، الأعلام (٢/ ١٢٥).
(٧) سوف يأتي تخريجه عند ذكر الحديث مطولاً (ص٢٠١).
(٨) سبق تخريجه (ص١٩).

كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»[1]، وغير هذا من الآيات والأحاديث.

وقد أنكر السلف على من يتواكل ويدّعي أنه يتوكل على الله، فإن أبا عبد الله[2] قد سأله رجل: أيخرج إلى مكة متوكلاً لا يحمل معه شيئاً؟ قال: لا يعجبني، فمن أين يأكل؟ قال: يتوكل فيعطيه الناس، قال: فإذا لم يعطوه، أليس يستشرف لهم حتى يعطوه؟ لا يعجبني هذا[3].

فالتوكل يشمل أمرين: التوكل عليه ليعينه على ما فعل ما أمر به، والتوكل عليه ليعطيه ما لا يقدر العبد عليه... ويكون التوكل عليه لجلب المنفعة ودفع المضرة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[4].

فمن لم يفعل ما أمر به لم يكن مستعيناً بالله على ذلك، فيكون قد ترك العبادة والاستعانة عليها بترك التوكل في هذا الموضع، وآخر يتوكل بلا فعل مأمور، هذا حد العجز المذموم[5].

أقسام التوكل على الله:

من الكلام المتقدم يتضح أن (التوكل ينقسم إلى قسمين:

الأول: توكل على الله في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية، أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

الثاني: التوكل على الله في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه.

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله، فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله، كفاه النوع الأول تمام الكفاية، ومتى توكل عليه في النوع الأول

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٢).

(٢) الإمام أبو عبد الله، أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني، المروزي البغدادي، أحد الأئمة الأعلام، عرضت عليه الدنيا فأباها، والبدع فنفاها.
انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد (٧/ ٣٥٤)، طبقات الحنابلة (١/ ٤)، البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٥).

(٣) المسائل والرسائل المروية عن أحمد (٢/ ٢٣٦).

(٤) سورة آل عمران: الآية (١٧٣).

(٥) مجموع الفتاوى (٨/ ١٧٧).

دون الثاني كفاه أيضاً، ولكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه.

فأعظم التوكل عليه، التوكل في الهداية وتجريد التوحيد، ومتابعة الرسل وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم)[1]، (فمن ظن أن التوكل لا يطلب إلا في الأمور الدنيوية فقط غلط، بل التوكل في الأمور الدينية أعظم)[2].

وبعد أن بيّنا أقسام التوكل على الله، نبيّن فيما يلي أقسام التوكل على غيره، ومتى يكون شركاً أكبر، ومتى يكون شركاً أصغر.

متى يكون التوكل على غير الله، شركاً أكبر أو أصغر؟

التوكل على غير الله قسمان أيضاً:

الأول: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحظ والرزق والشفاعة، فهذا شرك أكبر، فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة العادية، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما يجعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذى ونحو ذلك، فهذا النوع شرك خفي[3]، أو شرك أصغر.

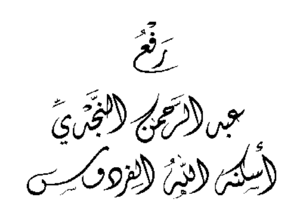
فإذا سئلنا ما هو الجائز في التوكل على المخلوقين فيقال: أن الجائز بالنسبة له هو الوكالة وهي توكيل الإنسان في فعل مقدور عليه، ولكن ليس له أن يتوكل عليه وإن وكله، بل يتوكل على الله ويعتمد عليه في تيسير ما وكله فيه، فيكون التوكل على غير الله شركاً أكبر في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، مثل من اعتمد في علم على طير أو كاهن وغير ذلك فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

ويكون شركاً أصغر إذا اعتمد على الأسباب، فيكون قد أشرك بالأسباب وتوكل عليها، مثل من اعتقد أن الشفاء من الطبيب بإعطائه الدواء، وليس من الله فهو التفت إلى السبب وترك المسبب.

لذلك فسوف يكون حديثنا في الصفحات التالية عن الأسباب وعلاقتها بالتوكل.

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص٨٦).
(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢١).
(٣) تيسير العزيز الحميد (ص٤٩٧).



رابعاً: أحكام الأسباب

إن مما لا شك فيه أن الله ﷻ قد كتب لكل إنسان رزقه وما هو مقسوم له، فالرزق مضمون، وما على المؤمن إلا أن يتوكل على الله ﷻ فيثق به ويتخذ الأسباب المشروعة والمأمور بها لتحصيل ما كتبه الله تعالى له.

ولكن الناس يختلفون في النظر إلى الأسباب وتعلقهم بها، فقد يعتقد البعض أن اتخاذ الأسباب المشروعة[1] لا فائدة منه، وقد يتخلق البعض الآخر بالأسباب فقط، وهذا يدعونا إلى أن نبيّن علاقة التوكل بالأسباب.

تعريف السبب:

لغة: كل شيء يتوصل به إلى غيره[2].

شرعاً: هو ما جعله الشارع علامة على سببه.

وربط وجود السبب بوجوده، وعدمه بعدمه، يلزم من وجود السبب، وجود المسبب ومن عدمه عدمه[3].

أقسام الناس مع الأسباب:

القسم الأول:

قسم عاملوا الله تعالى باعتماد قلوبهم على قدرته تعالى مع إهمال الأسباب والعوائد فولجوا في البحار في زمن الهول، وسلكوا القفار العظيمة المهلكة بغير زاد، فهؤلاء حصل لهم التوكل وفاتهم الأدب مع الله تعالى، وهم جماعة من العباد[4]

---

(١) الأسباب لا تخلو من أن تكون مأموراً بها أو منهياً عنها، والمنهي عنها لا إشكال بوجوب الابتعاد عنها. الموافقات (١/ ١٧).

(٢) لسان العرب (٦/ ١٣٩).

(٣) علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف (ص١٢٤).

(٤) انظر: الفروق للقرافي (٤/ ٢٢٣).

وقد اعتبر شيخ الإسلام أن من ترك الأسباب المشروعة في جلب المنفعة أو دفع المضرة قادح في الشرع خارج عن العقل[1].

القسم الثاني:

وهم على النقيض من أولئك، حيث اهتموا بالأسباب وتركوا المسبب، فقد لاحظوا الأسباب وأعرضوا عن التوكل، وهم عامة الخلق وشر الأقسام وربما وصلوا بملاحظة الأسباب والإعراض عن المسبب إلى الكفر[2].

القسم الثالث:

ما جاءت به الرسل ودلّ عليه الحس والعقل والفطرة من إثباتها أسباباً، وجواز، بل إثبات وقوع سلب الأسباب سببيتها عنها إذا شاء الله ودفعها بأمور أخرى نظيرها أو أقوى منها، مع بقاء مقتضى السببية فيها، كما تصرف كثير من أسباب الشر بالتوكل والدعاء والصدقة والذكر والاستغفار والعتق والصلة، وتصرف كثير من أسباب الخير بعد انعقادها بضد ذلك[3] فهؤلاء (اعتمدت قلوبهم على قدرة الله تعالى، طلبوا فضله في عوائده ملاحظين في تلك الأسباب مسببها وميسرها فجمعوا بين التوكل والأدب)[4].

ولهذا قال بعضهم: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض بالكلية قدح في الشرك، ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسببات، فإن المطر إذا نزل وبذر الحب لم يكن ذلك كافياً في حصول النبات، بل لا بد من ريح سريعة بإذن الله، ولا بد من صرف الانتفاء عنه، فلا بد من تمام الشروط وزوال الموانع وكل ذلك بقضاء الله وقدره[5]، وكذلك أمر الآخرة ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة، بل هي سبب، ولهذا قال النبي ﷺ: «إنه لن يدخل الجنة أحدكم بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله

---

(١) انظر: الفتاوى (٨/ ١٧٧).
(٢) انظر: الفروق للقرافي (٤/ ٢٢٣).
(٣) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢٥٥).
(٤) الفروق للقرافي (٤/ ٢٢٣).
(٥) انظر: القضاء والقدر لابن تيمية (ص٩٢).

برحمة منه وفضل»[1].

ومن هنا نرى أن الناس يفترقون في التوكل على أربعة أنواع:

١ ـ صنف لا يعبدونه ولا يتوكلون عليه وهم شرار الخلق.

٢ ـ وصنف يقصدون عبادته بفعل ما أمر وترك ما حظر، لكن لم يحققوا التوكل والاستعانة فيعجزون عن كثير مما يطلبونه ويجزعون في كثير من المصائب، وهم قسمان:

أ ـ من هؤلاء من يكذب بالقدر ويجعل نفسه هو المبدع لأفعاله.

ب ـ ومنهم من يؤمن بالقدر قولاً واعتقاداً، لكن لم تتصف به قلوبهم قولاً وعملاً.

٣ ـ صنف نظر إلى جانب القدرة والمشيئة، وأن الله تعالى هو المعطي والمانع والخافض والرافع، فغلب عليهم التوجه إليه من هذه الجهة والاستعانة به والافتقار إليه لطلب ما يريدونه، فهؤلاء يحصل لهم نوع سلطان لكن لا عاقبة والعاقبة للتقوى.

٤ ـ قوم توجهوا إلى الله ولكن ليس بالأمر الشرعي، وإنما بما يحسه من ذوقه ووجده وهم أصناف متعددة[2].

وبهذا يتضح لنا صور التوكل وعلاقته بالأسباب، لهذا نرى أنه يجب اتخاذ الأسباب وإن ذلك لا ينافي التوكل مطلقاً، وهذا هو المفهوم الصحيح للتوكل، لا كما يفهمه البعض الذين تركوا الأسباب المشروعة ظناً منهم أن في الأخذ بها قدحاً في التوكل، وهذا جهل بالتوكل ومعناه.

يقول ابن القيم بعد ذكره لعدة أحاديث أمرت بالتداوي: (فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات وإبطال قول من أنكرها والأمر

---

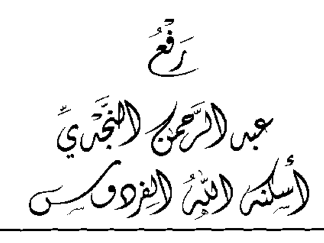
(١) البخاري، الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل (١١/ ٢٩٤ ـ الفتح)، مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل رحمة الله تعالى (١٧/ ١٥٩ ـ النووي).

(٢) انظر: الفتاوى (١٣/ ٣٢٣).

بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضياتها أسباباً لمسبباتها قدراً وشرعاً، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى من التوكل، فإن تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلاً للأمر والحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً، ولا توكله عجزاً)[1].

❑ ❑ ❑

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٦٧).





(الطيرة وأحكامها)

وفيه فصول:

الفصل الأول: معنى الطيرة وما يلحق بها.

الفصل الثاني: الطيرة في حياة الناس.

الفصل الثالث: حكم الطيرة.

الفصل الرابع: شبهات في باب التطير.

الفصل الخامس: علاج التطير وكيفية التحرز منه.

الفصل الأول

معنى الطيرة وما يلحق بها

وفيه مباحث:

المبحث الأول: معنى الطيرة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: معنى الشؤم، والصفر، والنوء، والهامة.

المبحث الأول

معنى الطيرة لغة واصطلاحاً

الطيرة في اللغة:

قال ابن فارس[(١)]: الطاء والياء والراء أصل واحد يدل على خفة الشيء في الهواء ثم يستعار ذلك في غيره وفي كل سرعة، ومن ذلك الطير[(٢)].

والطير: كل ذي جناح يسبح في الهواء، يقال: طار، يطير، طيراناً، جمع طائر: طير، كراكب: ركب. قال تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾[(٣)]، والأنثى طائرة، وهي قليلة، وجمع على طيور وأطيار.

وقال ابن الأثير[(٤)]: هو مصدر تطير طيرة، وتخيّر خيرة، ولم يجئ من المصادر هكذا غيرها[(٥)]، وهي اسم كذلك من التطير، ومنه قولهم: لا طير إلا طير الله، كما يقال: لا أمر إلا أمر الله[(٦)]، والطائر على صيغة اسم الفاعل: من طار يطير طيراناً[(٧)]، أي: تحرك في الهواء بجناحيه، واستطير الطائر على المجهول طير.

---

(١) أبو الحسن، أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد القزويني، المعروف بالرازي، المالكي اللغوي، نزل همذان، صاحب كتاب مقاييس اللغة والمجمل، مات بالري في سنة ٣٩٥هـ.
انظر ترجمته في: الديباج المذهب (١/ ١٦٣)، البداية والنهاية (١١/ ٣٣٠).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (ص٤٣٦).

(٣) سورة الأنعام: الآية (٣٨).

(٤) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري أبو السعادات، المحدث اللغوي الأصولي، توفي في الموصل. من مؤلفاته: النهاية في غريب الحديث، جامع الأصول.
انظر ترجمته في: الأعلام (٥/ ٢٧٢)، السير (٢١/ ٤٨٨)، البداية والنهاية (١٣/ ٥٤).

(٥) انظر: النهاية (٣/ ١٥٢)، واللسان (٨/ ٢٣٧)، وتاج العروس (١٢/ ٤٠٠)، والمفردات (ص٥٢٩).

(٦) انظر: محيط المحيط (ص٩٥).

(٧) انظر: المصباح المنير (٢/ ٥٢٣).

وتطاير الشيء: تفرّق وذهب وطار.

وطار طائره: غضب، كثار تأثره وأسرع وخف.

وأرض مطارة: كثيرة المطر.

إياك وطيرات الشباب: أي: زلاتهم وعثراتهم، جمع طيرة.

وتطاير السحب: إذا عمها وتفرق في نواحيها[1].

تطير بالشيء ومنه تطيراً: تشاءم وقيل: أصله التفاؤل بالطير ثم يستعمل في كل ما يتفاءل به ويتشاءم. قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾[2]، وقد تستعمل جنساً للفأل كما في الحديث عن الرسول ﷺ: «أصدق الطيرة الفأل»[3].

ويقال: أطير به بالقلب والإغام منه. قوله تعالى: ﴿ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾[4]، وهو طير شؤم كل ما تطيره به سميته بذلك[5].

وطائر الإنسان ما حصل له في علم الله مما قدر له[6] وقيل: عمل الإنسان الذي قلده خيره وشره، وقيل: رزقه، وقيل: شقاوته وسعادته وبكل فسر قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾[7].

---

(١) انظر: محيط المحيط (ص٩٢)، لسان العرب (٨/ ٢٣٨)، تاج العروس (١٢/ ٤٥١).

(٢) سورة يس: الآية (١٨).

(٣) أخرجه أبو داود من طريق عروة بن عامر، كتاب الطب، باب في الطيرة بنحوه (٤/ ١٨)، وعزاه المزي إلى ابن السني عن غصين بن عامر بلفظ أحسن، قال النووي: حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح، رياض الصالحين (ص٥٣٧)، قال الألباني: وفي التصحيح المذكور نظر بيّن، لأن عروة بن عامر مختلف في صحبته، ثم إن فيه عنعنة مدلس، فانظر الكلام الطيب، رقم التعليق (١٩٣)، وضعفه في ضعيف أبي داود للألباني (ص٣٨٧). قال الشيخ البهلال: لم يثبت فيما أعلم دليل يمنع الاتصال. أما عروة بن عامر فعدالته وصدقه يدل على صحة حديثه، ويبقى عليه أن يأتي بدليل يمنع ذلك.
انظر: تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد (ص٦٧ ـ ٦٩). انظر: محيط المحيط (ص٩٣).

(٤) سورة النمل: الآية (٤٧).

(٥) انظر: محيط المحيط (ص٩٣).

(٦) انظر: النهاية (٢/ ١٥١)، ولسان العرب (٨/ ٢٤١).

(٧) سورة الإسراء: الآية (١٣).

والطائر عند العرب: الحظ، وهو الذي تسميه العرب البخت، وإنما قيل للحظ من الخير والشر طائر، لقول العرب: جرى له الطائر بكذا من الخير أو الشر على طريق الفأل والطيرة، على مذهبهم في تسمية الشيء بما كان سبباً له[١].

(فأصل التطير إنما كان من الطير ومن جهة الطير، إذا مر بارحاً أو سانحاً[٢]، أو رآه يتفلى وينتتف، حتى صاروا إذا عاينوا الأعور من الناس أو البهائم أو الأعضب أو الأبتر، زجروا عند ذلك وتطيروا عندها، كما تطيروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال، فكأن زجر الطير هو الأصل أو منه اشتقوا التطير، ثم استعملوا ذلك في كل شيء)[٣].

وقيل: مشتقة من الطيران كأن الذي يرى ما يكره أو يسمع يطير[٤]، ولكن اشتقاقها من الطير هو الأصل والمختار من الوجهتين. والله أعلم.

ومن هنا ترى أن الطير تطلق على كل ما حصل وذهب بسرعة، لذلك أطلقت على الطير واشتق منها التطير، لأن الطير يأتي ويذهب بسرعة.

الطيرة اصطلاحاً:

قيل: (هو ما يتشاءم به من الفأل الردي)[٥]. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ[٦]: (الطيرة بأن يكون قد فعل أمراً متوكلاً على الله أو يعزم عليه، فيسمع كلمة مكروهة، مثل ما يتم، أو ما يصلح، ونحو ذلك، فيتطير ويترك الأمر، فهذا نهى عنه، كما في الصحيح عن معاوية بن الحكم السلمي[٧]، قال: قلت:

---

(١) انظر: لسان العرب (٨/ ٢٤١)، وتاج العروس (١٢/ ٤٥٣).

(٢) البارح: ما مر من ميامنك إلى مياسرك، والسانح: عكسه، وسوف يأتي ذكره في هذا المبحث، عند ذكر الألفاظ المستخدمة في الزجر (ص٤٤).

(٣) الحيوان (٣/ ٤٣٨).

(٤) العمدة لابن رشيق (١/ ٢٦٠).

(٥) معجم متن اللغة (ص٦٤٦)، محيط المحيط (ص٥٢٩)، لسان العرب (٨/ ٢٣٦)، تاج العروس (١٢/ ٤٠١)، مختار الصحاح (ص٤٠٢).

(٦) سبق التعريف به (ص١٠).

(٧) هو معاوية بن الحكم السلمي، روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً في النهاية والطيرة والحظ وتشميت العاطس وعشق الجارية، ومنهم من يفرقه ويجعله أحاديث.
انظر: تهذيب التهذيب (١٠/ ١٨٥).

يا رسول الله: منّا قوم يتطيرون، قال: (ذلك يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم)[1]، فنهى النبي ﷺ أن تصد الطيرة العبد عما أراد)[2].

وقد عرفها الرسول ﷺ بتعريف جامع مانع فقال: «الطيرة ما أمضاك أو ردك»[3]، فتبين لنا حد الطيرة المنهي عنها.

فالطيرة هي ترك الإنسان حاجته، واعتقاد عدم نجاحها، تشاؤماً بسماع بعض الكلمات القبيحة، كـ (يا هالك)، أو يا ممحون ونحوها، وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وما شاكلها إذا صاحت، قالوا: إنها ناعية أو مخبرة بشر، وكذا التشاؤم بملاقاة الأعور أو الأعرج أو المهزول أو الشيخ الهرم أو العجوز الشمطاء[4].

(وأصله أنهم كانوا إذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتى يطير، فإن طار يميناً، كان له حكم، وإن طار شمالاً، كان له حكم، وإن طار أماماً، كان له حكم، وإن طار من فوق رأسه، كان له حكم، ومن ثم سميت الطيرة أخذاً من اسم الطير، وأكثر ما عولوا عليه من ذلك الغراب، ثم تعداه إلى غير ذلك من الطير من الحيوان، ثم جاوزوا ذلك إلى ما يحدث في الجمادات من كسر أو صدع أو نحو ذلك، وربما انتهى بعض الزجر إلى حد الكهانة)[5].

فأصل استعمالها في الطير، ثم استعملت فيما يتطير به من السوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرها. وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع ولا دفع ضر. قال ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صَفَر»[6].

---

(١) ورد بنحوه عند مسلم، كتاب سبل السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (١٤/ ٢٢٣ ـ النووي).

(٢) الفتاوى (٢٣/١٧).

(٣) مسند أحمد (١/ ٢١٣). قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده ضعيف ولم أجده عند أحد غير الإمام أحمد.
انظر: المسند بتحقيق أحمد شاكر (٣/ ٢٤٠).

(٤) انظر: معارج القبول (١/ ٢٩٢).

(٥) صبح الأعشى للقلقشندي (١/ ٤٥٦).

(٦) رواه البخاري من طريق أبي هريرة، الطب، باب لا هامة (١٠/ ٢٤١ ـ فتح)، مسلم، =

وجُعلت الطيرة من الشرك. قال الرسول ﷺ: «الطيرة شرك، الطيرة شرك وما منّا إلا. . . .، ولكن الله يذهبه بالتوكل»[1]، فجعلت من الشرك، لأنهم كانوا يعتقدون أن الطير يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضراً إذا عملوا بموجبه فكأنهم أشركوا مع الله.

فحرم الرسول ﷺ الطيرة وأقر الفأل. عن أنس[2] قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل»، وقالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة»[3]. فالفأل: الكلمة الطيبة يسمعها عليل فيتفاءل منها على ما يدل على برئه، كأن يسمع منادياً فينادي رجلاً اسمه سالم وهو عليل، فأوهمه سلامته.

ولعل للتطير صلة بعقيدة استحالة الأرواح طيوراً بعد مفارقة الأبدان، وهذه العقيدة شملت أكثر الشعوب القديمة، فآمنوا بأن بعض فضائل الطيور هي أرواح الموتى، ومن المرجح أن يكون عرب الجاهلية من ضمن هذه الشعوب.

وقد توالت هذه العقيدة من الجاهليين وترسخت على مدى العصور حتى يومنا هذا. وصدق ابن عباس حيث قال: لا خير ولا شر. فقد جاء في كتاب عيون الأخبار[4]: أن عكرمة[5] قال: كنا جلوساً عند ابن عمر[6] وابن

= السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر (١٤/٢١٣ ـ نووي) واللفظ له.

(١) رواه أبو داود من حديث عبد الله بن مسعود، كتاب الطب، باب الطيرة (٤/١٧)، الترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة (٣/٢٢٧)، وقال عنه: حديث حسن صحيح، قال الألباني: صحيح. السلسلة الصحيحة (٢/٧١٦).

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب أبو حمزة خادم رسول الله ﷺ، آخر الصحابة موتاً سنة ٩٣هـ.
انظر: أسد الغابة (١/١٥١)، تهذيب التهذيب (١/٣٧٦)، السير (٣/٣٩٥).

(٣) أخرجه البخاري من طريق أنس، الطب، باب لا عدوى (١٠/٢٤٤ ـ الفتح)، ومسلم، السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم (١٤/٢١٩ ـ نووي).

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة، كتاب الحرب (١/٤٢).

(٥) عكرمة أبو عبد الله القرشي، مولاهم، المديني البربري الأصل، قيل: كان لحصين بن أبي الحر العبري فوهبه لابن عباس.
انظر ترجمته في: السير (٥/١٢)، طبقات ابن سعد (٥/٢٨٧).

(٦) عبد الله بن عمر بن الخطاب، أحد الصحابة المكثرين من رواية الحديث، كان شديد =

عباس[1]، فمر طائر يصيح، قال رجال من القوم: خير، خير، فقال ابن عباس: لا خير ولا شر، قال كعب[2] لابن عباس: ما تقول في الطيرة؟ قال: وما عسيت أن أقول فيها: لا طير إلا طير الله، ولا خير إلا خير الله، ولا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال كعب: إن هذه الكلمات في كتاب الله المنزل، يعني التوراة[3].

فتبين لنا من خلال الأثر: أن الطيرة كانت موجودة في الأمم القديمة، وأن الله ﷻ عالجها في كل قوم، وذلك لأنها تخل في الاعتقاد. فعن ابن عمر: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن يقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»[4].

وبعد أن عرّفنا الطيرة في اللغة والاصطلاح، نعرِّج على تعريف العيافة، لأن العائف هو الذي يقوم بفعل التطير.

العيافة:

العيافة في اللغة:

عافِ الشيء يعافه عيفاً وعيافة وعيافاً وعيفاناً: كرهه، فلم يشربه طعاماً

= الاتباع للسنّة، توفي سنة ٧٣هـ.
انظر ترجمته في: الإصابة (٢/ ٣٤٧).

(١) سبق التعريف به (ص١٨).

(٢) كعب بن باتع بن ذي حجن الحميري أبو إسحاق، تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في خلافة أبو بكر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثير من أخبار الأمم الغابرة، توفي سنة ٣٢هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ٤٦)، خزانة الأدب (٥/ ٣٦٤).

(٣) عيون الأخبار، كتاب الحرب (١/ ٤٢)، وذكر بنحوه في مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الآداب، باب من كان يسره حديثه عن أهله (٩/ ٤٥).

(٤) أحمد (٢/ ٢٢٠)، وعزاه المزي إلى ابن السني في عمل اليوم والليلة، تحفة الأشراف (٧/ ٢٥٨)، والسنن الكبرى للبيهقي القسامة، باب العيافة والطيرة والطرق (٨/ ٢٤٠)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والطبراني وفيه ابن الربيعة وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات (٥/ ١٠٨).

أو شراباً. قال ابن سيده[1]: (قد غلب على كراهة الطعام).

العوف: الحال، والشأن، والذكر، والضيف، والجد، والحظ، والطائر، والديك، والأسد، لأنه يتعوف في الليل[2].

وقيل: العياف: المصدر، والعيافة: الاسم.

والعائف: الكاره للشيء المنتقد له[3].

وعافت الطير: إذا كانت تحوم على الماء، على الجيف، تعيف وتتردد ولا تمضي تريد الوقوع، فهي عائفة والاسم عيفة[4].

والعائف: المتكهن. وفي حديث ابن سيرين[5]: أن شريحاً[6] كان عائفاً، أراد أنه كان صادق الحدس والظن، كما يقال للذي يصيب ظنه: ما هو إلا كاهن، وللبليغ في قوله: ما هو إلا ساحر، لا لأنه يفعل فعل الجاهلية في العيافة[7].

وعاف الطير وغيره من السوانح يعيفه عيافة: زجره[8]. قال ابن سيده:

---

(١) علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن، إمام أهل اللغة وآدابها، توفي في دانية (في شرق الأندلس) سنة ٤٥٨هـ، صنّف المخصص وغيرها.
انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١/ ٣٤٢)، الأعلام (٤/ ٢٦٣).

(٢) لسان العرب (٩/ ٥٠٠)، تاج العروس (٦/ ٢٠٧).

(٣) انظر: القاموس المحيط (٣/ ٣/ ١٧٨)، لسان العرب (٩/ ٥٠٠)، تاج العروس (٦/ ٢٠٧).

(٤) انظر: اللسان (٩/ ٥٨)، النهاية (٣/ ٣٣٠).

(٥) محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء، أبو بكر، إمام وفقيه في علوم الدين بالبصرة، تابعي، اشتهر بالورع، وتعبير الرؤيا، له كتاب تعبير الرؤيا، توفي في البصرة سنة ١١٠هـ.
انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٩/ ٢١٤)، وفيات الأعيان (١/ ٤٥٣).

(٦) شريح بن الحارث بن قيس بن جهم الكندي أبو أمية، من أشهر الفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن، ولي قضاء الكوفة، كان ثقة في الحديث مأموناً في القضاء، توفي سنة ٤٧٨هـ بالكوفة.
انظر: شذرات الذهب (١/ ٨٠)، طبقات ابن سعد (٦/ ٩٠).

(٧) انظر: القاموس المحيط (٣/ ١٧٨)، لسان العرب (٩/ ٥٠٠)، تاج العروس (٦/ ٢٠٧).

(٨) الزجر والعيافة: بمعنى واحد، وهي أن تعتبر بأسماء الطير ومساقطها وأنواعها، فتسعد =

أصل عفت الطير فعلت عيفت ثم نقل من فعل إلى فعل، ثم قلبت في فعلت فصار عافت، فالتقى ساكنان، العين المعتلة ولام الفعل فحذفت العين لالتقائها، فصار التقدير عفت، ثم نقلت الكسرة إلى الفاء لأن أصلها قبل القلب، فعلت فصار عفت[1].

والعائف: الذي يعيف الطير فيزجرها وهي العيافة.

فالعيافة في اللغة إذن هي: الإكراه أو الكراهية والخفاء، وربما استعملت في الزجر لأنه يُكره الطير على الطيران، ولخفاء العلة في تفاؤلهم وتشاؤمهم بطيرانها.

العيافة اصطلاحاً:

العيافة زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها، وهو من عادة العرب وهو كثير في أشعارهم.

قال لبيد[2]:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع[3]

يقال: عاف يعيف إذا زجر وحدس وظن[4].

فالعيافة لا تقتصر على التطير بالطير، وإنما قد يدخل فيها الحدس والظن.

وعرَّفها بعضهم بقوله: هي الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الآتية بالمناسبة أو المشابهة الخفية، التي تكون بينهما، أو الاختلاط، أو الارتباط

= أو تتشاءم. القاموس المحيط (٣/ ١٧٨)، ولكن العيافة للفعل والشخص، والزجر للفعل فقط، فالعائف هو الذي يزجر الطير.

(١) انظر: لسان العرب (٦/ ٥٠١)، تاج العروس (٦/ ٢٠٧).

(٢) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، أحد الشعراء الفرسان في الجاهلية، أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ، سكن الكوفة، وهو أحد أصحاب المعلقات.
انظر ترجمته في: الشعر والشعراء (ص١٦٧)، الأعلام (٥/ ٢٤٠).

(٣) انظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب للسيد أحمد الهاشمي (٢/ ٢٣)، الشعر والشعراء (ص١٥٠)، ولبيد بن ربيعة (ص٣٣٦) للدكتور يحيى الجبوري.

(٤) انظر: لسان العرب (٩/ ٥٠١)، والنهاية (٣/ ٣٣٠).

على أن يكون معلولي أمر واحد، أو يكون ما في الحال علة لما في الاستقبال.

وشرط على أن يكون الارتباط المذكور خفياً لا يطلع عليه إلا الأفراد، وذلك إما بالتجارب، أو الحالة المودعة في أنفسهم عند الفطرة[1].

وكان الزجر والعيافة كثيرة عند العرب، فاشتهر منهم أفراد وجماعات حتى أن بعض القبائل عرفت بالعيافة.

فمن ذلك على سبيل المثال: بنو أسد[2]، وبنو لهب[3]، فهم يذكرون بالعيافة ويوصفون بها، فمما قيل عن عيافة بني أسد: أن قوماً من الجن تذاكروا عيافتهم فأتوهم فقالوا: ضلت لنا ناقة فلو أرسلتم معنا من يعيف، فقالوا لغُلَيم منهم: انطلق معهم، فاستردفه أحدهم ثم ساروا، فلقيتهم عُقاب كاسرة أحد جناحيها فاستشعر الغلام وبكى، فقالوا: ما لك؟ فقال: كسرت جناحاً ورفعت جناحاً، وحلفت بالله صراحاً ما أنت بإنس ولا تبغي لقاحاً[4].

فهذه الحادثة كتبت كثيراً في كتب الأدب واللغة لتشهد على صدق عيافة الغلام وصدق عيافة القوم حتى أنهم بعثوا بأصغرهم (غُليم) ومع ذلك عرف أن الذين أتوا إليه جن وليسوا إنساً، وأنهم جاءوا من أجل اختبارهم وليس مقصودهم طلب الناقة.

فمن استمع إلى هذه الحادثة قد يستغرب كيف استطاع هذا الغلام معرفة أنه جني وليس إنسي عن طريق رؤية العقاب... وهذا ما سنحاول الرد عليه من خلال البحث.

أما بنو لهب، فقد روي عنهم، أنه خرج رجل منهم، ولهم عيافة، في

---

(١) انظر: بلوغ الأرب (٣/ ٢٧٤).

(٢) بنو أسد: من عشائر العراق الكبيرة، ويقال لها: بنو أسد، وكان عدادها في بني مالك، وتسكن عشيرة بني أسد بالجزائر.
انظر معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (٤/ ١١)، لعمر رضا كحالة.

(٣) بنو لهب: هم بطن من الأزد من القحطانية، وهم بنو لهب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، كانوا يعرفون بالقيافة والزجر، معجم قبائل العرب (٣/ ١٠١٥)، لأحمد بن حزم الأندلسي.

(٤) لسان العرب (٩/ ٥٠١).

حاجة له ومعه سقاء من لبن، فسار صدر يومه فعطش، فأناخ بعيره ليشرب فإذا الغراب ينعب فأثار راحلته ومضى، فلما أجهده العطش أناخه ليشرب فنعب الغراب فأثار راحلته، ثم في الثالثة نعب الغراب وتمرغ بالتراب، فضرب الرجل السقاء بسيفه، فإذا فيه أسود ضخم ثم مضى، فإذا غراب على سدرة، فصاح به فوقع على سلمة فصاح به، فوقع على صخرة فانتهى إليه، فإذا تحت الشجرة كنز، فلما رجع إلى أبيه قال له: ما صنعت؟ قال: سرت صدر يومي ثم أنخت لأشرب، فإذا الغراب ينعب، قال: أثره وإلا فلست بابني، قال: أثرته، ثم أنخت لأشرب فإذا الغراب ينعب، قال: أثره وإلا فلست بابني، قال: أثرته، ثم أنخت لأشرب فنعب الغراب وتمرغ في التراب، قال: اضرب السقاء وإلا فلست بابني، قال: فعلت فإذا أسود ضخم، قال: ثم قال: رأيت غراباً واقفاً على سدرة، قال: أطره وإلا فلست بابني، قال: أطرته ثم وقع على سلمة، قال: أطره وإلا فلست بابني، قال: أطرته فوقع على صخرة، قال: أخبرني بما وجدت فأخبره[1]، فشهرتهم في العيافة شهرة عظيمة.

حتى قال عنهم الشاعر:

تيمنت لهباً أبتغي العلم عندهم وقد رد علم العائفين إلى لهب

وقال الآخر:

فما أعيف اللهبي لا رد دره وأزجره للطير لا عز نصره[2]

وكذلك اشتهر أفراد بالعرافة والزجر، وكانوا يقصدون لذلك. من أمثلتهم عرّاف اليمامة[3]، وعرّاف نجد[4]، وذكروهم في أشعارهم، قال قائلهم:

فقلت لعرّاف اليمامة داوني فإنك إن داويتني لطبيب[5]

---

(١) انظر: بلوغ الأرب (٣/٣٠٩)، وصبح الأعشى (١/٤٥٦).

(٢) جمهرة أنساب العرب (ص٢٧٩)، قاله كثير عزة لابن حزم.

(٣) رباح أبو طلحة، مولى بني الأعرج بن كعب بن سعد، وله عقب باليمامة كثير. انظر: الشعر والشعراء (ص٤٤١).

(٤) هو الأبلق الأسدي، ولم أقف له على ترجمة. انظر: بلوغ الأرب (٣/٣٠٧).

(٥) لعروة بن حزام. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص٤١٤).

وقال:

جعلت لعرّاف اليمامة حكمة وعرّاف حجر إن هما شفياني
فما تركا من رقية يعلمانها ولا سلوة إلا بها سقياني
فقالا: شفاك الله والله ما لنا بما حُملت منك الضلوع يدان[1]

الألفاظ المستخدمة في العيافة (الزجر):

السانح: وهو ما أتى عن اليمين من الطير ـ لأنه لا يمكن صيده إلا بالانحراف إليه ـ وعن اليسار عند البعض الآخر.

البارح: وهو ضد السانح.

قال المدائني[2]: سألت رؤبة بن العجاج[3]، قلت: ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه، قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره، والذي يجيء من أمامك هو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد[4].

يقول عوف بن عطية[5] في ذلك:

نؤم البلاد لحب اللقاء ولا نتقي طائر حيث طار

---

(١) لعروة بن حزام.
انظر: أمثال الشعر العربي (ص٣٦٢)، عاتق غيث البلادي، الشعر والشعراء (ص٤١٤)، وفي بلوغ الأرب:
جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف نجد إن هما شفياني
انظر (٣/٣٠٦).

(٢) أبو الحسن بن محمد بن عبد الله المدائني الاخباري، صنف التصانيف وكان عجباً في معرفة السير والأنساب وأيام العرب، مصدقاً فيما ينقله، عالي الإسناد، مات سنة ٢٢٤هـ.
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٠٠)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٥٣).

(٣) رؤبة بن العجاج التميمي الراجز البصري، كان رأساً في اللغة.
انظر ترجمته في: الشعر والشعراء (ص٤٩٥)، والسير (٦/ ١٦٢)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٥٠)، خزانة الأدب (١/ ٨٩).

(٤) انظر: العمدة لابن رشيق (١/ ٢٦٣).

(٥) عوف بن عطية بن عمرو، الملقب بالجزع ابن عبس التميمي، من مضر، شاعر جاهلي فحل، أدرك الإسلام، له ديوان شعر صغير.
انظر ترجمته في: طبقات الشعراء (ص٣٦)، الأعلام (٥/ ٩٦).

سنيحاً ولا جارياً بارحاً ... على كل حال تلاقي اليسار[1]

نفهم من ذلك أنهم كانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح من الطير، وربما صدهم هذا التطير عن تحقيق مقاصدهم كرحلة يقومون بها أو إغارة يغيرونها[2].

أما ما استقبلهم فهو: الناطح، وما جاء خلفهم فهو: القعيد.

وقد اختلفوا في اصطلاح معانيها، لأن الزجر وَهْمٌ وخرافة تابع لأقدار الله، فمن زجر طيراً لبانته تفاءل باتجاهها، ومن لم يقض حاجته تشاءم بهذا الاتجاه نفسه، لذا نرى كثيراً من الشعراء نددوا به، وسفهوا المتشائمين خاصة، لأن التشاؤم يدعو إلى الكف والإحجام، أما التفاؤل فإنه يدعو إلى الإنجاز والإقدام.

قال المرقش[3]:

لا يمنعك من بقا ... ء الطير تعقيد التمائم[4]

لا ولا التشاؤم بالعطا ... س ولا التيامن بالمقاسم[5]

ولقد غدوت وكنت لا أغدو ... على واق وحاتم[6]

فإذا الأشائم كالأيا ... من والأيامن كالأشائم[7]

---

(١) انظر: ديوان المفضليات للضبي (ص٨٤٣).

(٢) أديان العرب، للقس جرجس (ص٣٨٠).

(٣) عوف، أو عمرو بن مالك بن ضبعية من بني بكر، شاعر جاهلي، شعره من الطبقة الأولى، ضاع أكثره، توفي عام ٧٥ قبل الهجرة.
انظر ترجمته في: الشعر والشعراء (ص١١٩)، الأغاني (٦/ ١٢٧)، الأعلام (٥/ ٩٥).

(٤) التمائم: جمع تميمة، وهي خرزة رقطاء، تنظم في السير ثم يعقد في العنق فهي عوذة تعلق على الإنسان، يعتقدون أنها تمام الدواء، وكان العرب يعلقونها على أولادهم ينفون بها النفس والعين بزعمهم.
انظر: اللسان مادة (تميم) (٢/ ٥٤).

(٥) المقاسم: جمع القسم بالكسر، أي: الحظ والنصيب من الخير.
انظر: مختار الصحاح (ص٥٣٥).

(٦) واق وحاتم: الواق: من طير الماء. اللسان (١٥/ ١٩١)، الحاتم: الغراب الأسود. اللسان (٣/ ٤٣).

(٧) حماسة البحتري (ص٢٥٥)، الأغاني (٩/ ١٥٧)، اللسان (٣/ ٤٣).

المبحث الثاني

معنى الشؤم، والصفر، والنوء، والهامة

الشؤم في اللغة:

«خلاف اليُمْن»[1]، وقيل: «الشر»[2]، والجمع مشائيم، والواو في الشؤم همزة ولكنها خففت فصارت واواً، وغلب عليها التخفيف حتى لم ينطق بها مهموزاً، وقد شئم عليهم، وشؤم وشامهم، وما أشامه، وقد تشاءم به: تطير.

ويقال: شأم فلان أصحابه إذا أصابهم الشؤم من قبله. قال الجوهري[3]: يقال: ما أشأم فلاناً، والعامة تقول: ما أيشمه، وقد شأم فلان على قومه يشأمهم، فهو شائم إذا جر عليهم الشؤم.

وقد شئم عليهم فهو مشؤوم إذا صار شؤماً عليهم[4].

تشأم: انتسب إلى الشام.

الشام: بلاد من مشامة القبلة، وسميت كذلك لأن قوماً من بني كنعان تشاءموا إليها: أي تياسروا، أو نسبة إلى بسام بن نوح فإنه بالشين بالسريانية أو لأن أرضها شامات بيض وحمر وسود وعلى هذا لا تهمز[5].

---

(١) معجم متن اللغة (٣/ ٢٦٢)، اللسان (٧/ ٧)، النهاية (٢/ ٥١١)، القاموس المحيط (٤/ ١٣٤)، المنجد (١/ ٣٧).

(٢) المصباح المنير (١/ ٤٤٨).

(٣) إسماعيل بن حماد أبو نصر التركي الأتراري، إمام اللغة مصنف كتاب الصِّحاح، واحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة وفي الخط المنسوب، توفي سنة ٣٩٣هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٨٠).

(٤) انظر: اللسان (٧/ ٧)، القاموس المحيط (٤/ ١٣٤).

(٥) انظر: معجم متن اللغة (٣/ ١٦٢)، اللسان (٧/ ٨).

تشاءم: تطير وترقب الشر، وأخذ ذات اليسار أو ناحية الشام[١].

شأمهم عليهم كمنع فهو شائم وشؤم عليهم، ككرم وعليه صار شؤم عليهم، وطائر أشأم جار بالشؤم.

واليد الشؤمى: ضد اليمنى[٢].

المشائمة: الميسرة[٣].

والشئمة مهموزة: الطبيعة[٤].

فالشؤم: هو ما كان في الجهة اليسرى، حتى أن الشام سميت بذلك، لأنها في شؤم العرب، أي: عن يسارهم.

الشؤم اصطلاحاً:

هو ما يكره ويخاف عاقبته، ومنه قول الرسول ﷺ: «إن كان الشؤم ففي ثلاث: المرأة والدار والفرس»[٥].

(أي: إن كان ما يكره ويخاف عاقبته ففي هذه الثلاثة، وتخصيصه لها لأنه لما أبطل مذهب العرب في التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء ونحوها، قال: فإن كانت لأحدكم دار يكره سكناها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس يكره ارتباطها فليفارقها، بأن ينتقل عن الدار، ويطلق المرأة، ويبيع الفرس، وقيل: شؤم المرأة أن لا تلد، وشؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها، وشؤم الفرس أن لا يغزى عليها)[٦].

وله في الفلسفة الحديثة عدة معاني[٧]، وما ينطبق على معنى التشاؤم في

---

(١) انظر: القاموس المحيط (٤/ ١٣٤).

(٢) انظر: لسان العرب (٨/٧)، القاموس (٤/ ١٣٤).

(٣) انظر: لسان العرب (٨/٧).

(٤) انظر: لسان العرب (٨/٧)، القاموس المحيط (٤/ ١٣٤).

(٥) مسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل، وما يكون فيه الشؤم (١٤/ ٢٢١ ـ النووي) بنحوه.

(٦) النهاية (٢/ ٥١٠)، وسوف نتعرض إلى معنى الشؤم في مبحث خاص.

(٧) **أولها**: هو القول أن الوجود شر وأن العدم خير من الوجود. =

نظري هو: ميل النفس إلى إدراك نواحي الشؤم في الأشياء أو ميلها إلى توقع حدوث الشر في كل شيء[1].

ما تشاءم (أو تطير) به العرب:

لقد شمل تشاؤم العرب جميع نواحي الحياة، فهو ـ كما قلنا ـ مأخوذٌ من التطير والطير، ولكنه لم يقتصر على الطير فقط.

التشاؤم بالطيور:

فمنهم من تطير بالطيور والحيوانات، فتطيروا بالغراب، وطيور الليل كالخفاش والبومة والهامة والوطواط[2]، وتشاءموا بطيور أخرى، منها الجراد، لأن فيه معنى الجرد، ولأنه ذات ألوان، والجراد من معانيه القحط والمنع والتعرية والبلى[3].

والبوم من الطيور التي يتشاءم منها بعض الناس، ولعل ذلك بسبب منظرها الكئيب، ولصوتها الحزين، وظهورها في الليل، والليل فيه الظلمة التي تبعث على الخوف، ويدل وصفها بأم (الخراب)، وأم (الصيبان)[4] على الفطرة السنية التي كان العرب يراها لها.

وليس في الأرض بارح ولا نطيح ولا قعيد ولا أعضب ولا شيء يتشاءمون به إلا والغراب عندهم أنكد منه، وأبشع أَخباراً وأشنع أخْبَاراً، فلماذا خصوا الغراب بهذا؟؟!!

= **ثانيها**: أن الشر في الوجود غالب على الخير.
ثالثها: أن الألم في الحياة غالب على اللذة، أو أن الألم أساس الحياة الدنيا.
رابعها: أن الطبيعة (وذلك لأنهم يعتقدون أن الطبيعة هي الخالق وليس الله ﷻ، تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً) لا تكترث بخير الإنسان أو شره ولا بسعادته أو شقاوته.
خامسها: وهو السالف ذكره.
وكل هذه التعريفات تعبر عن نظرة صاحبها إلى الوجود، فهو في بعد عن المنهج القويم والغرض الذي خُلق من أجله. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

(١) المعجم الفلسفي، جميل صليبا (١/ ٢٧٤).
(٢) الوطواط: نوع من أنواع الطيور. (٣) الحيوان (٣/ ٤٢٥).
(٤) أم الصيبان: هي ريح تزعم العرب أنها تهب من مطلع الشمس وتستقبل البيت. انظر: اللسان (٧/ ٢٨٤).

لعل السبب راجع إلى لونه، أو إلى عمله، أو إلى اسمه؛ فهم تطيروا به إن كان أسود وإن كان أبقع.

ولأنه غريب لا ينقطع إليهم، فهو لا يأتي إلا للأماكن الخاوية، فإن بان أهل الدار للنجعة[1]، وقع في مرابض بيوتهم يلتمس ويتطعم، فيتشاءمون به ويتطيرون منه، إذ كان لا يحتري منازلهم إلا إذا بانوا، فسمَّوه: غراب البَين[2].

فاشتقوا من اسمه؛ الغربة والاغتراب والغريب[3].

أما التطير به من ناحية عمله، فذلك لأنه إذا وجد دبرة في ظهر البعير، أو في عنقه قرحة سقط عليها، ونقره وأكله حتى يبلغ الدايات[4].

وليس معنى أنهم كانوا يتطيرون بالغراب أنه مذموم دائماً، فالعرب كانت تتمدحه وإن ذمته في مواقف.

يقال: أبصر من غراب[5]، وأصفى عيناً من غراب[6].

وفي مديح سواده قال امرؤ القيس[7]:

والماء منهمر والشد منحدر ... والنصب مضطر واللون غربيب

(١) النجعة: هي بوزن الرقعة، طلب الكلأ في موضعه، نقول: (انتجع).
انظر: مختار الصحاح (ص٦٤٧).

(٢) الحيوان (٢/ ٣١٥). (كل غراب يقال له: غراب البين إذا أرادوا التشاؤم، أما غراب البين نفسه، فإنه غراب صغير).

(٣) الحيوان (٢/ ٣١٦).

(٤) الحيوان (٣/ ٤٣٣). والدايات: جمع داية وهي فقار الكاحل في مجتمع ما بين الكتفين من كاحل البعير خاصة. اللسان: (٤/ ٢٧٥).

(٥) مجمع الأمثال (١/ ١١٥)، لأبي الفضل حمود بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني، المستقصي للزمخشري (١/ ٢١).

(٦) مجمع الأمثال (١/ ٤١٧)، معجم الأمثال العربية القديمة (١/ ١٢٤).

(٧) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من أشهر شعراء العرب، يماني الأصل، اختلف المؤرخون في اسمه، فقيل: جندب، وقيل: مليكه، وقيل: عدي، مات في أنقرة سنة ٨٠ قبل الهجرة.
انظر: الشعر والشعراء (ص٤٩)، الأعلام (٢/ ١١)، وهذا الشعر قاله يصف الخيل وغربيب: أسود حالك. انظر: ديوان امرؤ القيس (ص٧٦).

ومما يذكر للغراب ما حدَّث به أبو الحسن[1]، عن أبي سليم أن معاوية[2] قال لأبي هوذة بن شماس الباهلي: لقد هممت أن أحمل جمعاً من باهلة في سفينة ثم أغرقهم. قال أبو هوذة: إذن لا ترضى باهلة بعدتهم من بني أمية، قال: اسكت أيها الغراب الأبقع، وكان ابن برص، فقال أبو هوذة: أن الغراب الأبقع ربما درج إلى الرخمة[3] حتى ينقر دماغها ويقلع عينها، فقال يزيد بن معاوية[4]: ألا تقتله يا أمير المؤمنين؟ فقال: مه[5]، ونهض معاوية، ثم وجَّهه بعد في سرية فقتل، فقال معاوية ليزيد: هذا أخفى وأصوب[6].

والقرآن قبل ذلك مدحه عندما قتل ابني آدم أحدهما الآخر، حين قرَّبا قرباناً فحسد الذي لم يتقبل منه المتقبل منه، فقال عندما همَّ بقتله: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[7].

قال الطبري[8] رحمه الله: (عن عبد الله وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ لما مات الغلام تركه بالعراء، ولا يعلم كيف يدفن، فبعث الله ـ جل وعز ـ غرابين أخوين فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه، فحفر ثم حثا عليه، فلما رآه قال: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ﴾، فهو قول الله:

---

(١) علي بن محمد المدائني الاخباري المعروف، سبق التعريف به (ص٤٤).

(٢) معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، مؤسسة الدولة الأموية في الشام، وأحد دعاة العرب المتميزين.
انظر ترجمته في: الأعلام (٧/٢٦٦).

(٣) الرخمة: هو طائر أبقع على شكل النسر، خلق، إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له: الأنوق. انظر: اللسان (٥/ ١٨٠).

(٤) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، ثاني خلفاء بني أمية، توفي بحوارين (من أرض حمص) عام ٦٤هـ. انظر: الأعلام (٨/١٨٩).

(٥) مه: اسم فعل مبني على السكون بمعنى (انكفف). المنجد (١/ ٧٧٧).

(٦) الحيوان (٣/٤٢٧).

(٧) سورة المائدة: الآيات (٢٩ ـ ٣١).

(٨) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، الإمام المفسر المحدث المؤرخ، توفي سنة ٣١٠هـ. وفيات الأعيان (٣/ ٣٣٢)، السير (١٤/ ٢٦٧).

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ﴾[1].

فلولا أن للغراب فضيلة وأموراً محمودة، وآلة وسبباً ليس لغيره من جميع الطير لما وضعه في موضع تأديب الناس، ولما جعله الواعظ والمذكور بذلك (فبعث) أخبر أنه مبعوث وأنه هو اختاره لذلك من بين جميع الطير[2].

ومن مميزاته أن الملوك كانت تضع ريش الغراب إذا انتصرت، فإذا جاءتها الخرائط بالظفر، غرزت فيها قوادم ريش سود[3].

وليس ذلك فقط بل وصل بهم الحد إلى التفاؤل به، وذلك أن الملوك كانت تجعل الريش علامة لحباء[4] الملك[5].

التشاؤم بالحيوان:

أما تشاؤمهم بالحيوان، فقد تشاءموا بالعاطوس[6]، وهي سمكة في البحر أو دابة من الحيوانات التي كان العرب يتشاءمون منها، وكذلك الأخيل[7] وهو الشقراق، يتطيرون منه ويسمونه مقطع الظهور، يقال: إذا وقع على بعير وإن كان سالماً يئسوا منه، وإذا لقي المسافر الأخيل تطيروا بالفقر إن لم يكن موت في الظهر، ويتشاءمون من الثور الأعضب أي المكسور القرن[8].

وأشركوا النبات مع الطير والحيوان، فتشاءموا بالغَرْب[9] والبان[10] والخَلّاف[11] والصفصاف[12]، ولعل السبب أنهم ربطوا بين أسمائها وما تدل

---

(١) جامع البيان (١٠/ ٢٢٥).
(٢) انظر: الحيوان (٣/ ٤١٠ ـ ٤١١).
(٣) انظر: الحيوان (٣/ ٤١٨).
(٤) الحباء: أي العطاء. مختار الصحاح (ص١٢١).
(٥) انظر: الحيوان (٣/ ٤١٧).
(٦) العاطوس. قال ابن الأعرابي: هي دابة يتشاءم بها. انظر: اللسان (٩/ ٢٦٧).
(٧) الأخيل: هو الشقراق، وهو طائر أعظم من الحمام. المنجد (١/ ٣٩٧).
(٨) انظر: العمدة (١/ ٢٦٢)، تاج العروس (٨/ ٦٥).
(٩) الغرب: وهي شجرة حجازية شائكة.
(١٠) البان: شجرة من فصيلة البانيات ذو أوراق طويلة مركبة، أبيض الزهر، يستخرج منه نوع من الزيت. المنجد (١/ ٢٠).
(١١) الخلاف: نبات صنف من الصفصاف. المنجد (١/ ١٩٣). وهي شافية. انظر: اللسان (٧/ ٣٦٤).
(١٢) الصفصاف: نبات جنس شجرة من فصيلة الصفصاف، نبات ينمو في المناطق الباردة =

عليه مادتها من غربة وبَين واختلاف، وهذا ليس مطرداً فربما نظروا إلى مرارة طعم الريحان ـ وهم يتفاءلون بالريحان[1] ـ فتشاءموا به.

التشاؤم ببعض الأيام:

وتشاءموا من بعض الأيام، مثل الأيام النحسات، وهي كل أربعاء يوافق أربعاً من الشهر، وذلك للعذاب الذي أتى قوم عاد. قال تعالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾[2]، أي: مشؤومات، فالعرب تتشاءم بيوم الأربعاء، ويتشاءمون ببعض الشهور مثل شهر شوال، فقد كانوا يكرهون التزويج والتزوج تشاؤماً، لأنهم يتشاءمون من اسمه، حيث أنهم يعتقدون أنه مشتق من (الاشالة) التي هي بمعنى الإزالة والرفع، وهو عندهم كناية عن الهلاك، فكانوا يتوهمون أن المتزوجين فيه تقع بينهم العداوة والبغضاء، وبذلك تزول حظوة المرأة عند زوجها.

وقيل: إنهم كانوا يكرهون ذلك، لأن الإبل في ذلك الوقت تشيل بذنبها بعد الطرق، فتولي عن طَروقها، فالمرأة ـ كما يعتقدون ـ لن تمكن زوجها من نفسها وستمتنع عنه إذا عقد لها في ذلك الشهر.

وقيل: إن السبب في ذلك، أنه وقع في الزمن الأول طاعون في شهر شوال، فمات كثير من العرائس فتشاءموا منه[3].

التشاؤم ببعض الحركات:

ولم يقف تشاؤمهم عند هذا، فإنهم تشاءموا ببعض الأحداث والحركات الصادرة من الإنسان، فإذا انكفأ من المرأة إناء وصب ما فيه تشاءمت واستاءت من ذلك بقولها: دافق خير.

وتشاءموا بالعطاس. قال امرؤ القيس[4]:

= والمعتدلة، بالقرب من المياه. المنجد (١/ ٤٢٧). وقال ابن منظور: هي الخلاف (٧/ ٣٦٤).

(١) الريحان: يتفاءلون به لأنه مشتق من الروح. الحيوان (٣/ ٤٥٧).

(٢) سورة فصلت: الآية (١٦).

(٣) انظر: اللسان (٧/ ٢٤٣)، وانظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص١٤٨).

(٤) سبق التعريف به (ص٤٩)، ديوان امرئ القيس (ص١٣٥)، شرح ديوان امرؤ القيس (ص١٣٧)، نايف حسن السندوسي.

وقد اغتذى قبل العطاس بهيكل   شديد، مشك الجنب، فعم المنطق

أراد أن يتنبّه للصيد قبل أن يتنبّه أحد لئلا يسمع عطاساً فيتشاءم به، وكانوا إذا عطس من يحبونه، قالوا: عمراً وشباباً، وإذا عطس من يبغضونه، قالوا: وَرْياً وقحاباً، والوَرْي - بفتح فسكون - داء يصيب الكبد فيفسدها، وكان الرجل منهم إذا سمع عطاساً يتشاءم به ويقول: بكلابي، وكان تشاؤمهم بالعطسة الشديدة أشد(١).

وقد أرجع ابن رشيق(٢)، سبب ذلك إلى دابة يقال لها: العاطوس يكرهونها(٣).

التشاؤم بالكلمات:

وبعد أن بيّنا ما تتطير به العرب فإنه لا بد من الإشارة إلى أن العرب تسمي المنهوش بالسليم، والبرية بالمفازة، وكنوا الأعمى أبا بصير، والأسود أبا البيضاء، وسموا الغراب بحاتم إذا كان يحتم بالزجر به على الأمور(٤).

فللأسماء والكلمات أثر في الفأل والطيرة، والأعرابي إن شاء اشتق من الكلمة، وتوهم فيها الخير وإن شاء اشتق منها الشر، فهو إن شاء اشتق البين من البينونة، وإن شاء اشتق البيان.

ولإيمانهم بباب الطيرة عقدوا الرتائم(٥)، وعشَّروا إذا دخلوا القرى تعشير الحمار، واستعملوا في القداح الأمر والناهي، والمتربص وهو غير قداح الأيسار.

ومن خلال ما سبق، نرى أن العربي تشاءم من كل شيء ومن كل ما حوله من الطير والحيوان والنبات والحركات والأسماء والكلمات، ويرجع ذلك إلى معنى الكلمة أو صفاتها، أو ما يوحي إليه ذهنه به في تلك اللحظة، فهي كما عرفناها من قبل بأنها ترجع إلى الحدس والظن.

فالتشاؤم والتفاؤل مرجعه لحدوث موقف معين، أثر عليه، وهذا ما يسمى

---

(١) انظر: بلوغ الأرب (٢/ ٣٦٦).

(٢) الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي، أديب، وناقد، وباحث، كان أبوه من موالي الأزد، ولد في المسيلة (بالمغرب). من كتبه: العمدة في صناعة الشعر ونقده، شرح موطأ مالك، توفي سنة ٤٦٣هـ.
انظر ترجمته في: الأعلام (٢/ ١٩١).

(٣) انظر: العمدة لابن رشيق (١/ ٢٦٠).

(٤) انظر: الحيوان (٣/ ٥٠٦).

(٥) الرتم: جمع رتيمة، وهو نوع من أنواع التمائم.

عند علماء النفس بالاقتران الشرطي[1].

وأغلب العرب تعتقد بها وتتأثر بها، فقد ذكر عن العكلي[2] أنه خرج في تسعة نفر هو عاشرهم ليصيبوا الطريق، فرأى غراباً واقفاً فوق بانة[3]، فقال يا قوم إنكم تصابون في سفركم هذا فما زجُروا، وأطيعوني وارجعوا، فأبوا عليه، فأخذ فرسه وانصرف، وقُتلت التسعة، فأنشد يقول:

رأيت غراباً واقفاً فوق بانة ينشنش أعلى ريشه ويطايره
فقلت غراباً اغتراب من النوى وبانة بين من حبيب تجاوره
فما أعيف العكلي لا در دره وأزجره للطير لا عز ناصره[4]

اختلاف العرب في إيمانهم بالطيرة:

واختلف العرب في إيمانهم بالطيرة، هناك من يعتقد بها وبتأثيرها ويخاف منها، وهناك من لا يلقي إليها بالاً، وهناك من ينكرها، فإن قائلهم[5] يقول:

ولقد غدوت وكنت لا أغدوا على واق وحاتم
فإذا الأشائم كالأيا من والأيامن كالأشائم
وكذلك لا خير ولا شر على أحد بدائم
لا يمنعك من بقاء الـ خير تعقيد التمائم
قد خُط ذلك في السطو ر الأوليات القوائم[6]

وهناك من ذمها وبيَّن أنها تعتمد على الظن، وأن كل ما يحدث بقضاء الله وقدره.

---

(١) الاقتران الشرطي: هو تعليق شيء بشيء، إذا وجد الأول وجد الثاني، وقيل: ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجاً عن ماهيته ولا يكون مؤثراً في وجوده. انظر: المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية (ص١٠٢).

(٢) العكلي: لم أقف على ترجمة له.

(٣) البان: شجرة حجازية ذات أشواك.

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٠)، وهذه قد تعتبر صورة من صور التطير، ولكني ذكرتها هنا حتى أبين مذاهبهم في التطير.

(٥) قال ذلك: المرقش، وسبق التعريف به.

(٦) الواقي: طائر ضخم الرأس يشبه العصافير، والحاتم، الغراب الذي يحتم بالفراق، والتمائم: جمع تميمة، وهي خرزة رقطاء تنظم في السير ثم تعقد عند عنق الصبي، تعوذه من تميمة العين إذا كبر قطعت.

فقد قال جهم الهذلي[1]:

يظنان ظناً مرة يخطئانه وأخرى على بعض الذي يصفان
قضى الله أن لا يعلم الغيب غيره في أي أمر أمر الله يعتريان

وقال لبيد[2]:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع[3]

ولم يقتصر بعضهم على إنكار التطير ورفضه، بل زاد على جحدهم له، أنه شؤم على من يعتقده، لأنه يعوقه عن عمله ويزعزع ثقته ويبلبل عقله.

قال علقمة بن عبدة[4]:

ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد مشؤوم[5]

وكان من الطبيعي أن يكون شعراء الإسلام أكثر تنديداً بالزجر والزاجرين، لأنه يفتِّر العزائم، ويعوق من الأعمال، ويكل الغيب إلى غير الله تعالى علام الغيوب. ولكن التشاؤم بالغراب بقي إلى ما بعد الإسلام، وما زال الناس يتشاءمون به وبالبوم إلى اليوم.

قال عمرو بن ربيعة[6]:

نعب الغراب بين ذات الدبح ليت الغراب بهما لم يشجع[7]

---

(١) جهم الهذلي، لم أقف على ترجمة له. (٢) سبق التعريف به (ص٤١).

(٣) بلوغ الأرب (٣/ ٣٢٠)، الشعر والشعراء (ص١٧٠). لبيد بن ربيعة العامري، يحيى الجبوري (ص٣٢٦).

(٤) علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس، من بني تميم، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، كان معاصراً لامرئ القيس، توفي نحو سنة ٢٠ق.هـ.
انظر ترجمته: الشعر والشعراء (ص١٢٥)، الأعلام (٤/ ٢٤٧).

(٥) ديوان المفضليات للضبي (٢/ ١٠١)، الحياة العربية من الشعر، د.أحمد الحوفي (ص٣٨٨).

(٦) عمرو بن ربيعة بن كعب اليمني السعدي، شاعر من المعمرين الفرسان في الجاهلية، أدرك الإسلام، يكنى أبا الخطاب.
انظر ترجمته في: الشعر والشعراء (ص٣٦٧)، الأعلام (٥/ ٧٧).

(٧) يشجع: يصوت، يقال: شجع الغراب إذا غلظ صوته لكبر سنه.

اختلاف العرب فيما يتطير به:

وقد اختلفوا كذلك في الطيرة، فكما أن عمرو بن ربيعة يتطير بالغراب هناك من يبرئ فيها الغراب من الطيرة ويقول: إذا كان للناس أن يتطيروا ففي الإبل، لأنها مطايا الغربة والفرقة.

فقد اعتذر أبو الشيص[1] للغراب، وتطير بالإبل:

الناس يلحون غرا ... ب البين لما جهلوا
وما على ظهر غرا ... ب البين تمطى الرحل
ولا إذا صاح غرا ... ب في الديار احتملوا
وما فرَّق الأحباب بعد ... الله إلا الإبل
وما لغراب البين ... ناقة أو جمل[2]

ولقد عرف البعض أن الطيرة مجرد وهم ومصادفة، وليست على أساس من الحقيقة والواقع، فقد قال النابغة[3]:

تعلم أن لا طير إلا ... على متطير، وهي الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء ... أحايينا وباطله كثير[4]

فالنابغة كان يسير مع زياد بن سيار يريدان الغزو، فرأى زياد جرادة، فقال: حرب ذات ألوان، ثم رجع، ومضى النابغة في سبيله، فلما رجع غانماً، قال:

يلاحظ طيره أبداً زياد ... لتخبره، وما فيها خبير
أقام كأن لقمان بن عاد ... أشار له بحكمته مشير

وبعده البيتين السابقين[5].

---

(١) محمد بن علي بن عبد الله بن رزين بن تميم الخزاعي، شاعر من أهل الكوفة، وأبو الشيص، لقب، وكنيته أبو جعفر، توفي ١٩٦هـ.
انظر ترجمته في: الشعر والشعراء (ص٥٧١)، الأعلام (٦/ ٢٧١).

(٢) العمدة لابن رشيق (١/ ٢٦١). وانظر: الشعر والشعراء (ص٥٧٢).

(٣) هو زياد بن معاوية، ويكنى أبا أمامة، ويقال: أبا ثمامة، ويقال: كان النابغة شعره كلاماً ليس فيه تكلفاً ونبغ بالشعر بعدما طعن في السن. انظر: الشعر والشعراء (ص٨٣).

(٤) العمدة لابن رشيق (١/ ٢٦١).

(٥) ديوان النابغة (ص٦٥)، وانظر: المفضليات (ص٨١١).

ويقول ابن حجر[1]: وليس في شيء من سنوح الطير وبروحها ما يقتضي ما اعتقدوه[2]، وإنما هو تكلف يتعاطى ما لا أصل له، إذ لا نطق للطير ولا تميز، فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه وطلب العلم من غير مكانه جهل من فاعله.

الصفر لغة:

يقال: بيت صفر، أي: خال من المتاع.

وصفر الشيء يصفر - من باب - تعب إذا خلا، فهو صفر، وأصفر بالألف لغة، والصفر مثل قفل، وكسر الصاد لغة: النحاس[3].

صفر الإناء: إذا خلا حتى يسمع منه صفر، ثم صار متعارفاً في كل حال من الآنية وغيرها[4].

صفر صفيراً: صوت بالنفخ من شفتيه، والعامة تقول: صوفر.

صفر صفراً: اجتمع في بطنه الصفار فهو مصفور، صفر الشيء صيّره أصفر[5].

وصفر الشهر بعد المحرم. وقال ابن دريد[6]: الصفرات شهران من السنة

---

(١) هو أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني، شافعي المذهب، شهد له أعيان عصره بالحفظ. له مؤلفات كثيرة، أعظمها: فتح الباري شرح كتاب البخاري، توفي سنة ٨٥٢.
انظر: شذرات الذهب (٧/ ٢٧)، الضوء اللامع (٢/ ٣٦).

(٢) فتح الباري (١٠/ ١٧٤).

(٣) أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي، صاحب التصانيف، ارتحل إلى بغداد، وأخذ عن الزجاج. ومن كتبه: إعراب القرآن، توفي سنة ٣٨٣هـ.
انظر ترجمته في: طبقات النحويين اللغويين (ص٢٣٦)، البداية والنهاية (١١/ ١٢٢).
انظر: المصباح المنير (١/ ٤٦٧).

(٤) انظر: المفردات (ص٤٨٧).

(٥) انظر: اللسان (٧/ ٣٥٩)، المنجد (١/ ٤٢٧).

(٦) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، صاحب التصانيف، تنقل في فارس وجزائر البحر يطلب الأدب ولسان العرب، ففاق أهل زمانه، ثم سكن بغداد، وتوفي فيها سنة ٣٢١هـ.
انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٥٢٠)، السير (١٥/ ٩٦).

سمي أحدهما في الإسلام المحرم[١].

وقيل: الشهر الثاني من السنة القمرية، يقع بين محرم وربيع، وعدد أيامه ثمانية وعشرون يوماً، وقيل: سمي بذلك لإصفار مكة من أهلها، إذا سافروا منه، وقيل: إنهم كانوا يغزون القبائل فيتركون من أغار عليه صفراً من الأمتعة.

فالصفر لغة: هو الخلو، وأطلق العرب على الشهر صفر، لأن مكة تخلو في ذلك الوقت من الناس فهم يذهبون لغزو القبائل.

الصفر اصطلاحاً:

في الاصطلاح يطلق على عدة معاني:

- على خلو الجوف والعروق من الغذاء.
- أو أن معناه يعود إلى سببه، وهي حية في البطن تعض بعض الشراسف إذا جاع وتؤذيه وأنها تُعدي[٢]. قال الأعشى[٣]:

لا يتأرى لما في القدر يرضيه ولا يعض على شرسوفه الصفر

- وقيل: أراد به النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلون صفر ربيع فأبطله الإسلام[٤]. قال أبو هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»[٥].

وكل هذه المعاني لهذه اللفظة قد اعتقدها الجهال[٦].

---

(١) انظر: المصباح (١/ ٤٦٧)، القاموس (٢/ ٧٠)، اللسان (٧/ ٣٥٨).

(٢) انظر: المفردات (١/ ٤٨٧)، النهاية (٥/ ٣٥)، القاموس (٢/ ٧)، اللسان (٧/ ٣٥٩)، المصباح (ص٣٩٨)، قرة عيون الموحدين (ص١٧٨).

(٣) هو سعد بن ضبيعة بن قيس، وكان أعمى، ويكنى أبا بصير، وكان جاهلي قديماً، أدرك الإسلام ولم يسلم. انظر: طبقات الشعراء (ص١٥٤).

(٤) النهاية (٣/ ٣٥)، معارج القبول للحكمي (ص٣٩٩)، قرة عيون الموحدين (ص١٧٨).

(٥) البخاري، الطب، باب الصفر، هو داء يأخذ البطن (١٠/ ١٧١)، أخرجه البغوي في شرح السنّة، باب ما يكره من الطيرة وأسباب الفأل (١٢/ ١٦٧).

(٦) النهاية (٣/ ٣٥)، معارج القبول (٢/ ٣٩٩).

وقال ابن رجب[1]: ولا صفر، اختلف في تفسيره، فقال كثير من المتقدمين: الصفر داء في البطن، يقال: إن فيه دود كبار، كالحيات، وكانوا يعتقدون أنه يعدي، فنفى ذلك النبي ﷺ.

وممن قال هذا من العلماء: ابن عيينة[2]، والإمام أحمد[3]، وغيرهما. ولكن لو كان كذلك لكان هذا داخلاً في قوله: «لا عدوى»، وقد يقال: هو من باب عطف الخاص على العام وخصه بالذكر لاشتهاره عندهم بالعدوى. وقالت طائفة: بل المراد بصفر شهر صفر، ثم اختلفوا في تفسيره على قولين:

الأول: أن المراد نفي ما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، فكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه، وهذا قول مالك[4].

الثاني: أن المراد أن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بصفر ويقولون: إنه شهر مشؤوم، فأبطل النبي ﷺ ذلك، وهذا حكاه أبو داود[5]، عن محمد بن راشد المكحولي[6]، عمّن سمعه يقول ذلك، ولعل هذا القول أشبه الأقوال، وكثير من الجهال يتشاءم بصفر، وربما ينهى عن السفر فيه، والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها[7].

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، المحدث الفقيه الزاهد. صنف تصانيف ملحقة، وقرّاء القرآن بالروايات، توفي سنة ٧٩٥هـ.
انظر ترجمته: الدرر الكامنة (ص٤٣٨)، شذرات الذهب (٦/ ٣٣٩).

(٢) سفيان بن عيينة الهلالي، كان يقول: أول من أقعدني للحديث أبو حنيفة، توفي سنة ١٩٨هـ، أحد الثقات الأعلام.
انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال (٢/ ١٧١)، الجواهر المضيئة (٢/ ٢٣٠).

(٣) سبق التعريف به (ص٢٥).

(٤) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، وإليه تنسب المالكية، ولد وتوفي في المدينة سنة ١٧٩هـ. انظر ترجمته في: الأعلام (٥/ ٢٥٧).

(٥) أخرجه أبو داود رقم الحديث (٣٩١٥) في الطب، باب في الطيرة.

(٦) محمد بن راشد المكحولي الخزاعي الدمشقي، نزل البصرة، صدوق يهم، ورمي بالقدر، مات سنة ١٦٠هـ. التقريب (٢/ ١٦٠).

(٧) لطائف المعارف لابن رجب (ص٤٧ و١٤٨).

فابن رجب رحمه الله يرجح أن المراد به شهر صفر، ولكن لا يمنع أن يكون الرسول ﷺ يقصد هذه المعاني كلها فقد أوتي جوامع الكلم، والأرجح والله أعلم أن المقصود بها جميع المعاني: عدم التشاؤم من الحية خشية الأعداء، وعدم الزيادة في الشهور، وكذلك عدم التشاؤم بشهر صفر، فيحمل على جميع ما كانت العرب تعتقده في (صفر).

ولحماية العقيدة وأهلها من أفعال الجاهلية وأعمالها نجد الرسول ﷺ ينهى عن أمر لا يقل خطورة على المعتقد وهو التعلق بالأنواء وربط الأسباب بها من نزول مطر أو غيرها، وهذا ما سوف نتحدث عنه في الصفحات القادمة حتى لا يقع الإنسان بتبعات الجاهلية ويبعده عن مبدأ التوكل على الله سبحانه.

النَّوء في اللغة:

ناء بحمله، ينوء نوءاً، وتنوء: نهض بجهد ومشقة، وقيل: أثقل فسقط، فهو من الأضداد:

ناء بالجمل: إذا نهض به مثقلاً.

وناء به الحمل: إذا أثقله وأماله[(١)].

والنوء: النجم إذا مال للمغيب، والجمع أنواء ونواء. قال حسان بن ثابت[(٢)]:

ويثرب تعلم أنا بها ... إذا قحط الغيث نواؤها[(٣)]

وقيل: أصل النوء: الميل في شق، واستخدمت للنجم لأنه يميل للمغيب[(٤)].

النوء اصطلاحاً:

نعني بالنوء سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه، وهو

---

(١) اللسان (١٤/٣١٥)، المنجد (١/٨٤٤).

(٢) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن النجار، سيد الشعراء المؤمنين، أبو الوليد، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه، توفي سنة ٤٠هـ.
انظر: أسد الغابة (٢/٥)، السير (٢/٥١٢).

(٣) ديوان حسان بن ثابت (ص٢٥٤).

(٤) انظر: اللسان (٩/٣١٧).

نجم آخر يقابله، من ساعته في المشرق في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً[1].

وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة، ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوماً فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة[2]، وذلك الطلوع هو النوء.

وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها[3]، وقيل: إلى الطالع منها[4]، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك النجم إليه، فيقولون: مطرنا بنوء الثريا والدبران.

وقال أبو حنيفة[5]: نوء النجم: هو أول سقوط يدركه بالغداة، إذا همت الكواكب بالمصوح وذلك في بياض الفجر المستطير.

والأنواء ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف، يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته[6] فتكون ثمانية وعشرين نجماً، وهذه الثمانية والعشرين هي منازل القمر وهي معروفة عند العرب وغيرهم من الفرس والروم والهند ولم يختلفوا في أنها ثمانية وعشرون، ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها[7] ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾[8]، وهي: الشرطان، والبُطين، والنجم، والدبران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرق، والجبهة، والخراتان، والصرفة، والعواء، والسماك، والغفر، والزباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرغ الدلو المقدم، وفرغ الدلو المؤخر، والحوت[9]، ولا تسمي بها العرب كلها إنما تذكر بعضها

---

(١) القاموس (١/ ٣١)، اللسان (٩/ ٣١٦)، المنجد (١/ ٨٤٤).

(٢) اللسان (٩/ ٣١٦)، المنجد (١/ ٨٤٤).

(٣) اللسان (١٤/ ٣١٦)، المنجد (١/ ٨٤٤). (٤) مختار الصحاح (ص٦٨٣).

(٥) الإمام النعمان بن ثابت التميمي بالولاء الكوفي، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد، أحد الأئمة الأربعة، قيل: أصله من أبناء فارس، توفي سنة ١٥٠هـ. انظر: البداية والنهاية (١٠/ ١٠٧).

(٦) اللسان (١٤/ ٣١٦). (٧) المرجع السابق (١٤/ ٣١٦).

(٨) سورة يس: الآية (٣٩). (٩) اللسان (١٤/ ٣١٦).

التي يأتي بها مطر فتسميه نوء، سمي نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق نوءاً أي: نهض وطلع[1].

وقد شدد النبي ﷺ على من ينسب المطر إلى الأنواء فقال: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا»[2]. وقد غلظ النبي ﷺ على ذلك لأنها تنسب الفعل إلى النوء، لا إلى الله، أما من قال: مطرنا بنوء كذا ولم يرد ذلك المعنى، ومراده أنا مطرنا في هذا الوقت ولم يقصد أنه فعل النجم فذلك ـ والله أعلم ـ جائز، كما جاء عن عمر رضي الله عنه أنه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس[3] كم بقي من نوء الثريا؟ فقال: إن العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعاً بعد وقوعها، فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس فإنما أراد عمر رضي الله عنه، كم بقي من الوقت الذي جرت به العادة أنه إذا تم أتى الله بالمطر[4]، فعمر رضي الله عنه يقصد أنها تهطل الأمطار في هذا الوقت وليست المسببة، فالأسباب بيد الله يحركها كيف يشاء، وقد أجرى الله ذلك عادة بأن يكون مطر في ذلك الوقت، فالله تعالى يقول: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾[5]، فقد بيّن الله أن ما أصاب العباد من خير فلا ينبغي أن يروه من قبل الوسائط التي جرت العادة بأن تكون أسباباً، بل ينبغي أن يروه من قبل الله تعالى، ثم يقابلونه بشكر إن كان نعمة، أو صبر إن كان مكروهاً تعبداً له وتذللاً... وقد فسره ابن عباس: أن المراد به الاستسقاء بالأنواء، وهو قول العرب: مطرنا بنوء كذا[6].

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر»، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ

---

(١) اللسان (١٤/٣١٦).

(٢) مسلم، الإيمان، باب كفر من قال: مطرنا بالنوء (٢/ ٦٢).

(٣) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي أبو الفضل المكي، عم الرسول ﷺ. انظر ترجمته في: التهذيب (٥/ ١٠٧).

(٤) انظر: اللسان (١٤/٣١٧).

(٥) سورة الواقعة: الآية (٨٢).

(٦) انظر: جامع الأحكام (١٧/ ١٤٧).

ﭐلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾[(١)].

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج في سفر فعطشوا، فقال النبي ﷺ: «أرأيتم إن دعوت الله لكم فسقيتم لعلكم تقولون هذا المطر بنوء كذا»، فقالوا: يا رسول الله ما هذا بحين الأنواء، فصلى ركعتين ودعا ربه فهاجت ريح ثم هاجت سحابة فمطروا، فمر النبي ﷺ ومعه عصابة من أصحابه، برجل يغترف بقدح له وهو يقول: شبعنا بنوء كذا ولم يقل هذا من رزق الله فنزلت الآية: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

أي: شرككم لله على رزقه إياكم، ﴿أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ بالنعمة وتقولون: سقينا بنوء كذا، كقولك: جعلت إحساني إليك إساءة منك إليّ، وجعلت إنعامي لديك اتخذتني عدواً[(٢)].

وفي الموطأ[(٣)] عن زيد بن خالد الجهني[(٤)] أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ وقال: «أتدرون ماذا قال ربكم؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بالكواكب، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك مؤمن بالكواكب وكافر بي».

قال الشافعي[(٥)] رحمه الله: لا أحب أحداً أن يقول: مطرنا بنوء كذا وكذا

---

(١) سورة الواقعة: الآيات (٧٥ ـ ٨٢). مسلم، كتاب الأيمان، باب كفر من قال: مطرنا بالنوء (٢/ ٦٢ ـ نووي).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٤٨).

(٣) متفق عليه. البخاري، الاستسقاء، باب قوله تعالى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (٢/ ٥٢٢ ـ فتح). مسلم، باب كفر من قال: مطرنا بالنوء (٢/ ٥٩ ـ نووي).

(٤) زيد بن خالد الجهني أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو طلحة المدني، توفي في المدينة سنة ٧٨هـ، وقيل: في الكوفة. انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٣٥٤).

(٥) الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث أبو عبد الله، نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه. السير (١٠/ ٥)، التاريخ الكبير (١/ ٤٢)، طبقات الحنابلة (١/ ٢٨٠).

وإن كان النوء عندنا الوقت المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يمطر ولا يحبس سحابة المطر، الذي أحب أن يقول: مطرنا وقت كذا كما نقول: مطرنا شهر كذا، ومن قال: مطرنا بنوء كذا، وهو يريد أن النوء أنزل المطر، كما عنى بعض أهل الشرك من الجاهلية بقوله فهو كافر حلال دمه إن لم يتب.

وقال أبو عمر بن عبد البر[1]: (أما قوله عليه الصلاة والسلام طالباً من الله سبحانه: «أصبح من عبادي مؤمن به وكافر»، فمعناه عندي على وجهين:

الأول: فإن المعتقد بأن النوء هو الموجب لنزول المطر، وهو المنشئ للسحاب دون الله ﷻ، فذلك كافر كفراً صريحاً يجب استتابته عليه وقتله إن أبى، لنبذه الإسلام ورده القرآن.

الثاني: أن يعتقد أن النوء ينزل الله به الماء، وأنه سبب الماء على ما قدره الله وسبق في علمه، وهذا وإن كان وجهاً مباحاً، فإن فيه أيضاً كفراً بنعمة الله ﷻ، وجهلاً بلطيف حكمته في أن ينزل الماء متى شاء مرة بنوء كذا، ومرة بنوء كذا، وكثيراً ما ينوء النوء فلا ينزل معه شيء من الماء، وذلك من الله تعالى لا من النوء)[2].

وهذا نهج الرسول ﷺ، وعلى نهجه سار الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان، فكان أبو هريرة يقول: إذا أصبح وقد مطر: مطرنا بنوء الفتح ثم يتلو: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾[3].

وقد نهج التابعون نهج الصحابة بعدم الإيمان بالنجوم والتطير بها. قال ابن عبد الحكم: لما خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة قال مزاحم: فنظرت فإذا القمر في الدبران فكرهت أن أقول له فقلت: ألا تنظر إلى القمر ما أحسن استواءه في هذه الليلة، قال: فنظر عمر فإذا هو في الدبران، فقال: كأنك أردت

---

(١) أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، الإمام المشهور، صاحب التصانيف البديعة، توفي سنة ٤١٣هـ.

انظر ترجمته في: الديباج المذهب (٣/٣٦٧)، وفيات الأعيان (٦/٦٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٤٨، ١٤٩).

(٣) سورة فاطر: الآية (٢). موطأ مالك، باب الاستمطار بالنجوم (ص١٣١).

أن تعلمني أن القمر في الدبران، يا مزاحم إنا لا نخرج بشمس ولا بقمر ولكنا نخرج بالله الواحد القهار[1].

ولكن تعلُّم النجوم والاستسقاء بها موجود ولن يزولَ عن أمة محمد ﷺ فقد تبيّن من حديث أنس بن مالك[2] قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يزلن في أمتي: التفاخر في الأحساب، والنياحة والأنواء». ولفظ مسلم في هذا: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم والنياحة»[3].

ينقسم علم التأثير إلى قسمين:

وقد قسم العلماء تعلم النجوم إلى قسمين: قسم مباح وهو علم التسيير[4] لا التأثير، وقسم محرم وهو التأثير، وينقسم علم التأثير إلى قسمين:

أحدهما: القول بأن الكواكب فاعلة، مختارة، وأن الحوادث مركبة على تأثيرها، وهذا كفر بالإجماع.

الثاني: الاستدلال على الحوادث بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها، فلا شك في تحريمه وإن قالوا: إن ذلك بتقدير الله ومشيئته[5].

وهذا النوع هو الموجود الآن، فيما يُعرف ببرجك أو حظك هذا اليوم فهو يظن أن للبروج تأثيراً على الإنسان. مثال ذلك: المشتري في المنزل الرابع، في هذه الفترة أنت محتاجة إلى الاستقرار الداخلي، والشعور بالأمن والسلام، المنزل الرابع يمثل علاقاتك البيئية وحياتك الشخصية، وهو كفيل بتطوير تلك العلاقات في جميع مناحي حياتك[6]... إلى غير ذلك من تلك الترهات.

إن القائل بهذا يظن أو يوحي للناس أن للكواكب تأثيراً في حياة الشخص فهو

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٢٣٥). (٢) سبق التعريف به (ص٣٨).

(٣) أورده الطيالسي بنحوه (ص٣١٥) في مسنده، ومسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، المسند (٥/ ٣٤٢)، الأحاديث الصحيحة للألباني (٢/ ٢٩٩).

(٤) وهو معرفة أقدار الأفلاك والكواكب وصفاتها ومقادير حركاتها، وما يتبع ذلك، فهذا في الأصل علم صحيح كمعرفة الأرض وصفاتها ونحو ذلك. انظر: الفتاوى (٣٥/ ١٨١).

(٥) حاشية كتاب التوحيد لعبد الرحمن النجدي (ص٢٢٣). وانظر: الفتاوى (٣٥/ ١٨٠).

(٦) مجلة الرياضة والشباب عدد (٧١٠) (ص٨٠) للدكتور محمد رفيع الدين.

يقول هو كفيل؟؟ كأن الأبراج هي التي تحدث للإنسان حياته أو علاقاته وليس الله.

فنرى هذا الشخص قد استغل ضعف الإيمان عند بعض الناس وحبهم لاستطلاع الغيب إلى ادعاء ما لا علم له به، فنراه يطلب من الناس إعطاءه بعض المعلومات الشخصية حتى يخبرهم عما يحدث لهم في المستقبل.

* **الاسم الأول:** الاسم المستعار:

تاريخ الميلاد: يوم: شهر: سنة:

ساعة الميلاد: قبل/ بعد الظهر

مكان الميلاد: البلد: محل الولادة:

* **ضع علامة × داخل الخانة التي تريد معرفتها والاستفسار عنها؟**

البروز **الأمور المالية**

الأطفال، الأمور العاطفية، المستوى التعليمي

القروض، الصحة، الأعداء

الزواج، الشراكة في العمل

المفاجآت

السفر

ما هي العطور: الأحجار الكريمة، والجواهر، والألوان، والأرقام التي تناسبك؟

هل اسمي يناسب تاريخ ميلادي؟

* **الجواب:**

إلى ع: تبوك السعودية:

تاريخ ولادتك، الميلاد في ٢٦/ ١٠/ ١٩٧١م، ورقماك (٨) و(٩) يتحكم بهما زحل والمريخ وهما توليفة الشك، أنت في صراع بين القديم والحديث وأفضل زيجة لك من الثور أو الرقم (٦٠)[1].

---

(١) الرياضة والشباب، عدد (٧٠٩)، ١٥ نوفمبر ١٩٩٤م، (ص٧٨).

إلى: رائدة ـ السعودية:

علاقاتك الأسرية ممتازة، وأحد إخوانك يقدم لك دعماً كبيراً، وتنسجمي مع الميزان والعقرب، تجنبي العلاقات مع أصحاب الرقمين (٨) و(٢٢)، وقد تتحقق أمانيك خلال خمس سنوات إن شاء الله[١].

فنرى مثل هذه الخرافات الكثير الكثير، وقد يصدق بها البعض وقد ينكرها، وقد يقرأها للتسلية، ويرجع ذلك إلى مدى إيمانه بها، أو إلى قوة إيمانه بالله ﷻ، وعلمهم أنه لا يعلم الغيب إلا الله، وأن النجوم لم تخلق إلا لثلاث.

قال قتادة[٢]: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به[٣].

أما ما فيه من الحق فهو شبيه بما قال إمام هؤلاء ومعلمهم أبو نصر الفارابي[٤]، قال ما مضمونه: أنك لو قلَّبت أوضاع المنجمين، فجعلت مكان السعد في مكان النحس سعداً، أو مكان الحار بارداً، أو مكان البارد حاراً، أو مكان المذكر مؤنثاً، أو مكان المؤنث مذكراً، وحكمت، لكان حكمك من جنس أحكامهم، يصيب تارة ويخطئ أخرى[٥].

الهامة في اللغة:

الهاء والألف والميم: أصل صحيح يدل على علو بعض الأعضاء، ثم

---

(١) الرياضة والشباب، عدد (٧٠٤)، أكتوبر ١٩٩٤م، (ص٨٠).

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري، مفسر وحافظ، ضرير أكمه، كان يُرمى بالقدر ويدلس، توفي سنة ١١٨هـ.
انظر: الأعلام (٥/ ١٨٩)، طبقات المدلسين (ص٦٧).

(٣) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ص٢٨).

(٤) محمد بن محمد بن طرخان أبو النصر الفارابي التركي الفيلسوف، كان من أعلم الناس بالموسيقى، وكان حاذقاً في الفلسفة. ومن كتبه تفقه ابن سينا، كان يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني، مات في دمشق سنة ٣٣٩هـ.
انظر ترجمته في: البداية والنهاية (١١/ ٢٣٨)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤١٦).

(٥) انظر: الفتاوى (٣٥/ ١٨٢).

يستعار للرأس[1]، وهامة القوم: سيدهم[2].

وقيل: الهامة رأس كل شيء من الروحانيين.

وقيل: ما بين حدتي الرأس.

وقيل: وسط الرأس ومعظمه من كل شيء.

وقيل: الهامة أعلى الرأس وبينه الناصية والقصة[3].

فالهامة: هي رأس كل شيء وأعلاه.

الهامة اصطلاحاً:

هي نوع من البوم الصغير تألف القبور والأماكن الخربة، تنظر في كل مكان أينما درت دارت رأسها، وتسمى أيضاً: الصدى[4].

وقيل: هي جمع هامه من عظام الميت التي تصير هامة.

وقيل: هي البومة.

وقيل: هي الناقة تعقل عند قبر صاحبها حتى تبلى، وكان أهل الجاهلية يزعمون أن صاحبها يركبها يوم القيامة ولا يمشي إلى المحشر.

وكانت العرب تقول: إن القتيل تخرج هامة من هامته، وهي روح القتيل الذي لم يدرك بثأره فتصير هامة فتزقو عند قبره تقول: اسقوني، اسقوني فإذا أدرك بثأره طارت، وهذا المعنى أورده جرير[5] بقوله:

ومنا الذي أبكى صدى بن مالك ونفر طيراً عن جعادة وقعا[6]

وفي مروج الذهب للمسعودي: من العرب من يزعم أن النفس طائر

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن الحسن بن فارس (٦/ ٢٧).

(٢) انظر: القاموس المحيط (٤/ ١٩٢)، النهاية (٥/ ٢٨٣)، اللسان (١٠/ ١٦٣).

(٣) انظر: اللسان (١٥/ ١٦٣).

(٤) اللسان (١٥/ ١٦٣)، المنجد (١/ ٨٧٨).

(٥) جرير بن عطية بن الخطفي التميمي البصري أبو حمزة، توفي سنة ١١٠هـ بعد الفرزدق بشهر. انظر: السير (٤/ ٥٩٠).

(٦) يقول: قتل قاتله فنفرت الطير عن قبره. انظر: اللسان (١٥/ ١٦٢).

ينبسط في الجسم، فإذا مات الإنسان أو قتل لم يزل يطيف به مستوحشاً يصدح على غيره. ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر حتى يكون كضرب من البوم وهو أبداً مستوحش، ويوجد في الديار المعطلة ومصارع القتلى والقبور وأنها لم تزل عند ولد الميت وخلفه لتعلم ما يكون بعده فتخبره[١].

وقيل: الهامة أنثى الصدى وهو ذكر البوم، وقد يسمونها الصدى والجمع أصداء[٢].

يقول: قتل قاتله فنفرت الطير عن قبره، وأزقت هامة فلان إذا قتله قال:

فإن تك هامة بهراة تزقو ... فقد أزقت بالحردين هاماً[٣]

ولكن الإسلام نفى التشاؤم ونفى الهامة. عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر»[٤].

والإسلام حرم الثأر والأخذ به وجعل نيابة عنه القصاص بالنسبة لمن قتل بغير حق، فإن كان قتل غيره بغير حق فلورثته القصاص من القاتل بشروطه المعتبرة شرعاً من طريق ولاة الأمر، وللورثة أن يعفوا عن القصاص إلى الدية إذا كانوا مكلفين وراشدين، ولهم أن يعفوا عن القصاص والدية جميعاً.

ولقول النبي ﷺ: «من قتل في قتيل فأهله بين خيرتين: إما أن يقتلوا، وإما أن يأخذوا الدية»[٥]، ولقول الله ﷻ: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا

---

(١) انظر: مروج الذهب للمسعودي (٢/ ١٥٤). ولم يرد عن الرسول ﷺ أو عن السلف ـ رضوان الله عليهم ـ أن النفس أو الروح ـ وهما بمعنى واحد ـ عندما تفارق البدن تكون طائر، وإنما ورد في الحديث أن نسمة المؤمن طائر تعلق من ثمر الجنة ثم تأوي إلى قناديل متعلقة بالعرش، وورد أنها في حواصل طير، وهذا كله بالنسبة للمؤمن في الجنة، أما في الدنيا فقد قال ابن تيمية ﷺ أنها ليست من جنس العناصر، الماء، والهواء، والتراب، والنار، ولا من جنس أبدان الحيوان والنبات والمعدن، ولا من جنس الأفلاك والكواكب، فليس لها نظير مشهود ولا جنس معهود، فهي لها صفة، ولكن ليست لها كيفية. انظر: مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٦) وما بعدها.

(٢) بلوغ الأرب (٢/ ٣١١).

(٣) اللسان (١٥/ ١٦٢).

(٤) متفق عليه. سبق تخريجه (ص٣٧ و٥٨).

(٥) أورده البخاري بنحوه، كتاب الديات، باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين (١٢/ ٢٠٥ ـ فتح).

وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[1].

أما أن يعتدي هذا على هذا وهذا على ذاك بغير الطرق الشرعية، فذلك لا يجوز لأنه يفضي إلى الفساد والفتن وسفك الدماء بغير حق، وإنما يطلب القصاص بشروطه المعتبرة شرعاً[2].

❑ ❑ ❑

---

(١) سورة الشورى: الآية (٤٠).

(٢) انظر: مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن باز (٥/٣٨٦).

الفصل الثاني

الطيرة في حياة الناس

المبحث الأول: صور من الطيرة في الجاهلية وما يلحق بها.

المبحث الثاني: صور من الطيرة في الحياة المعاصرة.

المبحث الثالث: أسباب وقوع الناس في التطير.

المبحث الأول

صور من الطيرة في الحياة الجاهلية وما يلحق بها

ذكرنا من قبل ما تطير منه العرب، والآن نذكر بعضاً من صور التطير عند العرب.

لم يكن العرب بدعاً من الناس في التطير، ولكن الأقوام السابقة أيضاً كانت تعتقد بالطيرة وخاصة الغراب، فالعبرانيون مثل العرب اعتقدوا بالطيرة من الغراب، أي: بتأثير حركاته وسكناته في إحداث الفأل والشؤم[1].

وقد حكى الله ﷻ عن تطير قوم موسى بموسى ومن معه. قال تعالى: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾[2].

ولهم مذاهب في ذلك، فكانت العجم تقول: (إذا تحولت السباع والطير الجبلية عن أماكنها ومواضعها، دلت بذلك على أن المشتى سيتفاقم، وإذا نقلت الجرذان براً وشعيراً أو طعاماً، إلى رب بيت، رزق الزيادة في ماله وولده، وإن هي قرضت ثيابه، دلت بذلك على نقص ماله وولده، فينبغي أن يقطع ذلك القرض ويصلح، وإذا شبت النار شبوباً كالصخب، دلت على فرح شديد، وإذا شبت شبوباً كالبكاء، دلت على حزن، وأما النار التي تشتعل في أسفل القدور فإنها تدل على أمطار تكثر أو ضيف يحضر، وإذا فشا الموت في البقر وقع الموت في البشر، وإذا فشا الموت في الخنازير، عمّ الناس السلامة والعافية، وإذا فشا الموت في السباع والوحوش أصاب الناس ضيقة، وإذا فشا الموت في الخراف أخصب الناس)[3].. إلى ما إلى ذلك من السنن في التطير والتفاؤل، ونرى أنهم

---

(١) انظر المفصل في: تاريخ العرب قبل الإسلام نقلاً عن الملوك الأول (الإصحاح السابع عشر، الآية ٦، (٦/ ٧٩٥).

(٢) سورة النمل: الآية (٤٧).

(٣) لمن أراد الاستزادة يرجع إلى عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٢٣٩) وما بعدها.

يعتمدون في أغلب ما يتشاءمون به على استنتاجات وظنون حصلت عن طريق التجارب، وسبق وأن ذكرنا ما يتشاءم به العربي، والآن نذكر صور وحوادث وقعت منهم ومن غيرهم من العجم.

مما قيل عن الفرس: أنه خرج بعض ملوك الفرس إلى الصيد، فكان أول من استقبله أعور، فأمر بضربه وحبسه، ثم خرج وصاد كثيراً، فلما عاد استدعى الأعور، وأمر له بصلة، فقال الأعور: لا حاجة لي في صلتك، ولكن اتأذن لي في الكلام، فقال: تكلم، فقال: لقيتني فضربتني وحبستني، ولقيتكم فصدت ـ وسلمت، فأيّنا أشأم؟ فضحك وخلاه[1].

وروي عن كسرى أنه حين بعث النبي ﷺ بعث زاجراً ومصوراً، وقال للزاجر: انظر ما ترى في طريقك وعنده، وقال للمصور: آتني بصورته، فلما عاد إليه أعطاه المصور صورته ﷺ فوضعها على وسادته، وقال للزاجر: ما رأيت؟ قال: لم أرَ ما أزجره حتى الآن، وأرى أمره يعلو عليك لأنك وضعت صورته على وسادتك[2].

أما ما قيل عن تشاؤم العرب، أن مُرة الأسدي وكان مشهوراً بالعرافة، كانت له امرأة من أجمل النساء في زمانها، وأنه غاب عنها أعواماً، فهويت عبداً لها حامياً كان يرعى لها ماشيتها، فلما همت به أقبلت على نفسها فقالت: يا نفس لا خير في الشرة، فإنها تفضح الحرة، وتحدث العرة، ثم أعرضت عنه حيناً، ثم همت به، فقالت: يا نفس موتة مريحة، خير من الفضيحة وركوب القبيحة، وإياك والعار، ولبوس الشنار، وسوء الشغار، ولؤم الدثار، ثم همت به، وقالت: إن كان مرة واحدة، فقد تصلح الفاسدة، وتكرم العائدة، ثم جسرت على أمرها، وقالت للعبد: احضر مبيتي الليلة، فأتاها فواقعها، وكان زوجها عائفاً مارداً، وكان قد غاب دهراً، ثم أقبل آيباً، فبينما هو يطعم، إذ نعب غراب فأخبره أن امرأته لم تفجر قط، ولا تفجر إلا تلك الليلة، فركب مُرة فرسه وسار مسرعاً رجاء إن هو أحسها أمنها أبداً، فانتهى إليها، وقد قام

---

(١) انظر: الحيوان (٣/ ٦٣).

(٢) انظر: نهاية الأرب في فنون الأداب، شهاب الدين النويري (٣/ ١٤٠).

العبد عنها، وقد ندمت وهي تقول: (خير قليل وفضحت نفسي)، فسمعها مرة فدخل عليها، وهو يرعد لما به من الغيظ، فقالت له: ما يرعدك؟ قال مرة: ليُعلم أنه قد علم (خير قليل) المثل، فشهقت وماتت، فقال مرة:

لحى الله رب الناس (فاقر) ميتة وأهون بها مفقودة حين تفقد

لعمرك ما منك لوعة ولا أنا من وجد عليك سهد

ثم قام إلى العبد فقتله.. والفاقرة: الداهية، ولحاه الله قبحه الله ولعنه[1].

وقد يتساءل الشخص كيف علم بزوجته من نعيب الغراب:

الاحتمال الأول: أن القصة المروية غير صحيحة، إنما رويت حتى يشتهر مرة، وتبين الرواية صدق عرافته، ثم بعد ذلك يقصده الناس فهو مشهور بالعرافة.

وعلى احتمال أن الرواية صادقة، فإنه قد يكون علم بهذا الشيء عن طريق استخدام الجن، وإلا كيف يخبره الغراب أن امرأته زنت، وأنها المرة الأولى والأخيرة، وقد قيل في وصفه إنه (عرّاف مارد)، فربما كان يستخدم الجن مع العرافة، أي: يستخدم السحر والعرافة.

ويمكن أن يكون عندما دخل عليها واعترفت، قال لها: إنني عرفت ذلك من الغراب، ولكنها هي في الحقيقة أخبرته خبرها بمجرد رؤيته عندما تفاجأت بوجوده.

وهناك من يستدل بأول ما يقع عليه بصره، كما حكي عن أبي معشر، أنه وقف هو وصاحب له على واحد من هؤلاء (العرافين)، وكانا سائرين في خلاص محبوس فسألاه فقال: أنتما في طلب خلاص مسجون، فعجبا من ذلك، فقال له أبو معشر: هل يخلص أم لا؟ فقال: تذهبان تلقيانه قد خلص، فوجدا الأمر كما قال، فاستدعاه أبو معشر وأكرمه وتلطف له في السؤال عن كيفية علم ذلك، فقال: نحن نأخذ الفأل بالعين والنظر، فينظر أحدنا إلى الأرض ثم يرفع رأسه فأول شيء يقع نظره عليه يكون الحكم به، فلما سألتماني، كان أول

---

(١) بلوغ الأرب (٣/ ٣٧).

ما رأيت ماء في قربة، فقلت: هذا محبوس، ثم لما سألتماني في الثانية، نظرت فإذا هو قد أفرغ من القربة، فقلت: يخلص ويصيب تارة ويخطئ تارة[1].

فنرى العراف اعترف وقال: إنه يصيب تارة ويخطئ تارة، فهو يعتمد على الظن والتوقع والحدس، فإن أصاب تناقله الناس وقالوا: إن العراف الفلاني استطاع أن يدل على الضالة، وإن أخطأ سكتوا ولم ينقل الخبر لأن الكثير من الناس يتوقع ويخطئ وهذا أمر عادي، ولكن أن يحدث ما قال ليس بأمر عادي لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، فلذلك ترى أن هذه الأخبار ينقل الصادق منها ويترك الكاذب.

وقد يكون التشاؤم بسبب الحالة النفسية للشخص. قال الجاحظ[2]: أخبرني النظام[3] قال: جعت حتى أكلت الطين، وما صرت إلى ذلك حتى قلَّبت قلبي أتذكر: هل بها رجل أصيب عنده غداء أو عشاء، فما قدرت عليه، وكان عليّ جبة وقميصان، فنزعت القميص الأسفل فبعته بدريهمات، وقصدت إلى فرضة الأهواز[4]، أريد فرضة الأهواز، ما أعرف بها أحد، وما كان ذلك إلا شيئاً أخرجه الضجر وبعض التعرض، فوافيت الفرضة فلم أصب فيها سفينة، وقد تطيرت من ذلك، ثم إني رأيت سفينة في صدرها خرق وهشم فتطيرت من ذلك أيضاً، وإذا فيها حمولة، فقلت للملاح: تحملني؟ قال: نعم، قلت: ما اسمك؟ قال: داوداز، وهو بالفارسية الشيطان، فتطيرت من ذلك، ثم ركبت معه، تصك الشمال وجهي وينثر الليل الصقيع على رأسي، فلما قربنا من الفرضة صحت: يا حمال معي لحاف لي سمل ومضربة خلق، وبعض ما لا بد

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٢٨).

(٢) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، ولد وتوفي في البصرة عام ٢٢٥هـ. من مؤلفاته: الحيوان، والبيان والتبيين وغيرهما. انظر ترجمته في: الأعلام (٥/ ٧٤).

(٣) إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري أبو إسحاق النظام، من أئمة المعتزلة، وله كتب كثيرة في الفلسفة والاعتزال، توفي سنة ٢٣١هـ.
انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٦/ ٩٧)، الأعلام (١/ ٤٣).

(٤) فرضة الأهواز: هي جمع هوز وأصله حوز، فلما كثر استعمال الفرس لها غيرتها، حتى أذهبت أصلها وهي في البصرة في خوزستان، غزاها المغيرة وصالح عليها ثم نكث ففتحها أبو موسى في عهد عمر. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ٢٨٦).

لمثلي منه، فكان أول حمال أجابني أعور، فقلت لبقار كان واقفاً: بكم تكري ثورك هذا إلى الخان؟ فلما أدناه من متاعي إذا الثور أعضب القرن، فازددت طيرة إلى طيرة، فقلت في نفسي: الرجوع أسلم لي، ثم ذكرت حاجتي إلى أكل الطين، فقلت: ومن لي بالموت؟ فلما صرت في الخان وأنا جالس فيه، ومتاعي بين يدي، وأنا أقول: إن أنا خلفته في الخان وليس عنده من يحفظه فتح الباب وسرق، وإن جلست أحفظه لم يكن لمجيئي إلى الأهواز وجه، فبينما أنا جالس إذ سمعت قرع الباب، قلت: من هذا عافاك الله تعالى؟ قال: رجل يريدك، قلت: ومن أنا؟ قال: أنت إبراهيم، فقلت: ومن إبراهيم؟ قال: إبراهيم النظام، قلت: هذا خناق، أو عدو، أو رسول سلطان، ثم إني تحاملت وفتحت الباب، فقال: أرسلني إليك إبراهيم بن عبد العزيز[1] ويقول: نحن وإن كنا اختلفنا في بعض المقالة فإنا قد نرجع بعد ذلك إلى حقوق الأخلاق والحرية، وقد رأيتك حين مررت بي على حال كرهتها منك، وما عرفتكم حتى خبرني عنك بعض من كان معي وقال: ينبغي أن يكون قد نزعت بك حاجة، فإن شئت فأقم بمكانك شهراً أو شهرين، فعسى أن نبعث إليك ببعض ما يكفيك زمناً من دهرك، وإن اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون مثقالاً، فخذها وانصرف وأنت أحق من عذر.

قال: فهجم والله عليّ أمر كاد ينقضني، أما واحدة: فإني لم أكن ملكت قبل ذلك ثلاثين ديناراً في جميع دهري، والثانية: أنه لم يطل مقامي وغيبتي عن وطني وعن أصحابي الذين هم على حال أشكل بي وأفهم عني، والثالثة: ما يبين لي من أن الطيرة باطل، وذلك أنه قد تتابع علي منها ضروب، والواحدة منها كانت عندهم معطبة[2].

وهذه الحادثة تبين أن سبب تطيره، رؤيته هذه الأشياء دون غيرها والالتفات إليها هي حالته النفسية، فقد كان في ضيق، لذلك لم يلتفت إلا إلى ما فيه شؤم ولم يلتفت إلى ما فيه خير وفأل، فهو نظر إلى أن الملاح اسمه داوداز، لم يستبشر بالخير، لأن الملاح وافق على نقله، وعندما وصل تشاءم من

---

(١) إبراهيم بن عبد العزيز. لم أقف على ترجمته.

(٢) الحيوان (٣/٤٠١)، وما بعدها.

أن الذي حمل متاعه أعور، ولم يتفاءل بأن يسّر الله له من يحمل هذا المتاع على الرغم من قلته التي تظهر فقر الشخص، إلى غير ذلك من الأحداث.

ولكن على الرغم من تطيره مضى ولم يلتفت إليه رغم ما علق في قلبه منه، فلو كان تعلق به والتفت إليه لوكل إليه، لقول الرسول ﷺ: (من تعلق بشيء وكل إليه»[1]، وقد ينكر بعض الناس الطيرة إنكاراً عقلياً، ويقول: ما علاقة الطير بالإنسان وما علاقة الاسم بالمسمى، ولكن لا يمكن إنكار هذه الحقيقة، فقد يجعل الله هذه الأسباب سبب للبعض، فإن البلاء موكل بالمنطق، فلا يجعل لسوء الظن على نفسه سبيلاً، فقد قال النبي ﷺ: «إن البلاء موكل بالمنطق»[2]. روي أن يوسف عليه السلام شكا إلى الله تعالى طول الحبس، فأوصى الله تعالى إليه: يا يوسف أنت حبست نفسك، حيث قلت: ربّ السجن أحبّ إليّ، لو قلت: العافية أحبّ إليّ لعوفيت[3].

وقد يحدث بالفعل ما يخبر به الزاجر، كما ذكر ابن قتيبة[4] فقد قال:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣١٠، ٣١١)، والترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في كراهية التعلق (٤/ ١٩)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، الحديث رمز بحسنه، السيوطي، فيض القدير (٦/ ١٠٧) رقم (٨٥٩٩). قال الألباني: حسن، وذكر أن له شاهد عن الحسن البصري مرسلاً أخرجه ابن وهب في الجامع.

انظر: غاية المرام رقم (٢٩٧)، وحكم عليه بالانقطاع ولكن الشيخ فريح البهلال بيّن عدم انقطاعه. انظر (٢٥ ـ ٢٦) تخريج أحاديث مفتقدة من كتاب التوحيد.

(٢) قال العجلوني: رواه القضاعي عن حذيفة وعن علي مرفوعاً، ورواه ابن لآل عن ابن عباس، ورواه الديلمي عن ابن مسعود، ورواه ابن أبي شيبة في الأدب المفرد، عن أبي مسعود، وعند الخرائطي في المكارم، وأخرجه ابن أبي الدنيا عن إبراهيم النخعي النفعي، وأورده القضاعي وحكم عليه بالوضع، وأورده ابن الجوزي بالموضوعات في المقاصد وقال: لا يحسن بمجموع ما ذكرناه الحكم عليه بالوضع وأتّى بشاهد له.

انظر: كشف الخفاء (١/ ٢٩٠).

(٣) أداب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي (ص٢٧٦).

(٤) عبد الله بن مسلمة بن قتيبة الدنيوري، أبو محمد، من أئمة الأدب ومن المصنفين المكثرين، ولد في بغداد، وسكن الكوفة، وتولى قضاء دينور فنسب إليها. من كتبه: تأويل مختلف الحديث، عيون الأخبار، توفي في بغداد سنة ٢٧٦هـ.

انظر ترجمته في: الأعلام (٤/ ١٣٧)، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٥١).

بلغني عن ابن كناسة، عن مبارك بن سعيد، أخي سفيان الثوري قال: بلغنا أن أعرابياً أضاع ذوداً له، فخرج في الطلب حتى أدركه العطش، فمر بأعرابي يحتلب ناقة، فنشده ضالته، قال له: متى خرجت في الطلب؟ ادنُ مني حتى أسقيك لبناً وأرشدك، قال: قبل طلوع الفجر، قال: فما سمعت؟ قال: عواطيس حولي، ثغاء الشاء، ورغاء البعير، ونباح الكلب، وصياح الصبي، قال: عواطيس تنهاك عن الغدو، قال: فلما طلع الفجر، عرض لي ذئب، قال: كسوب ذو ظفر، قال: فلما طلعت الشمس لقيت نعامة، قال: ذات ريش واسمها حسن، هل تركت في أهلك مريضاً؟ قال: نعم، قال: ارجع فإنك ستجد ضالتك في منزلك[1].

فهنا نجد أن تطيره صَدق، ووجد ضالته، ولكن ما الذي يثبت أن هذه الحادثة وقعت بالفعل، فقد قال: إن أعرابي، ولم يعرف من هو الأعرابي، فنجد جهالة لأصحاب الواقعة، وحتى لو كانت الحادثة صحيحة، وسلمنا بصدقها، فقد فسر ابن خلدون[2] ذلك، فقال: (إنا نجد في النوع الإنساني أشخاصاً يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة يتميز صنفهم عن سائر الناس ولا يرجعون في ذلك إلى صناعة ولا يستدلون عليه بأثر النجوم، إنما نجد مداركهم في ذلك بمقتضى فطرتهم التي فطروا عليها. . . فتوجد لديهم قوة مستعدة للإدراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم يتم نشؤها ـ الصور ـ ووجودها بالفعل، بمصاحبة البدن وما يعودها بورود مدركاتها المحسوسة. . . فالزجر يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سنوح طائر أو حيوان والفكر فيه بعد مغيبه، وهي قوة في النفس تبعث على الحرص والفكر فيما زجر فيه من مرئي أو مسموع، وتكون قوة المخيلة قوية فيبعثها في البحث مستعيناً بما رآه أو سمعه فيؤديه ذلك إلى إدراك ما تفعله القوة المتخيلة في النوم وعند ركود الحواس المرئي في يقظته وتجمعه مع ما عقلته فيكون عنها الرؤيا. . . وإدراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل لأنهم لا يحصل لهم الاتصال وإن فقدوا الحس إلا بعد الاستعانة بالتصورات

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار (١/ ٢٨٣).

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد، صاحب المقدمة المشهورة، نشأ في تونس، وتولى قضاء المالكية بالقاهرة، توفي سنة ٩٠٨هـ. شذرات الذهب (٧/ ٧٦).

الأجنبية ومن ذلك يجيء فيه الكذب في هذه المدارك)[١].

(وقد ذكر في حرب بني تغلب، أن تيم اللات أرسل بنيه في طلب مال له، فلما أمسى سمع صوت الريح، فقال لامرأته: انظري من أين نشأ السحاب؟ ومن أين نشأت الريح؟ فأخبرته: أن الريح طالع من وجه السحاب، فقال: والله إني لأرى ريحاً تهد هذه الصخرة وتمحق الأثر، فلما دخل عليه بنوه، قال لهم: ما لقيتم؟ قالوا: سرنا من عندك فلما بلغنا غصن شعثمين إذا بعفر جاثمان على دعص من رمل[٢]، فقال: أمشرقات أم مغربات؟ قالوا: مغربات.

قال: فما ريحكم؟ ناطح أم دابر أم بارح أم سانح[٣]؟ فقالوا: ناطح، فقال لنفسه: يا تيم اللات وغصن الشعثمين ـ والشعثم: الشيخ الكبير ـ وأنت شعثم بني بكر وجواثم بدعص وريح ناطح نطحت فبرحت، قال: ثم ماذا؟ قالوا: ثم رأينا ذئباً قد دلع لسانه من فيه وهو يطحر وشعره عليه، فقال: ذلك حران ثائر ذو لسان عذول، حامي الظهر، همه سفك الدماء، وهو أرقم الأراقم، يعني مهلهلاً.

قال: ثم ماذا؟ قالوا: ثم رأينا ريحاً وسحاباً، فقال: فهل مطر؟ ثم قالوا: بلى، قال: يبرق، قالوا: قد كان ذلك، فقال: أماء سائل، فقالوا: نعم، فقال: ذلك دم سائل ومرهفات.

قال: ثم مه[٤]، قالوا: ثم طلعنا قلعة الضعفاء، ثم نصوبنا من تل فاران، فقال: فكنتم سواء أو مترادفين، قالوا: بل سواء، قال: فما سماءكم، قالوا: خبا، قال: فما ريحكم؟ قالوا: ناطح، قال: فما فعل الجيوش الذين لقيتم؟ قالوا: نجونا منه هرباً، وجد القوم في أثرنا، قال: ثم مه؟ قالوا: ثم رأينا عقاباً منقضة على عقاب فتشابكا وهويا إلى الأرض، قال: ذاك جمع رام جمعاً فهو لاقيه.

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص٨٦).

(٢) الشعثم: الكبير. عفر: أي ظباء تعلو بياضها حمرة. جاثمات: جالسات. والدعص: قور من الرمل مجتمع. انظر: اللسان (٤/ ٣٥٤)، (٩/ ٢٨٣).

(٣) الريح الناطح: أي المستقبلة. الدابر: التي تأتي من الخلف. والبارح: عن اليمين. والسانح: عن اليسار.

(٤) ثم (مه): هنا بمعنى الاستزادة من الحديث، وهي غير (مه) التي بمعنى اسكت.

قال: ثم مه؟ قالوا: ثم رأينا سبعاً على سبع ينهشه وبه بقية لم يمت، فقال: ذرني أما والله أنها لقبيلة معروفة مأكولة مقتولة من بني وائل بعد تمرد وامتناع)[1].

لا ننفي حدوث مثل هذه الحكايات، ويمكن تعليلها أنها من باب ربط الأسباب بالمسببات، وتأثرها بها، وليست مجرد خيالات وأوهام بالنفوس. إنما قد يكون الله قد جعلها سبباً لحدوث هذا الأمر، كما في الرؤيا، فقد نشاهد أحداثاً ثم نفسرها على حسب واقع الشخص، ويكون كما فسرت.

وذكروا أن تيم اللات هذا، مر يوماً بجمل أجرب، وعليه ثلاث غرابيب، فقال لبنيه: ستعثرون عليّ مقتولاً، فكان كما قال، فقتل عن قريب.

وكذلك قول علقمة في مسيرة مع أصحابه، وقد مروا في الليل بشيخ، فقال: لقيتم شيخاً كبيراً فانياً، يغالب الدهر والدهر يغالبه، يخبركم أنكم ستلقون قوماً فيهم ضعف ووهن، ثم لقي سبعاً، فقال: دلاج لا يغلب، ثم رأى غراباً ينقض بجؤجؤه فقال: أبشروا ألا ترون أنه يخبركم أن قد اطمأنت بكم الدار؟ فكان الأمر كذلك[2].

وذكر أيضاً أن المدائني[3] قال: كان بالسواد زاجر يقال له: مهر، فأخبر به بعض العمال، فجعل يكذب زجره، ثم أرسل إليه، فلما أتاه، قال: إني قد بعثت بغنم إلى مكان كذا وكذا، فانظر هل وصلت أم لم تصل، وقد عرف العامل قبل ذلك أن بينها وبين الكلأ رحلة، فقال لغلامه: اخرج فانظر أي شيء تسمع، قال: وكان العامل قد أمر غلامه أن يكمن في ناحية الدار، ويصيح صياح ابن آوى، فخرج غلام الزاجر ليسمع وصاح غلام العامل فرجع إلى الزاجر غلامه وأخبره بما سمع، فقال للعامل: قد ذهبت عنك وقطع عليها الطريق ما سقيت، قال: فضحك العامل، وقال: قد جاءني خبرها، أنها وصلت، والصائح الذي صاح غلامي، قال: إن كان الصائح الذي صاح ابن آوى فقد ذهبت، وإن كان غلامك، فقد ذهب الراعي، قال: فبلغه بعد ذلك

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٨).
(٢) انظر: بلوغ الأرب (٣/ ٣٠٩).
(٣) سبق التعريف به (ص٤٤).

ذهاب الغنم، وقتل الراعي[1].

وصور الطيرة في العرب كثيرة، حتى بلغ بهم الأمر، أنهم لا يزوجون بناتهم إلا من اتصف بصفات، منها معرفة الزجر والعيافة، حيث أن هذه المعرفة عندهم من الصفات العلمية. ففي كتاب مجمع الأمثال[2]، عن المفضل الضبي[3]: أن ابن أروى الكلاعي، خرج تاجراً من اليمن إلى الشام، فسار أياماً، ثم حاد عن أصحابه، فبقي منفرداً في بقعة من الأرض حتى سقط إلى قوم لا يدري من هم، فسأل عنهم، فأخبر أنهم همدان، فنزل بهم، وكان ضريراً ظريفاً، وأن امرأة منهم يقال لها: (عمرة بنت سبيع) هويته وهويها، فخطبها ابن أروى، وكان اسمه (الضب)، إلى أهل بيتها، وكانوا لا يزوجون إلا شاعراً، أو عائفاً، أو عالماً بعيون الماء.

فسألوه من ذلك، فلم يعرف منها شيئاً، فأبوا تزويجه، فلم يزل بهم حتى أجابوه فتزوجها.

ثم إن حياً من أحياء العرب، أرادوا الغارة عليهم، فتطيروا بالضب، فأخرجوه وامرأته وهي طامث، فانطلقا ومع الضب سقاء من ماء، فسارا يوماً وليلة، وأمامهما عين يظنان أنهما يصحبانها، فقالت له: ادفع إليّ السقاء حتى أغتسل فقد قاربنا العين، فدفع إليها السقاء فاغتسلت بما فيه، ولم يكفها، ثم صبحا العين فوجداها ناضبة وأدركهما العطش، فقال الضب: لا ماءك أبقيت ولا حِرَكِ أنقيت، ثم استظلا بشجرة حيال العين، فأنشأ الضب يقول:

تالله ما طلبه أصاب بها	بعلاً سوى قوارع العطب
وأي مهر يكون أثقل مما	طلبوه إذن من الضب
أن يعرف الماء تحت صم الصفا	ويخبر الناس منطق الخطب
أخرجني قومها بأن الرضى	دارت بشؤم لهم على القطب

---

(١) انظر: مفتاح السعادة (٢/ ٢٤١).

(٢) مجمع الأمثال للميداني.

(٣) المفضل الضبي، لغوي أديب علّامة، له تصانيف في معاني القرآن والأدب، مات بعد التسعين ومئتين، أبو سلمة بن عاصم النحوي.
انظر ترجمته في: السير (١٤/ ٣٦٢)، معجم الأدباء (١٦/ ١٦٣).

فلما سمعت امرأته ذلك فرحت، وقالت: ارجع إلى القوم فإنك شاعر، فانطلقنا راجعين، فلما وصلا خرج القوم إليهما، وقصدوا ضربهما وردهما، فقال لهم الضب: اسمعوا بشعري ثم اقتلوني، فأنشدهم شعره فنجا، وصار فيهم آثر من بعضهم[1].

ومن ذلك تشاؤمهم من التزوج في شهر شوال، ولكن عائشة رضي الله عنها ردت عليهم تشاؤمهم، وقالت: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، فأي نساء رسول الله ﷺ كان أحظى مني عنده؟ وكانت تستحب أن تدخل نساءها في شوال.

ومما جاء عنهم من قصص في تشاؤمهم بالعطاس ما حكي عن بعض الملوك، أن سامراً له عطس عطسة شديدة راعته، فغضب الملك، فقال السامر: والله ما تعمدت ذلك ولكن هذا عطاسي، فقال: والله لئن لم تأتني بمن يشهد لك بذلك لأقتلنك، فقال: أخرجني إلى الناس لعلّي أجد من يشهد لي، فأخرجه وقد وكل به الأعوان، فوجد رجلاً فقال: يا سيدي نشدتك بالله إن كنت سمعت عطاسي يوماً، فلعلك تشهد به عند الملك، فقال: نعم، أنا أشهد أن هذا الرجل عطس يوماً فطار ضرس من أضراسه، فقال له الملك: عد إلى حديثك ومجلسك.

فلما جاء الإسلام أبطل ما كان عليه الجاهليون من الضلالة، ونهى أمته عن التشاؤم والتطير، وشرع لهم حمد الله عليه، وأخبرهم أنه يحبه، فقد ذكر في كتاب الآداب للبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى، يحب العطاس، ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم، فليقل: الحمد لله، أو فقال: الحمد لله كان حقاً على من سمعه أن يقول: يرحمك الله، وإذا تثاءب ضحك الشيطان فليخفه ما استطاع»[2].

---

(١) بلوغ الأرب للألوسي (٣/ ٣٢٢).

(٢) سنن أبو داود، كتاب الآداب، باب ما جاء في التثاؤب (٤/ ٣٠٦) بنحوه، والترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في أن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب (٤/ ٣٤٣) وقال عنه: حديث حسن صحيح. مسند أحمد (٢/ ٢٦٥، ٤٢٨، ٥١٧)، الآداب للبيهقي (ص٢٠٥)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند (١٤/ ١١١).

ولكن يسن إخفاء العطاس، وخفض الصوت به. فعن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ: «إذا عطس غض صوته وخمَّر وجهه»[1].

ومن أحسن من قيل في الزجر والعيافة، قيل: كان لأبي نواس[2] أخوان لا يفارقهم، فاجتمعوا يوماً في موضع أخفوه عنه، ووجهوا إليه برسول معه ظهر قرطاس لم يكتبوا فيه شيئاً، وحزموه بزير وختموه بقار، وتقدموا إلى رسولهم أن يرمي بالكتاب من وراء الباب، فرمى به، فلما رآه، استعلم خبرهم، فعلم أنه من فعلهم، وتعرف موضعهم، وأتاهم فأنشدهم:

زجرت كتابكم لما أتاني ... كزجر سوانح الطير الجواري

نظرت إليه محزوماً بزير ... على ظهر، ومختوماً بقار

فقلت: الزير ملهيه ومله ... وقلت: القار من دور العقار

وقلت: الظهر أهيف ذو جمال ... تركب صدغه فوق العذار

فجئت إليكم طرباً وشوقاً ... فما أخطأت داركم بداري

فكيف ترونني وترون زجري ... ألست من الفلاسفة الكبار[3]

فهذه القصة تبين لنا أسلوباً من أساليبهم في معرفة الزجر، وكيف أنه ادعى أنه علم مكانهم عن طريق الزجر، بينما هو علم مكانهم من سؤال الغلام، ولو روى لنا الشعر فقط لتعجبنا كيف استطاع معرفة مكانهم من خلال ورقة مختوم عليها بقار.

فنرى أن الطيرة والتشاؤم والعرافة كانت كثيرة جداً، حتى بلغ بهم الأمر أن وضعوا لها قواميس، إذا حدث كذا كان كذا، ومن ذلك:

---

(١) الآداب (ص٢٠٩)، مسند أحمد (٢/ ٤٣٩)، وأورده أبو داود بنحوه، كتاب الآداب، باب ما جاء في العطاس (٤/ ٣٠٧)، والترمذي، كتاب الآداب، باب ما جاء في خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس (٤/ ٣٤٣) بنحوه، وصححه الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند.

(٢) أبي نواس الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء، شاعر العراق في عصره، ولد في الأهواز، ونشأ في البصرة، له ديوان شعر، توفي سنة ١٩٨هـ.
انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١/ ١٣٥)، الأعلام (٢/ ٢٢٥).

(٣) العمدة (١/ ٢٦٣).

- إن خرجت تريد خصومة، فنعب فوق رأسك فامضي، فإنك مدرك حاجتك.
- وإن خرجت تطلب مالاً ضل عنك أو سرق، فنعب غراب على شجرة يابسة، فلا تطلبه فقد استهلك، وقد يأتيك بعضه، فإن نعب على جدار حديد أو شجرة خضراء، فإنك تصيب مالك.
- وإن خرجت من منزلك تريد شراء شيء فنعب عن يمينك فإنه صالح.
- وإن خرجت من منزلك فرأيت غراباً يمسح منقاره على الأرض، فإنك تصيب أو تأتيك هدية من بعيد[(١)].

وقد شفت الشريعة المحمدية الأمة من الطيرة، فقال النبي ﷺ عندما سئل عنها: «ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم»[(٢)].

فليس من سنوح الطير وبروحها ما يقتضي ما اعتقدوه، وإنما هو تكلف بتعاطي ما لا أصل له، إذ لا نطق للطير ولا تميز فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه، وطلب العلم من غير مظانه جهل من فاعله، وقد كان بعض عقلاء الجاهلية ينكر التطير ويتمدح بتركه ـ كما سبق ـ بينما كان أغلبهم يتطيرون ويعتمدون على ذلك، ويصح معهم غالباً لتزيين الشيطان ذلك، وبقيت من ذلك بقايا في كثير من المسلمين.

وبعد أن ذكرنا صوراً من التطير في الجاهلية، سوف نذكر ما يلحق بالعصر الجاهلي، وهو بعد النبوة، حيث رجع كثير من الناس إلى التطير بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة.

وكان أمية بن أبي الصلت[(٣)]، ممن يتطير من الغراب، ويذكر أهل

---

(١) نهاية الأرب، النويري (٣/ ١٣٤) وما بعدها، ومن أراد الاستزادة يرجع إليه (ص١٣٤).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٣) أمية عبد العزيز بن أبي الصلت، صاحب الكتب، كان رأساً في النجوم والوقت، مات بالمهدية سنة ٢٨هـ.
انظر ترجمته في: السير (١٩/ ٦٣٤)، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٨).

الأخبار، أنه بينما كان يشرب مع أخوات له في قصر (عيلان) في الطائف، إذ سقط غراب على شرفة القصر، فنعب، فقال أمية: بغيك الكَثْكَثُ، أي: التراب، وتشاءم منه، وقد مات فعلاً في مكانه، بعد نعيبه للمرة الثالثة[1].

ولا يظن ظان أن ما حدث من عمر ﷺ وغيره من الصحابة هو من قبيل التطير، فقد حكي عن بعضهم قال: حضرت الموقف مع عمر بن الخطاب ﷺ فصاح به رجل من خلفه: يا خليفة رسول الله ﷺ ثم قال: يا أمير المؤمنين، فقال رجل من خلفه: دعاه باسم ميت، فمات والله أمير المؤمنين، ولا يقف هذا الموقف أبداً، والتفت إليه فإذا هو لهبي، فقتل عمر قبل الحول[2].

وحكي أن عمر ﷺ خرج إلى حرة وأقام، فلقي رجلاً من جهينة، فقال له: ما اسمك؟ قال: شهاب، قال: ابن من؟ قال: ابن جمرة، قال: وممن أنت؟ قال: من الحرقة، قال: ثم من؟ قال: بني حزام، قال: وأين منزلك؟ قال: بحرة يعلى، قال: وأين تريد؟ قال: لظى ـ وهو موضع ـ فقال عمر: أدرك أهلك، فما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا، قال: فأدركهم وقد أحاطت بهم النار[3].

أما بالنسبة لما وقع في خلافة علي ﷺ لمعقل وشداد فهما لم يتطيرا وينكصا إنما توقع شداد وحدث ما توقع.

لما بعث علي ﷺ معقل بن قيس الرباص من المدائن في ثلاثة آلاف، وأمره بأن يأخذ على الموصل، ويأتي نصيبين، ورأس عين، حتى يأتي الرقة فيقيم بها، فسار معقل حتى نزل الحديثة، فيما هو ذات يوم جالس إذ نظر إلى كبشين يتناطحان حتى جاء رجلان فأخذ كل منهما كبشاً فذهب به، فقال شداد بن أبي ربيعة الخثعمي: ستعرفون وجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون لافتراق الكبشين سليمين، فكان كذلك[4].

---

(١) نهاية الأرب (٣/ ١٣٩)، الطير في حياة الحيوان (٢/ ٢٧٣)، الحيوان (٣/ ١٣١).

(٢) نهاية الأرب (٣/ ١٤٤).

(٣) مصدر سابق (٣/ ١٤٤)، والحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ، باب الاستدان، باب ما يكره من الأسماء، قال فؤاد عبد الباقي: منقطع، وصله أبو القاسم بن بشران في فوائده من طريق موسى بن عقبة بن نافع عن ابن عمر (٢/ ٩٧٣).

(٤) مفتاح السعادة (٢/ ٣٧).

وهذا ليس من باب التطير، وحاشا لله أن يكون أمير المؤمنين يتطير، وقد عرف أن الطيرة شرك، ولكن هذا من تصديق الوحي له، لأن الرسول ﷺ أمر بتحسين الاسم، حتى لا يعلق بالقلوب منها شيئاً، فقد تكون عقوبة لهم لأنهم لم يستنوا بسنّة محمد ﷺ فكان الرسول ﷺ قال: «خير الأسماء عبد الله، وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام، حارث يحرث الأرض، وهمام يهم بالخير»[1]. أما الحادثة الأولى فلم يكن المتطير هو عمر رضي الله عنه ولم تذكر عن أحد من الصحابة، فيوجد إبهام، لذلك نجزم بعدم صدقها.

وأيضاً ما حكي عن المهدي، أنه رأى رؤيا وأنسيها فأصبح مغتماً بها، فدل على رجل كان يعرف الزجر والفأل، وكان حاذقاً به، واسمه خويلد، فلما دخل عليه أخبره بالذي أراده له.

فقال له: يا أمير المؤمنين، صاحب الزجر والفأل ينظر إلى الحركة وأخطار الناس، فغضب المهدي وقال: سبحان الله أحدكم يذكر بعلم ولا يدري ما هو ومسح يده على رأسه ووجهه وضرب بها على فخذه، فقال له: أخبرك برؤياك يا أمير المؤمنين، قال: هات، قال: رأيت كأنك صعدت جبلاً، فقال المهدي: لله أبوك يا سحار صدقت، قال: ما أنا بساحر يا أمير المؤمنين، غير أنك مسحت بيدك على رأسك فزجرت لك وعلمت أن الرأس ليس فوقه أحد إلا السماء فأولته بالجبل، ثم نزلت بيدك إلى جبهتك فزجرت لك بنزولك إلى أرض، ملساء فيها عينان مالحتان ثم انحدرت إلى سفح الجبل فلقيت رجلاً من فخذك قريش لأن أمير المؤمنين مسح بعد ذلك بيده على فخذه، فعلمت أن الرجل الذي لقيه من قرابته، قال: صدقت، وأمر له بمال وأمر أن لا ينحجب عنه[2].

ومثل هذا الزجر والتطير، هو المحرم، وهو الذي قيل عنه شرك، لأنه يعتقد أن الزاجر يعلم الغيب. قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغير الأسماء (٤/٢٨٨)، والترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في ما يستحب من الأسماء (٤/ ٣٨٠)، وقال عنه: غريب من هذا الوجه. الطبراني عن أبي سبرة، فيض القدير، ورمز له بالصحة، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح ولكن ظاهر الرواية الإرسال (٣/ ٤٨٢).

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/٢٢٩).

هُوَ﴾[1]، أما ما كان عن فراسة وحكمة كما كان عند ابن عباس، فقد كان ابن عباس ﷺ عنده من الحكمة، فقد دعا له النبي ﷺ فقال: «اللهم علّمه الحكمة»[2]، والحكمة الإصابة في غير النبوة.

فربما يعلل صدق بعض الروايات بأنه من حسن الفراسة[3] والذكاء، كما حدث مع عمر ﷺ وقد نبه الله على صدقها بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾[4]، وقوله: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾[5].

والفراسة ضربان:

الضرب الأول:

ضرب يحصل للإنسان عن خاطر لا يعرف سببه، وذلك ضرب من الإلهام، بل ضرب من الوحي، وهو الذي عناه النبي ﷺ بقوله: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[6]، وهو الذي يسمى صاحبه المروع[7] والمحدَّث، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: «قد كان فيما خلا قبلكم محدَّثون فإن يكن في أمتي أحد منهم فهو عمر بن الخطاب»[8].

الضرب الثاني:

يكون بصناعة متعلّمه، وهي معرفة ما بين الألوان والأشكال، وما بين الأمزجة والأخلاق والأفعال الطبيعية، ومن عرف ذلك كان ذا فهم ثاقب

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٥٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس ﷺ (٧/ ١٠٠ ـ الفتح).

(٣) وهو الاستدلال بهيئة الإنسان وأشكاله وألوانه وأقوامه على أخلاقه وتفاؤله ورذائله. انظر: بلوغ الأرب (٣/ ٢٦٣).

(٤) سورة الحجر: الآية (٧٥). (٥) سورة البقرة: الآية (٢٧٣).

(٦) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة النمل (٥/ ٨٨) قال عنه الترمذي: حديث حسن غريب، وهذا الحديث ضعيف (ضعيف سنن الترمذي (ص٣٨٧)).

(٧) المروع: الملهم كأن الأمر يلقي في رُوعة، والمحدَّث كأنه حُدِّث بالحق الغائب فنطق به. انظر: اللسان (٥/ ٣٧٣).

(٨) أخرجه ابن أبي عاصم في السنّة، ومسلم، فضائل الصحابة (٢/ ٥٨٣)، والترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب (٥/ ٣٨٨) وقال عنه: حسن صحيح.

بالفراسة، وقد عمل في ذلك كتب كثيرة، ومن تتبع الصحيح منها اطلع على صدق ما ضمنوه، وهي ضرب من الظن بواقع العقل، لذلك كانت العرب أوفر نصيباً من غيرها في الفراسة[1].

ومثال ذلك: ما حكي أن أبا موسى الأشعري[2]، وجه السائب بن الأقرع[3] في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ إلى مهرجا بعد أن فتحها ودخل دار الهرمزان بعد أن جمع السبي والغنائم، ورأى في بعض مجالس الدار تصاوير، منها تمثال ظبي وهو يشير بإحدى يديه إلى الأرض، فقال السائب: لأمر ما صور هذا الظبي هكذا إن له لشأناً، فأمر بحفر الموضع الذي أشار إليه فأمضى إلى حوض من رخام، فيه سقط جوهر، فأخذه السائب وخرج إلى عمر ﷺ[4].

فقد يعتمد الشخص على الحدس أو على معرفته ببعض الأمور وخصائصها، لذلك يصدق ظنه فيتشاءم هو أو من حوله حتى يصبح علماً يذكر به، حتى أن هناك بعض الأشخاص اشتهر بالشؤم فجنى عليهم تشاؤمهم ونغص عليهم حياتهم وكدر عليهم صفوهم وحطم أعصابهم، منهم ابن الرومي[5] الشاعر المشهور، فقد بلغ من تشاؤمه، إن كان القبح عنده شراً أو نذيراً بالشر، فلا يرى الأحدب أو غيره من الخارجين عن سوء الخِلقة إلا انقبضت نفسه، وأسرع إليه ما يلازم الانقباض من التوجس والحذر والوجوم.

واسم جعفر قد يذكره بالجوع والفرار، والخان قد يذكره بالخيانة فتغضب لذلك نفسه وينغص عليه عيشه.

---

(١) انظر: بلوغ الأرب (٣/ ٢٦٣) وما بعدها.

(٢) أبو موسى الأشعري بن قيس بن سليم بن حضار، صحابي مشهور، أمَّره عمر ثم عثمان، وهو أحد الحكمين بصفين ومات سنة ٥٠هـ، وقيل بعدها. انظر: التقريب (١/ ٤٤١).

(٣) السائب بن الأقرع الثقفي وهو أحد الولاة والقادة في عهد عمر بن الخطاب. انظر: البداية والنهاية (٧/ ١١٠ ـ ١١٤)، الكامل في التاريخ (٣/ ٦، ٧، ٨).

(٤) نهاية الأرب (٣/ ١٣٩).

(٥) علي بن العباس بن جريج، أو جورجيس الرومي، أبو الحسن، شاعر كبير من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، ولد ونشأ في بغداد، توفي فيها سنة ٢٨٣هـ، له ديوان شعر. انظر ترجمته في: الأعلام (٤/ ٢٩٧).

وقد بلغ من تشاؤمه أن عزف عن الناس جميعاً، وساء ظنه بهم، وآثر العزلة عنهم، والبعد عن أخيارهم وأشرارهم، لأن الأخيار والأشرار أصبحوا سواء عنده في قلة الإنصاف، وما كان يدنو منهم إلا مضطراً، فقد قال:

ذقت الطعوم فما التفت براحة ... من صحبة الأخيار والأشرار
أما الصديق فلا أحب لقاءه ... حذراً لعلي وكراهة الأعوار
فأرى العدو قذى فأكره قربه ... فكرهت هذا الخلق من أعذار
أأحب قوماً لم يحبوا ربهم ... إلا لفردوس لديه ونار[1]

وما عسى الحياة بعد ذلك عند رجل بعد عن الأصدقاء وبعد عنه الأصدقاء، فنرى التشاؤم أدى إلى الركون والعزلة، فقد يكون هذا من أسباب النهي عن التطير والتشاؤم.

□ □ □

(١) الحيوان (٢/ ٢٥٣).

المبحث الثاني

صور من الطيرة في الحياة المعاصرة

صور من التطير عند المسلمين:

على أثر النكتة[1] التي سمعها، أطلق محمد ضحكة مجلجلة ملأت المكان واهتز جسمه كله، وكاد يستلقي على ظهره من شدة السعادة، وفرط الابتهاج، واغرورقت عيناه بالدموع، لكنه أمسك فجأة عن الضحك، وقام يمسح عينيه، كاظماً الضحكة المجلجلة، متمتماً في شيء من الانقباض، اللهم اجعله خيراً.

- خير يا محمد، ماذا دهاك؟ هل ثم سوء والعياذ بالله؟

- لا، لا عليك، ولكنّا نعتقد أن وراء كثرة الضحك ـ والاستغراق فيه ـ شيئاً من الكدر ونرتقب بعض البلاء.

- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. ما هذا الظن الباطل يا محمد؟

هذا الموقف جزء من عقيدة العامة في التشاؤم، وذلك الخضم الذي فيما يلي اقتحامه والتعرف على آفاقه.

صحيح أن كثرة الضحك غير مستحبة، كما قال رسول الله ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً، وأقل الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب»[2].

---

(١) النكتة في هذا الموضوع معناها الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس. المعجم الوسيط (٢/ ٩٥٠).

(٢) الآداب للبيهقي (ص٢٥٤)، مسند أحمد (٢/ ٣١٠)، الترمذي، باب الزهد، باب ما جاء في العبادة في العمل (٤/ ١٣٧)، قال عنه الترمذي: حديث غريب. قال الألباني: إسناده جيد (٢/ ١٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة.

فمن خلال الحديث، ترى أن النبي ﷺ نهى عن كثرة الضحك، وعلل النهي عنه، بأنه يميت القلب، وليس تشاؤماً وخشية أن يقع مكروه، كما يعتقد البعض.

من خلال ذلك سوف نعرض لبعض الصور والأمثلة لما يتشاءم به الناس في الوقت الحاضر، حيث رجع الكثير من الناس إلى ما كان يعتقده أهل الجاهلية الأولى من التشاؤم والتطير، فمن ذلك أن:

- كثيراً من الناس إذا لقيه أعور، وهو ذاهب لحاجة صده ذلك عنها ورجع معتقداً عدم نجاحها.

- وكثيراً من أهل البيع لا يبيع ممن هذه صفته إذا جاءه أول النهار، حتى يبيع من غيره تشاؤماً به وكراهية له، وكثير منهم يعتقد أنه لا ينال في ذلك اليوم خيراً قط[1].

وأذكر على سبيل المثال حادثة أُخبرت بها وهي: أن شخصاً ذهب إلى الخباز ليشتري خبزاً وكان أعور وعندما رآه الخباز، قال: أعوذ بالله، وطرده، فقام الأعور ووضع على رأسه العمامة (الشماغ)، وغطى عينه وأظهر الأخرى وذهب واشترى من الخباز، وعندما أخذ الخبز كشف عن وجهه.

ومن ذلك أيضاً التشاؤم بالتخطي، فعلى عكس من أهل الجاهلية الذين كانوا يتفاءلون بالتخطي فإذا أرادت المغلاة[2] أن يعيش ولدها، ففي إمكانها إذا تخطت القتيل الشريف سبع مرات، وعندئذ يعيش ولدها، وإنما كانوا يفعلون ذلك بالشريف يقتل غدراً[3].

ولكن الآن يتشاءمون من تخطي الشخص إذا كان مستلقي على الأرض خشية أن تخرج روحه، وقد حدثتني إحدى الأمهات أنه كان لها ابناً مريضاً وكان ينازع الموت فكانت تتخطاه حتى تخرج روحه بسرعة فلا يتعذب.

---

(١) معارج القبول (ص٣٦٢).

(٢) المغلاة هي التي يموت أولادها. المنجد (١/ ١١٠).

(٣) بلوغ الأرب (٢/ ٣١٧).

التشاؤم من الأسماء المكروهة، بتحرز بعض الناس منها اعتقاداً منهم أنها سبباً في وقوع المكروه.

وقد لا يسمي البعض أسماء آبائهم خوفاً عليهم من الموت، وذلك اعتقاداً منهم أنه إذا سمى بنفس اسم أبيه كأنه ورثه، ومعنى ذلك أنه حكم عليه بالموت، فالمال لا يؤخذ إلا بعد الموت، كذلك الاسم لا يؤخذ إلا بعد الوفاة.

والسنّة للمسلم أن يختار الأسماء الحسنة في كل أموره وحاجاته حتى لا يقع في قلبه إن أصابه مكروه أن هذا بسبب الشؤم وإنما كل شيء بقضاء الله وقدره.

- متى مات ميت، ثم مات بعده خمسة أشخاص، قبل مضي مدة طويلة، عمدوا إلى القبر فنبشوه، قائلين: الميت الأول استلحق من مات بعده.
- عند الاحتفالات بالأعراس وغيرها لا يُستدعى كبار السن ولا أصحاب البشرة السمراء ظناً منهم أنهم يجلبون الشؤم على العروسين.
- إذا مرض الأب والابن والأم ومات أحدهم فرحوا ذلك ظناً منهم أنه أخذ المرض عنهم بوفاته.
- وإذا سمعوا عواء الكلاب أو ضبح الثعالب، أو صوت البوم، تشاءموا بذلك وزعموا أنه دليل على موت البعض منهم.
- التطير بكنس دار المسافر يوم سفره أو سفر أحد من عياله، أو مواشيه، زاعمين أن كنس الدار يوم سفر المسافر سبب في هلاكه، سواء كان المسافر من الناس أو من الماشية.

ونرى في الأمثلة السابقة أن سبب تشاؤمهم هو خوفهم من الموت ولو أيقنوا بحتمية الموت وأن الآجال معروفة، وأنه إذا جاء أجلهم لم يستأخروا ساعة أو يستقدمون، لما حصل لهم ما هم فيه. قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٣٤).

- أن من عضّ لسانه أو حدث بلسانه قروح، قال: إنسان أراد أن يطعمني وشح، ومن شعر بالحكة في باطن قدم رجله اليمنى قال: صديق يذكرني، وإن كان بالرجل اليسرى، قال: هذا عدو يغتابني، ويطعن بعرضي، وإذا حكته بواطن كفيه، قال: أمسك بهما لحماً أو دراهم، أو يقع علي أمر مكروه، وإذا أكله خده، قال: سوف يحصل لي أمر تدمع له عيناي، وإذا رفّت عيناه، قال: سوف يأتي أحد، وإذا أكلته شفتاه، قال: غائب يقدم وأقبله.

- كذلك التشاؤم بما يُعرض له نفسه في حال الخروج، كما إذا عثر على مال أو شيك، يرى أنه لا يجد خيراً.

- ومنها أيضاً التشاؤم ببعض الأيام، أو ببعض الساعات، كالحادي والعشرين من الشهر، وآخر أربعاء منه، ونحو ذلك، فلا يسافر فيها كثير من الناس، ولا يعقد فيها نكاحاً، ولا يعمل فيها عملاً مهماً أبداً، وكذلك التشاؤم ببعض الساعات، فلا يستقبلها في سفر ولا أمر حتى تنقضي تلك الساعة أو الساعات[١].

وهذه أخذت من الأمم الجاهلية، حيث كانت تنسب الشهور القمرية والأيام الشمسية إلى ما يحدث فيها غالباً، لا فرق في ذلك بين أمة وأخرى من الفرس والصين واليونان والرومان.

فمن رواسب الوثنية الرومانية التي بقيت لها في الأمم التي كانت مستعمرة لها، أسماء الأيام التي كانت الرومان تنسبها إلى الآلهة المعبودة فيها.

- فيوم عبادة الشمس هو المسمى بالإنجليزية صن دي (SUNDAY)، وهو يوم الأحد.

- ويوم عبادة القمر هو المسمى مندي (MONDAY)[٢].

وربما تولد من ذلك اختصاص بعض الأيام لفعل الخير، وبعضها لفعل

---

(١) معارج القبول (٢/ ٣٩٨).

(٢) الإسلام وتقاليد الجاهلية، آدم عبد الله الألوزي (ص١١١).

الشر والحرب والضر، ثم تبع ذلك التفاؤل والتشاؤم حتى بعد أن جاء الإسلام، وغير الأسماء إلى: الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، طبقاً لما عند أهل الكتاب[1].

وكل الأيام سواء، ولا اختصاص لذلك بيوم الأربعاء، أو غيره، وما من ساعة من الساعات إلا وهي سعد على شخص ونحس على آخر، باعتبار ما يحدث فيها من الملائم والمنافر والخير والشر.

التشاؤم عن طريق قراءة الكف:

وقد حدث تطور للتطير من التشاؤم بالحيوان والكلمات، وبدأ قراءة البخت، أو الكف، أو عن طريق معرفة الاسم.

اسم ضياء: خفيف لطيف، وأحياناً تكون ثائراً غاضباً، تحقق هذا العام نجاحاً وأرباحاً مالية، تستقر عواطفك وأحوالك، رقم الحظ: ٤، يوم السعد: الجمعة[2].

فيزعم رجال الفلك منذ القدم أن للأرقام التي تحددها حسابات الفلك تأثيرات مباشرة على كل كائن حي، تلازمه منذ ولادته، وتحدد مجرى حياته، سواء في طريق السعادة إذا كانت أرقامه محظوظة، أو في طريق التعاسة إذا كانت أرقامه منحوسة.

وملايين الناس يشاطرون رجال الفلك هذا الزعم، فالرقم (١٣) ثلاثة عشر، على سبيل المثال، هو موضع تشاؤم في كل أقطار أوروبا، وقد أخذها عنهم بعض المسلمين.

فالمرضى من نزلاء المستشفيات يخشون على حياتهم إذا هم رقدوا في أسرة تحمل الرقم (١٣)، وأصحاب السيارات يرفضون لوحات أرقام سيارتهم التي تحمل الرقم (١٣)، بل ويذهب بعضهم إلى رفض اللوحات التي تحمل الرقمين (١) و(٣).

وخلال ترقيم دور أحد الأحياء في مقاطعة (سانولك) بإنجلترا، هددت

---

(١) المرجع السابق (ص١١٢).

(٢) الألوهية في العقائد الشعبية، عبد السلام بسيوني (ص١٥٧).

صاحبة إحدى الدور بالامتناع عن دفع الضريبة المستحقة على دارها ذات الرقم (١٣) إلا إذا استبدلته البلدية بالرقم (١٤).

حتى البنوك تتفادى الرقم (١٣)، فالمركز الرئيسي لبنك (ناشيونال وستمنستر)، أكبر بنوك إنجلترا تحاشى أن يرقم فرعه بالرقم (١٣)، خشية من مجلبة الكوارث.

والتشاؤم بالرقم (١٣) ليس جديداً، بل يرجع إلى عهد الأمبراطور الروماني قسطنطين الأول، الذي حكم بيزنطة سنة ٣٣٥م، فقد كان واسع الإلمام بعلوم الفلك، يراجع النجوم قبل أي قرار مصيري يتصل بحياته أو مستقبل إمبراطوريته.

وأثناء إحدى مراجعاته لحسابات النجوم، تكهن بأن الرقم (١٣)، سيجلب الكوارث[١] على مدينة القسطنطينية عاصمة ملكه، وقد تحقق تكهنه هذا بعد ١١٠٠ سنة، إذ فتح تلك المدينة المسلمون الأتراك، بقيادة السلطان محمد الثاني سنة ١٤٥٣م، ومن غريب المفارقات أن مجموع أرقام هذه السنة يؤلف الرقم (١٣)[٢].

ويستند أنصار التشاؤم بالرقم (١٣) في تعزيز تشاؤمهم إلى عدة أحداث وقعت مع الرقم (١٣)، ولو حسب لباقي الأعداد مثل ما حسب للرقم (١٣) لوجد فيها الشؤم ووجد فيها الخير ولكن نختم بذكر هذه القصة: نزل منجم بقرية أهلها من العرب، فأنزله أحدهم في بيته وأكرم مثواه، وفي أثناء إقامته رأى طفلاً صغيراً في مهده، فجلس المنجم وطلب دواة وقرطاساً، وأخذ يكتب طويلاً، ورب البيت يتوقع فراغه من حين إلى حين كي يحيه التحية التي اعتادها العرب مع نزلائهم.

وبعد فراغه نظر إلى رب البيت وقال: علمت بالتنجيم إن ابنك هذا سيكون من أسعد الرجال وأكبرهم قدراً ولشجاعته يتولى رئاسة الجيش وتنتصر

---

(١) ولكنها لم تكن كارثة، وإنما كانت فتحاً لمدينة القسطنطينية، فكان الرقم (١٣) فألاً لا شؤماً.

(٢) انظر: المجلة العربية، هذه خرافة الرقم (١٣)، ألبير سمعون، عدد (١٤٠)، رمضان ١٤٠٩هـ، (ص٥٠).

البلاد في غزوات هامة كثيرة، وأنه سينال أعظم الألقاب حتى يكون علماً يشار إليه بالبنان، ويهابه كل إنسان في جميع الأقطار. فقطع الأب الكلام وقال: إنما الطفل الذي تتكلم عنه بنت، فأمسك المنجم وشعر بالخزي ورحل[1].

فهذا التطير والتشاؤم من الشيطان، أوقعه في قلوب العباد حتى يصرفهم عن مسبب الأسباب ويجعلهم يتعلقون بغير الواحد القهار.

وعن الغربي المعاصر حدث ولا حرج[2]، فهو رغم التطور المادي الباهر، لا يزال متخلف العقل سيئ العقيدة، يستجلب الحظ أو يستدفع النحس بقطعة من البلاستيك جميلة الشكل أو عملة معدنية أو خشبة أو حديدة أو قوقعة أو سن أو أي شيء ـ أي شيء ـ، فإذا فقده اغتم وحزن واعتقد أو توقع شراً لأنه فقد جالب حظه وحاميه من الشر.

فهم يتشاءمون بتقاطع سكينين على مائدة، فإذا تقاطع سكينان على مائدة، فتوقع شجاراً، لأن شكلهما يذكر بصلب المسيح، وإذا ما سقط سكين من يدك وانغرز في الأرض دل على مجيء زائر (وهو في إنجلترا ذكر وفي أمريكا أنثى)، وإذا ما حركت قدح الشاي بسكين، كان ذلك مدعاة لصراع.

وحد السكين بعد الغروب مجلبة لسوء الحظ، وقد يؤدي إلى اقتحام اللصوص البيت ليلاً، وإذا ترك فلاح المدية على المائدة في الليل، وجد أحد حيوانات الحقل ميتاً في الصباح.

وينبغي ألا تقبل المدية هدية من أحد من دون أن تقدم لها ثمناً رمزياً، ولو فلساً، أو أي قطعة نقد صغيرة، وإلا فإن المدية ستقطع حبل صداقتكما، وتؤدي إلى خصومة مع صاحب الهدية.

وقد جاءت هذه الخرافة من كون المدية أعز ممتلكات الإنسان القديم، إذ أنه كان يدافع بها عن نفسه، ويصيد الحيوانات طعاماً له، ويقطع الأغصان ويزيح العقبات، وتكون تعويذة له من الجان والسحرة[3].

---

(١) مجلة الإسلام، عدد (٧)، (ص١٣٥).

(٢) سبق وأن ذكرنا خرافة الرقم (١٣) وكيف وصلت بهم الحال بالتشاؤم بهذا الرقم.

(٣) انظر: خرافات سائدة، مجلة العربي، شوال ١٣٩٢هـ، (ص١٤).

صور من التطير عند العرب:

وهناك موضة دولية، اسمها: التعويذة نراها بأمهات أعيننا، وهي اختراع أوروبي.

ففي الدورات الأولمبية، والمسابقات الكبرى، يعملون تعويذة لجلب الحظ، تكون شعاراً وحارساً للدورة، وتقلدهم للأسف في ذلك الدول الإسلامية تقليداً أحمق، فصار قرن الشطة[١] تعويذة مكسيكية عالمية، والدب تعويذة كورية عالمية، والكلب ـ أي والله ـ تعويذة إسبانية عالمية، غطت وجه الكرة الأرضية أثناء أولمبياد برشلونة، الذي لا تزال أخباره تطاردنا صبح مساء، وصار خورس[٢] تعويذة مصرية في كأس أفريقيا، وصار الجمل تعويذة كويتية، وهلم خيبة[٣].

ومن الصور التي لا تقل عنها خيبة، تحاشي بعضهم فتح مظلة داخل المنزل، إذ يعقب ذلك موت سريع مفاجئ، في حين أن من يفعل ذلك في الولايات المتحدة لا يتزوج أبداً، وإذا ما سقطت من يدك مظلة فلا تلتقطها بنفسك، وإذا ما فتحت مظلة في يوم مشمس جميل خارج منزلك، وتمنيت المطر سرعان ما تتحقق أمنيتك.

مع أن المظلة اختراع سومري قديم، فإنها لم تظهر في أوروبا إلا في أوائل القرن الثامن عشر، وقيل: إنها عرفت في الصين في أوائل القرن الحادي عشر الميلاد، وفي مصر الفرعونية قبل ذلك.

وقد كانت المظلة رمزاً للقوة والسلطان ترفع فوق رأس الحاكم لتعبر عن مكانته، ولم يكن يسمح لغير العظماء برفع المظلات على رؤوسهم، فما كان يجوز لعامي أن يقتني رمز النفوذ الملكي، وهذا ما دعا إلى ظهور خرافات واعتقادات بالخروج على النظام، فيما يتعلق بالمظلة واقتنائها[٤].

---

(١) الشطة: حيوان وحيد القرن، المنجد (ص٣٨٦).

(٢) موضع في سورية الشمالية قرب أعزاز، ازدهرت المسيحية فيها. المنجد في اللغة، والأعلام (٢/ ٤٤٣).

(٣) الألوهية في العقائد الشعبية، عبد السلام بسيوني (ص١٦٧).

(٤) مجلة العربي، شوال ١٣٩٢هـ، عدد (١٧٢)، (ص١٦٠).

استبانة لمعرفة مدى تأصل التشاؤم عند الناس:

وبذلك نرى أن صور التشاؤم والتطير كثيرة جداً سواء عند المسلمين أو الغرب، لذلك قمت بوضع استبانة لمعرفة التشاؤم لدى الناس، ومدى تأصله لديهم وأسبابه، لمعرفة كيفية علاجه، وكانت الاستبانة على النحو التالي:

الجنس: ذكر   أنثى

العمر:

المؤهل:

المهنة:

* **ضع إشارة (صح) أمام الإجابة:**

هل تؤمن بالفأل؟

- نعم   - لا   - أحياناً

* **إذا كانت الإجابة بنعم، فما الأشياء التي تتفاءل بها؟**

- لمس الخشب.
- السير تحت السلم.

غير ذلك، مثل:

مصدر ما تتفاءل به؟

- من خلال المحيط.
- ورثته عن الأجداد.
- من خلال التعامل.

* **متى يكثر التفاؤل أو التشاؤم؟**

- في الموت والميلاد.
- في المرض.
- في الكوارث.
- في الأزمات عموماً.
- غير ذلك:

* **هل أنت متشائم؟**

- نعم   - لا   - أحياناً

هل أنت حساس تجاه بعض الأمور؟

- نعم   - لا   - أحياناً

* **ما مقياس قوة إرادتك؟**

- قوية.
- ضعيفة.
- متوسطة.

* **هل تعتقد أن هناك أشياء يتشاءم منها الآخرون؟**

- نعم   - لا

* **إذا كانت إجابتك نعم اذكر أمثلة على ذلك.**

ما رأيك بهذه الأشياء؟

- لا أعتقد بها.
- أعتقد بها.
- بعض الأحيان أعتقد بها.

* **ما مدى تشاؤمك؟**

- نادراً.
- دائماً.
- أحياناً.
- لا أتشاءم.

* **ما أثر تشاؤمك على محيطك؟**

- عادي.
- يتضايقون.
- في بعض الأحيان يتضايقون.

* **ماذا تعمل إذا تطيرت أو تشاءمت؟**

ـ أقف عن العمل.

ـ أمضي ولكن يبقى أثره في النفس.

ـ لا شيء.

* **ما رأيك بقراءة الكف أو الفنجان؟**

ـ أؤمن بها.

ـ لا أؤمن بها.

ـ أقرأها للتسلية.

* **إذا كانت للتسلية، هل يبقى أثره في نفسك؟**

ـ دائماً.

ـ نادراً.

ـ أحياناً.

ـ لا يبقى أثره.

* **هل تعرف البرج الذي ولدت فيه؟**

ـ نعم ـ لا

* **هل تقرأ الصحف بما سوف يحدث مستقبلاً؟**

ـ نعم ـ لا ـ أحياناً

* **هل تحاول تطبيقه على نفسك؟**

ـ نعم ـ لا ـ أحياناً

* **هل تربط بعض المواقف أو الأحداث به؟**

ـ نعم ـ لا ـ أحياناً

* **هل تستطيع أن تسمي ابنك على اسم أبيك الحي؟**

ـ نعم ـ لا

* هل هناك طيرة (شؤم) في المرأة، الدابة، الدار؟

- نعم - لا

* ماذا تفعل إذا رأيت حلماً مزعجاً؟

- لا تهتم.
- تفسره بخير.
- يظهر أثره عليك.
- شيء آخر مثل:

* لماذا يقال: «الضحك الكثير مهوب زين»؟

* ما معنى قولنا: «فأل الله ولا فألك»؟

* ما معنى قولنا: «خير يا طير»؟

* لماذا يقال: إذا وجد إنسان مستلقي على الأرض «لا تخطره»؟

* ماذا تفعل إذا حكتك يدك اليمنى، أو رفّت عينكِ اليسرى؟

* هل تؤمن بالصوت الذي يدوي في الأذن؟

- أؤمن.
- لا أؤمن.
- أحياناً.

* هل هناك حيوانات تجلب الشؤم؟

- نعم - لا

مثل:

* ما رأيك بالزواج في شهر صفر أو شوال؟

* ما اعتقادك بالعدد (١٣)؟

* ما معنى قول العامة: «الله يقطع هالساعة»؟

* ماذا تفعل إذا سمعت نباح الكلب؟

* هل سبق وأن أخبرك أحد عن حكم الطيرة؟

- نعم - لا

* ما هو حكم الطيرة أو التشاؤم؟

- محرم.
- شرك أكبر أو أصغر.
- جائز.

* ما علاج التطير أو التشاؤم؟

- بذكر معين.
- لا يوجد ذكر لذلك.
- أي ذكر من أذكار المصطفى.

وقد قمت بتوزيعها على عدد (١٠٠) من الذكور، وعدد (١٠٠) من الإناث، على اختلاف في درجة الثقافة والتعليم، وكانت نتيجة الاستبيان على النحو التالي:

نتائج الاستبانة	النسبة
ـ التشاؤم عند النساء.	٥٦٪
ـ التشاؤم عند الرجال.	٣٤٪
ـ التشاؤم بصفة عامة (حقيقة)[١].	٨٥٪
ـ عند المثقفين.	٥٣٪
ـ عند الأميين.	٩٠٪
ـ عند محدودي الثقافة.	٦٥٪
ـ أنه يكثر عند ضعيفي الإرادة.	٨٠٪
ـ أن طبيعة المتشائم حساس تجاه الأمور.	٩٤٪
ـ أن أصل بعض الخرافات من مواقف معينة حدثت للشخص.	٢٥٪
ـ وبعض الخرافات متوارث عن الأجداد.	٧٥٪
ـ أن بعض الخرافات يعتقد بها البعض ولا يعرف أصلها.	٨٨٪
ـ إنكار الشؤم في المرأة والدابة والدار.	٨٩٪
ـ اعتياد الإنسان على بعض الخرافات من غير معرفة أصلها مع أنها مستوحاة من الغرب.	١٥٪
ـ معرفة حكم التشاؤم.	٢٥٪
ـ إدراك أن التشاؤم قد يصل إلى الشرك الأكبر.	٠١٪
ـ قراءة الكف وقراءة الأبراج للاعتقاد بها.	صفر٪
ـ قراءة الكف وقراءة الأبراج للتسلية.	٤٠٪
ـ التشاؤم عند الصغار والشباب.	٣٥٪
ـ التشاؤم عند كبار السن.	٨٥٪
ـ أن التفاؤل موجود.	١٠٠٪
ـ التفاؤل بأشياء ممنوعة بظن أنها تجلب الخير.	٠٥٪
ـ التفاؤل الحقيقي كفعل النبي ﷺ.	٨٩٪
ـ كثرة التفاؤل والتشاؤم أثناء الأزمات من مرض وموت وميلاد وكوارث وغير ذلك.	١٠٠٪
ـ تأثر المحيط الخارجي من التشاؤم (يتضايقون).	٣٩٪
ـ في بعض الأحيان يتضايق المجتمع من التشاؤم.	٧٨٪

(١) حيث أن الأغلبية لا يعترف بتشاؤمه، ولكن من خلال الحديث يتبين ذلك التشاؤم.

نتائج الاستبانة	النسبة
- الوقوف عن العمل عند التشاؤم.	٢٥٪
- المضي ولكن يبقى أثره في النفس.	٧٥٪
- التحرز من تسمية الابن باسم أبيه.	٤٤٪
- التشاؤم من رؤية الأحلام المزعجة.	٥٣٪
- تفسير الحلم بخير.	٧٢٪

❑ ❑ ❑

خلاصة الدراسة

١ ـ استعرضت هذه الدراسة نماذج من الفكر الخرافي في المجتمعات الجاهلة والمتعلمة على حد سواء، واتضح أن هذه الخرافات لا تقتصر على المجتمعات الأمية، وإنما ما زالت صور منها منتشرة في أرقى مجتمعات العالم.

٢ ـ أن التفاؤل والتشاؤم يتبع حالة الشخص المزاجية، والنفسية، فهي تكثر عند المفرطين في الحساسية وضعيفي الإرادة وأثناء المرض والأزمات.

٣ ـ اختلاف نسبة التطير على حسب السن، والنوع، والثقافة.

٤ ـ أن مصدر هذه الاعتقادات جاءت عن طريق وراثتها من الأجداد، أو ارتباط موقف معين، أو من خلال المحيط الخارجي.

٥ ـ أن الغالبية لا تؤمن بالتشاؤم، ولكنها تفعله، فهي تعتقد عدم صحة هذا الأمر، ولكنها تجده في نفسها، ولم تتعرف على العلاج الصحيح لدفع هذا التشاؤم أو التطير.

٦ ـ أما فيما يختص بالتساؤل الهام، وهو لماذا يؤمن بها الناس رغم عدم استنادها إلى أسس علمية، أو واقعية، أو خضوعها لمبدأ الحتمية والاطّراد؟

فالجواب عن ذلك: لأنها تشبع عنده كثيراً من الحاجات وترضي عنده دوافعه في الأمن والاستقرار، وإن كان استقراراً وهمياً خيالياً، كذلك فإنها تشبع حاجته في الخلاص من مواقف الغموض والحيرة والشك التي تنتابه إزاء ظواهر الحياة الغامضة، أو تلك التي يفشل بإخضاعها، كالحياة، والموت، والأمطار، وما إلى ذلك، فهي لها وظيفة هامة في حياته.

ولكن رغم وجود هذه الوظيفة لها، إلا أنها تؤدي إلى الكثير من الأضرار

العقدية، والنفسية، والاجتماعية، والجسمية، والاقتصادية، فهي تجعل الإنسان يتعلق بغير الله ﷻ، وتعوق التقدم والمضي، وبالتالي يكون الضرر على المجتمع ككل.

وبعد، فهذه الدراسة التي تم فيها ذكر أكثر الصور شيوعاً وأقلها في جميع قطاعات المجتمع من أبناء الطبقات من كلا الجنسين ووقع الكثير من الناس في التطير والتشاؤم بها.

وعليه فإنه لا بد لنا من أن نتعرف على الأسباب التي دعتهم إلى ذلك، وهذا سيتضح في المبحث التالي.

❑ ❑ ❑

المبحث الثالث

أسباب وقوع الناس في الطيرة

من الأمور المسلّم بها: أهمية العلم ولا سيما العلم الشرعي، أي معرفة أمور الدين وشرائعه، ومن ثم العمل بذلك، حتى يعبد الله تعالى على بصيرة: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

ومن هنا فإن الجهل بالدين وأحكامه آفة خطيرة، فهو يحجب عن معرفة الحق، ويبعد عن سنّة الهدى، ويؤدي إلى الضلال، كما حدث للنصارى الذين ضلوا بسبب عملهم لا بعلمهم.

فالجهل من أسباب حصول التشاؤم عند بعض المسلمين، حيث لم يميزوا بين الفأل والطيرة، بل قاسوا الثاني على الأول.

وقد انتشر الجهل في العصور المتأخرة في جميع أنحاء العالم الإسلامي ـ إلا من رحمه الله ـ ومن أهم أسباب انتشاره سكوت بعض العلماء عن إظهار الحق، أو إسكاتهم، وقلة من يستمع لهم، فنتج عن الجهل تقليد الأسلاف، وتحكيم العادات السائدة بدون دليل، وهي شبهة احتج بها الكفار المخالفون لدعوة الرسل .

فالواجب على كل مسلم، تعلم أمور دينه، وما ينفعه، حتى يكون في حصن حصين مما قد يخل بعقيدته ويؤثر عليها.

وكذلك من الأسباب، التشبه بالكفار ومحاكاتهم، ولقد دلّ القرآن الكريم، والسنّة النبوية، وإجماع العلماء على الأمر، بمخالفة الكفار، والنهي عن مشابهتهم، لما ينشأ عن مشابهتهم والاقتداء بهم من الأضرار الكثيرة[2].

---

(١) سورة الزمر: الآية (٩).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٨٢).

ومن أهم الأسباب التي تجعل الإنسان يتشاءم، قلة التوكل على الله، ومعرفة أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

فالتوكل على الله في كل الأمور، يجعل الإنسان في حرز من دخول الشيطان إلى قلبه ووسوسته له، فلا سلطان له على المؤمن القوي، فالشيطان يستغل شغف الإنسان لمعرفة الغيب، فيوحي إليه، ويشبهه له، حتى يعتقد، ويقرن بين هذه الأشياء والوقائع التي حدثت له، ويجعل بينها ارتباط، وبالتالي يعتقد أن لها أثراً على الإنسان.

كما حدث مع لامبرتس[1]:

قال لامبرتس: إنه وزوجته كانا يزوران مدينة (كوبي) باليابان خلال جولة بحرية عالمية قاما بها، ولفت نظرهما في محل للعاديات تمثال صغير من العاج لإله الحظ الياباني (هورتي)[2]، وهو على شكل رجل بدين بجسم نصف عار يجلس على وسادة أعجبت الزوجة ماري بالتمثال وقررت شراءه، وزاد سرورهما عندما وجدا ثمنه رخيصاً رغم أنه مصنوع من العاج، بدت الصفقة لهما أشبه بضربة حظ غير متوقعة، فاشتريا التمثال، وفي قمرتهما بالسفينة التي يبحران عليها أخذا يتفحصانه جيداً، كان في لون القشدة الناصعة، دلالة أنه مصنوع من العاج القديم النقي، ومنحوتاً نحتاً رائعاً، ليس به عيب سوى ثقب صغير في أسفله، ويبدو أن التمثال صنع من قاعدة سن فيل، وهذا الثقب عبارة عن مكان العصب الذي كان يربط السن، لذا فقد حشاه الصانع بعجينة مختلفة من العاج.

ووضعت ماري لامبرتس التمثال في إحدى حقائبها، وأبحرت السفينة إلى الفلبين، وفي اليوم التالي بدأت السيدة لامبرتس تعاني ألماً حاداً في أسنانها، أعطاها طبيب السفينة بعض المسكنات، ولكنها لم تفد، وقضى الزوجان الرحلة التي استغرقت (١٢) يوماً في حالة من البؤس الشديد بسبب الآلام التي لا تطاق.

وفي مانيلا، ولم تتمكن السيدة من زيارة الطبيب، ثم تابعت الرحلة،

---

(١) هذه القصة رواها الكاتب البريطاني (س.ح لامبرتس) في كتاب أصدره عن رحلاته.

(٢) نسأل الله العافية؛ هناك إله للحظ، وإله للنحس وغير ذلك.

وعندما كانت السفينة في طريقها إلى أستراليا، انتقل التمثال على نحو ما إلى حقائب الزوج، فبدأ يعاني ألماً في أسنانه، وعندما استشار الطبيب في ذلك، أكد له أن جميع أسنانه في حالة سليمة، واستمر الألم، وعندما وصلوا إلى العاصمة، ترك الزوجان الحقائب في قمرتهما، فتوقف ألم الأسنان، وعندما عادا عاد ألم الأسنان، واستمر الحال على هذا المنوال طيلة الرحلة.

ثم زار الزوجان أم الزوجة في نيويورك، وأعجبت بالتمثال إعجاباً شديداً، فأهدياه لها، وفي نفس اليوم، بدأت أسنان الأم تؤلمها، فتشاءمت من التمثال وأعادته إليهما، وحتى ذلك الوقت لم يربطا بين ألم الأسنان والتمثال، ولكن في رحلة العودة استعارت إحدى الراكبات التمثال منهما، فذهب عنهما الألم، وعندما أصبحوا أخبرتهم أنها لم تنم تلك الليلة بسبب ألم الأسنان، فأخذا يراجعان سجل تلك الأيام السابقة، وقرنا بينه وبين الألم، وعندما عادا إلى لندن، عرضاه على تاجر تحف شرقية، وأخبراه بما حدث لهما معه، فأخبرهما أن هذه التماثيل، يكون لها في بعض الأحيان أرواح[1].

فللتشاؤم نفسه حالات متعددة، ومتنوعة، وأوضاع تختلف باختلاف كل متشائم على حدة، فلذلك أسباب متعددة ومتنوعة، فلا تجدها مجتمعة في كل حالة، ولكن بعضها يلتقي مع بعض وتتمازج حسب الطباع والأشخاص والظروف، فالتشاؤم مثلاً عند الرجال غيره عند النساء ـ كما سبق ووضحنا ـ، لذلك سوف أذكر أهم الأسباب التي أعتقد أنها دافع للتشاؤم عند أغلب الناس.

فمن أهم الأسباب:

- الاستعداد للتقبل من الناس عن طريق فرط الحساسية، فتجعل للحوادث التافهة البسيطة أهمية لا تستحقها، ويكون صداها في نفس الحساس أضعاف أضعاف قيمتها الحقيقية.

---

(١) ونرى أن هذه القصة قد تكون مختلقة، حتى تثبت ما هم عليه من تناسخ الأرواح، وقد يكون للخيال دور كبير في صياغتها، وقد يكون لها أصل، ولكن ليس على النحو الذي ذكروه.
وعلى كل حال، إذا صدقت هذه القصة، فإن لهذا التمثال شيطان يحدث بصاحبه هذا الأثر، وإلا فإن التمثال بنفسه قطعة جماد لا تنفع ولا تضر.
انظر هذه القصة في: حقائق وغرائب (ص١٧٩ ـ ١٨١).

- كذلك ضعف الإرادة سبب مهم من أسباب التشاؤم، تجعل الإنسان يتقبل من المحيط الخارجي دون تفكير، فهو مسلوب الإرادة، فإن فعل المجتمع فعل هو وما حدث به الناس حدث به هو.

- كذلك من الأسباب الضعف الذي يعتري الشخص عن طريق الأزمات أو الحوادث أو المرض، فيكون سريع التقبل سريع التشاؤم.

ولكن من أهم الأسباب التي تدعو إلى التشاؤم والانحراف العقدي، هو الانحراف الفكري عن منهج التفكير السليم وذلك ينتج بعدة طرق:

١ ـ ضعف العقل وقبوله ما يلقى إليه من أفكار باطلة.

٢ ـ الغرور بالنفس والإعجاب بالرأي.

٣ ـ الإيمان ببعض الفلسفات الناقصة مثل الإيمان بالمحسوس فقط.

من أسباب التطير كذلك تعليل بعض الناس أن أغلب الناس تفعل ذلك، ولو كان شركاً لما فعله الناس، وهذا من أعمال الجاهلية الذين يحتجون بالأكثر، فمن أكبر قواعدهم الاحتجاج بالأكثر[١].

ومن ذلك أن الإنسان ـ وقد خلق من عجل ـ وإن تملكه أمران استصعب بهما طريق العلم، واستبطأ بهما طريق البحث، واستعاض عنهما بطريق التخيل والتخمين، فالميل إلى الكسل وعدم العمل سبب من أسباب التشاؤم والتطير.

- رغبته الملحة في سرعة اكتشاف الغيب وخاصة فيما يتعلق بمستقبله ومستقبل من يتصل به.

- خوفه الشديد من اعتراض ما يعوقه عن تحقيق أهدافه، التي يأمل القيام بها ويعزم عليها، ففي سبيل تلك الرغبة الملحة، أخذ ينصت لما يجري بين الناس من أحاديث الوهم والخيال، لمعرفة الغيب من خيره وشره، واكتشاف المعوقات ذات الشؤم، والميسرات ذات الفأل.

وبذلك تفتحت له طرق الوهم والدجل، عن طريق التطير وغيرها من

---

(١) انظر: مسائل الجاهلية (ص١٦).

الكهانة، من قراءة فنجان، وكف، واستخارة القرآن[1]، وعن طريق التشاؤم بالزمان في الساعة، اليوم، والشهر، والمكان، والأشخاص، والأشياء، والكلمات، إلى غير ذلك.

- صدق بعض التنبؤات، أثر في استمرار الناس على التعلق بتلك الوسائل.

- هناك مبرر آخر للنفوس الضعيفة في استمرارها عليها، ذلك هو اشتغال بعض المنتسبين إلى العلم ـ ظلماً وزوراً ـ بكثير من هذه الوسائل، فكثيراً ما يرد في المجلات، والصحف، من إعداد إطار خاص، يرشد الناس إلى حظ القارئ، ونجمه، والمفروض أن الصحف مصادر للتثقيف والتوجيه، وأن المشرفين عليها أرباب ثقافة، أخذوا على عاتقهم توجيه الناس إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم.

- عناد الإنسان وجهله، وولعه بنسيان الحسنات، وإحصاء السيئات، وعسى أن يكره شيئاً وهو خير له، وعسى أن يحب شيئاً وهو شر له.

- البعد عن عهد الرسالة، واندلاع الخرافات، وتشعب المذاهب، مما قد يخفي معه بعض معالم الحق، ويسمح بانبعاث البدع والخرافات.

- قلة الصد عن تلك البدع والخرافات، حتى يظن الناس أنها مباحة، لا شيء فيها، أو أنها لا تصل إلى حد الشرك بالله ﷻ، فنقص الاهتمام بها يؤدي إلى توالدها وانتشارها.

- حمل الوافدين إلى هذه البلاد، ما في بلدانهم من ألوان البدع والخرافات في أفكارهم أو أقوالهم أو أفعالهم، أو في هذه كلها، ثم بثها هنا عن سذاجة، فتبقى لها آثار تتطور مع الزمن بمقتضى عوامل التطور.

- أن يندس في الوافدين إلى البلاد عملاء المبادئ المنحرفة، بقصد إلقاء

---

(١) استخارة القرآن عن طريق فتح المصحف وقراءة الآية التي تقع عليها العين فيتفاءل أو يتشاءم بها، كما فعل الوليد بن عبد الملك عندما فتح على قوله تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾، فقال كلمات لا تسوَّد بها هذه الصفحات. انظر: معارج القبول (٢/ ٣٩٨).

الدسائس في منهج الأمة الإسلامية عقيدة وشريعة، فيدخلوا من الثغرات المفتوحة لهذه البدع والخرافات، وما أكثر هذه الثغرات في مختلف العصور، ومنها عصرنا هذا الذي يكثر فيه ـ مع الأسف ـ الاستسلام لأعداء الإسلام.

- الخوف من الحسد والعين، يجعل الإنسان يخاف من الناس، ويحاول إخفاء نعمة الله، ومن ثم يجعل كل ما أصابه من شر، أو زوال نعمة، هي بسبب العين... صحيحة أن العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، ولكن لا نجعل لها ذلك السلطان الذي يخوفنا من كل شيء، ويجعلنا نجحد نعمة الله علينا، إنما علينا بذكر الأذكار التي تحفظنا من كل شيء، سواء من العين، أو غير ذلك.

- يكثر التفاؤل والتشاؤم إذا كان متعلقاً بالمستقبل، وليس بيد الإنسان سبب ظاهر لبلوغه، فيكثر مثلاً في أمور الزواج بالنسبة للفتيات، وأمور الحمل والولادة بالنسبة للنساء، وفي أمور (المباريات) بالنسبة للشباب[1] إلى غير ذلك.

❑ ❑ ❑

(١) سمعت أن بعض أعضاء نادي من الأندية الرياضية يتفاءل بلبس جاكيت، ويعتقد أنه إذا لبس هذا الجاكيت انتصر ناديه.



حكم الطيرة

وفيه مباحث:

المبحث الأول: ذم الطيرة في القرآن.

المبحث الثاني: ذم الطيرة في السنّة.

المبحث الثالث: متى تكون الطيرة شركاً أكبر، أو أصغر.

المبحث الرابع: علاقة الطيرة بالسحر.

المبحث الأول

ذم الطيرة في القرآن

جاء الإسلام ناهياً عن التطير، داعياً إلى التفاؤل، مريداً بذلك قطع أوهام الجاهلية، والقضاء على خرافات البشر، مرتقياً بالإنسانية إلى حيث يريد لها من العزم والحزم والإيمان بمقدر الأشياء وحده.

والطيرة من أعمال أهل الشرك والكفر، ولم يحك الله التطير في القرآن الكريم إلا عن أعداء الرسل، الذين تطيروا برسلهم، فقد حكاها الله في كتابه عن قوم فرعون، وقوم صالح، وأصحاب القرية التي جاءها المرسلون، وعن يهود المدينة بالرسول محمد ﷺ.

أما التطير في قوم فرعون:

فقد قال الله تعالى عنهم: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣٠ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٣١﴾[1].

أي: ولقد اختبرنا قوم فرعون وأتباعه على ما هم عليه من الضلالة بالسنين، أي: بالجدوب سنة بعد سنة والقحوط[2]، وهذا معروف عند أهل اللغة، يقال: أصابتهم سنة، أي: جدب، وتقديره جدب سنة. وفي الحديث: «اللهم اجعلها عليهم سنة كسني يوسف»[3].

وسنين: جمع سنة، والسنة هنا بمعنى الجدب لا بمعنى الحول، ومنه

(١) سورة الأعراف: الآية (١٣٠، ١٣١). (٢) انظر: جامع البيان (١٣/٤٥).

(٣) من رواية عبد الله بن مسعود، أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الروم (٨/٥١١ ـ فتح)، مسلم، كتاب صفة يوم القيامة والجنة والنار، باب الدخان (١٧/١٤٠ ـ نووي) بلفظ: اللهم سبع كسبع يوسف. أحمد (١/٣٨٠) بنحوه.

استنّت القوم إذا جدبوا ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ والمعنى: اختبرناهم مع الجدب بذهاب ثمارهم وغلّاتهم إلا القليل، وقيل: نقص الثمرات، النخلة لا تطلع إلا مرة واحدة[١].

قال قتادة[٢]: (أما السنون فكانت ببواديهم ومواشيهم، وأما نقص الثمرات، فكان في أمصارهم وقراهم)[٣].

فهذه السنين في أرض مصر، المخصبة المثمرة المعطاء. قال سعيد بن جبير[٤]، ومحمد بن المنكدر[٥]: كان ملك فرعون أربعمائة سنة، وعاش ستمائة وعشرين سنة لم يرَ مكروهاً قط، لو كان حصل له في تلك المدة جوعاً يوماً أو حمى، أو وجع ساعة، لما ادّعى الربوبية قط[٦].

هذه السنين تبدو ظاهرة تلفت الانتباه وتهز القلوب، وتثير القلق وتدعو إلى اليقظة والتفكر، لولا أن الطاغوت وأتباعه لا يريدون أن يتفكروا، ويدركوا أن هناك علاقة بين كفرهم وفسقهم عن دين الله، وبغيهم وظلمهم لعباد الله، وبين أخذهم بالجدب ونقص الثمرات... في مصر التي تفيض بالخصب والعطاء، تنقص غلتها عن إعالة أهلها إلا لفسوق أهلها أخذهم بالابتلاء لعلهم يذكرون.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/١٦٨). وانظر: فتح القدير للشوكاني (٢/٢٣٧)، جامع البيان (١٣/ ١٣٠)، وتيسير العلي القدير (٢/ ٢٣٢).

(٢) قتادة بن دعامة بن عزيز قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب الضرير الأكمه، كان من أوعية العلم ممن يضرب به المثل في الحفظ، توفي سنة ١١٧هـ بواسط.
انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ (١/ ١٢٢)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٩).

(٣) جامع البيان (١٣/ ١٣٠)، زاد المسير (٣/ ١٣٢).

(٤) سعيد بن جبير بن هشام، الإمام الحافظ، المقرئ المفسر، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي، مولاهم الكوفي، قتل عام ٩٥هـ.
انظر: شذرات الذهب (١/ ١٠٨)، السيد (٤/ ٣٢١).

(٥) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى، الإمام الحافظ القدوة، شيخ الإسلام أبو عبد الله التيمي المدني، توفي عام ١٣٠هـ، وقيل: ١٣١هـ.
انظر ترجمته في: التاريخ الكبير (١/ ٢١٩)، السير (٥/ ٣٥٣).

(٦) تفسير الخازن، المسمى: لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ١٢٣).

لم ينتبهوا لهذه الظاهرة التي شاءت رحمة الله بعباده أن تبرزها لأعينهم، ولكنهم كانوا إذا أصابتهم الحسنة والرخاء حسبوها حقاً طبيعياً لهم.

وإذا أصابتهم السنة والجدب نسبوا هذا إلى شؤم موسى ومن معه عليهم، فإذا جاءتهم الحسنة، قالوا: لنا هذه، وإن تصبهم سيئة يطَّيروا بموسى ومن معه، هكذا مضى فرعون وآله يعللون الأحداث.. الحسنة التي تصيبهم هي من حسن حظهم وهم يستحقونها، والسيئة التي تصيبهم هي بشؤم موسى ومن معه عليهم ومن تحت رأسهم[1].

فبيّن الله أنهم عند نزول المحن عليهم يقدمون إلى ما يزيد كفرهم ومعصيتهم، فيقولون: (إذا جاءتهم العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار، ورأوا ما يحبون في دنياهم: ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ نحن أولى بها ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ يعني: جدوب وقحوط وبلاء ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ يتشاءموا بهم، ويقولوا: ذهبت حظوظنا وأنصبتنا من الرخاء والخصب والعافية، مذ جاءنا موسى عليه السلام)[2].

وقال ابن عباس: يريد بالحسنة العشب والخصب والثمار والمواشي والسعة في الرزق والعافية والسلامة ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾، أي: نحن مستحقون على العادة التي جرت من كثرة نعمنا وسعة رزقنا، ولم يعلموا أنه من الله فيشكروه عليه، ويقوموا بحق النعمة.

وقوله: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾، يريد القحط والجدب والمرض والضر والبلاء يتشاءموا بموسى ويقولوا: إنما أصابنا هذا الشر بشؤم موسى وقومه[3].

ويطَّيروا أصلها يتطيروا، أدغمت التاء في الطاء، لإنهما من مكان واحد من طرف اللسان وأصول الثنايا[4].

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ استئناف مسوق من قِبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق للحق في ذلك، وتصديره بكلمة التنبيه لإبراز كمال العناية

(١) انظر: في ظلال القرآن (٣/ ٦١٦). (٢) جامع البيان للطبري (١٣/ ١٣١).
(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي (١٣/ ٣١٧)، وجامع البيان (١٣/ ١٣١).
(٤) انظر: التفسير الكبير للرازي (١٣/ ٣١٧)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٦٩).

بمضمونه، أي: من قبله وحكمه[1].

وقالوا في الطير في قوله: ﴿طَـٰٓئِرُهُمۡ﴾ قولان:

القول الأول:

قال ابن عباس: يريد شؤمهم عند الله تعالى، أي: من قبل الله، أي: إنما جاءهم الشر بقضاء الله وحكمه، فالطائر هاهنا الشؤم، ومثله قوله تعالى في قصة ثمود: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾[2]. قال الفراء[3]: وقد تشاءمت اليهود بالنبي ﷺ بالمدينة، فقالوا: غلت أسعارنا وقلّت أمطارنا مذ أتانا. وقال الزجاج[4]: الشؤم الذي وعدوا به من العقاب عنده لا ينالهم في الدنيا.

القول الثاني:

ما ذكره أبو عبيدة[5]، عند تفسيره قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: حظهم وهو ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إنما طائرهم ما قضي عليهم وقدر لهم، والعرب تقول: أطرت المال وطيرته بين القوم فطار لكل منهم السهم[6].

والمعنى على كلا القولين، أن كل ما يصيبهم من خير، أو شر، فهو بقضاء من الله تعالى وتقديره، ولكن في المعنى الأول، يختص بالآخرة، أي: عند الله مدخراً لهم يوم القيامة، يعاقبهم به على كفرهم، وفي المعنى الثاني،

---

(١) انظر: روح المعاني (٩/ ٣٢).
(٢) سورة النمل: الآية (٤٧).
(٣) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، مولى بني أسد، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة والأدب، ولد بالكوفة، وتوفي في طريق مكة ٢٠٧هـ. من مؤلفاته: المعاني.
انظر: السير (٩/ ٤٤٥)، الأعلام (٧/ ٢٧٢).
(٤) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، عالم بالنحو واللغة، مات في بغداد سنة ٣١١هـ. من مصنفاته: معاني القرآن والأمالي.
انظر ترجمته في: السير (١٤/ ٣٦٠)، الأعلام (١/ ٤٠).
(٥) هو معمر بن المثنى التميمي بالولاء، البصري أبو عبيدة النحوي، من أئمة العلم والأدب واللغة، ولد وتوفي في البصرة ١١٠ ـ ٢٠٩هـ، له نحو (٢٠٠) مؤلف.
انظر: السير (٩/ ٤٤٥)، الأعلام (٧/ ٢٧٢).
(٦) انظر: التفسير الكبير للرازي (١٣/ ٢١٦).

يشمل الدنيا والآخرة، فكل ما هو مقدر ومكتوب لهم من المصائب، سواء في الدنيا أو الآخرة، فهو من قبل الله سبحانه وتعالى ومن عنده.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: (أن الكل من الله تعالى، وذلك لأن أكثر الخلق يضيفون الحوادث إلى الأسباب المحسوسة ويقطعونها من قضاء الله تعالى وتقديره، والحق أن الكل من الله فهم لا يعلمون أن ما لحقهم من القحط والشدائد إنما هو من عند الله ﷻ بذنوبهم لا من عند موسى وقومه)[1].

(وحكم بنفي العلم عن أكثرهم، لأن القليل منهم علم كمؤمن آل فرعون وآسية امرأة فرعون)[2].

ففي هذه الآية، يصف الله ﷻ، سيرة فرعون وقومه مع موسى عليه السلام وأصحابه، ويصور موقفهم نحوهم، وأنه إذا أنزل بهم شراً تشاءموا بموسى عليه السلام وأصحابه ونسبوه إليهم، ثم بيّن الله سبحانه بطلان زعمهم، ويؤكد أن ما أصابهم من الشر هو من الله حاصل بسبب كفرهم وتكذيبهم بآيات الله، ثم يبيّن سبب تصرفاتهم هذه، وهو جهلهم، وعدم علمهم بأن الله هو المقدر للخير والشر.

التطير في قوم ثمود:

ولم يكن قوم ثمود أحسن حالاً من فرعون وقومه، فقد حكى الله عنهم قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾[3].

يخبر الله تعالى عن ثمود، وما حكى من أمرهم مع نبيهم صالح عليه السلام حين بعثه الله إليهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾، أي: مؤمن وكافر، وقيل: تخاصمهم، إن كل فرقة قالت: نحن على الحق دونكم، وقيل: قولهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٧٠).
(٢) البحر المحيط (٤/ ٣٧).
(٣) سورة النمل: الآيات (٤٥ ـ ٤٧).

بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ۝٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٧٦ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٧٧ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ۝٧٨﴾[1].

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾، وذلك حين قالوا: إن كان ما تأتينا به حقاً فأتنا بالعذاب[2].

وفي السيئة والحسنة أقوال:

الأول: أن السيئة: العذاب، والحسنة: الرحمة، قاله: مجاهد[3].

الثاني: السيئة: البلاء، والحسنة: الرحمة، قاله: السدي[4].

والمعنى: لِمَ تؤخرون الإيمان الذي يجلب إليكم الثواب، وتقدمون الكفر الذي يجلب إليكم العقوبة. فقد كانوا لفرط كفرهم يقولون: آتنا يا صالح بالعذاب ﴿لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ هلا تستغفرون الله من الشرك لعلكم ترحموا لا تعذبوا.

ووصف العذاب بأنه سيئة مجازاً، إما لأن العقاب من لوازمه، أو لأنه يشتبه في كونه مكروهاً، فكان جوابهم عليه بعد هذا الإرشاد الصحيح، والكلام اللين، أنهم قالوا: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾[5].

﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا﴾. قال ابن قتيبة[6]: (المعنى تطيرنا وتشاءمنا ﴿بِكَ﴾ فأدغمت

---

(١) سورة الأعراف: الآيات (٧٥ ـ ٧٨). وانظر في: تفسير الآيات الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٤٢)، وتيسير العلي (٣/ ٣٦٦)، وزاد المسير (٦/ ١٨٠).

(٢) زاد المسير (٦/ ١٨٠)، فتح القدير (٤/ ١٤٣).

(٣) مجاهد بن جبير، أبو الحجاج، مولى بني مخزوم، تابعي مفسر، من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين، يقال: أنه مات وهو ساجد سنة ١٠٤هـ.
انظر ترجمته في: السير (٤/ ٤٤٩)، الأعلام (٤/ ٢٧٨).

(٤) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، الإمام المفسر، أبو محمد الحجازي الكوفي، أحد موالي قريش، توفي سنة ١٢٧هـ.
انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال (١/ ٢٣٦)، تهذيب التهذيب (١/ ٣١٣).

(٥) انظر: فتح القدير (٤/ ١٤٣)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٧٩).

(٦) سبق التعريف به (ص٧٧).

التاء في الطاء، وأثبتت الألف ليسلم السكون لما بعدها. وقال الزجاج[1]: الأصل تطيرنا، فأدغمت التاء في الطاء، واجتلبت الألف لسكون الطاء، فإذا ابتدأت قلت: اطيرنا، وإذا وصلت لم تذكر الألف وتسقط لأنها ألف وصل)[2].

(والتطير: التشاؤم، مأخوذ من عادة الأقوام الجاهلية التي تجري وراء الخرافات والأوهام)[3]، ولا شيء أضر بالرأي وأفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة.

ومن ظن أن خوار بقرة، أو نعيب غراب، يرد قضاء، أو يدفع مقدر، فقد جهل، فما تدري الطير عن الغيب، وما تنبئ حركاتها عن شيء مجهول، ولكن النفس البشرية لا تستطيع أن تعيش بلا مجهول مغيب تكل إليه ما لا تعرفه وما لا تقدر عليه، فإذا لم تكل المجهول إلى الإيمان بعلام الغيوب، ووكلته إلى مثل هذه الأوهام والخرافات التي لا تقف عند حدود، ولا تخضع لعقل ولا تنتهي إلى اطمئنان ويقين.

وحتى هذه اللحظة، نرى الذين يهربون من الإيمان بالله، ويستنكفون أن يكلوا الغيبئ إليه، لأنهم ـ بزعمهم ـ قد انتهوا إلى حد من العلم لا يليق معه أن يركنوا إلى خرافة الدين.

هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله، ولا بدينه، ولا بغيبه.. تراهم يعلقون أهمية على الرقم (١٣)[4]، وعلى إشعال لفافتين بعود ثقاب واحد[5].. إلى آخر

(١) سبق التعريف به (ص١١٧).

(٢) زاد المسير (٦/ ١٨٠ ـ ١٨١).

(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٢٧٩).

(٤) كما مر سابقاً عن خرافة الرقم (١٣) في المبحث الثاني (ص٩٤).

(٥) حيث يتشاءموا إن أشعلوا السيجارة الثالثة ـ ولن نتطرق إلى حكمها لأني لا أظن أن أحداً يجهل حكمها ـ بنفس العود الذي أشعل به الأولى والثانية يرجع أصلها إلى ما لحقهم أيام الحرب العالمية عند إشعال السيجارة الثالثة، وذلك لأن الإضاءة عند إشعال واحد، أو اثنين لا يعطي الفرصة لرؤية المواقع في الليل، ولكن إشعال ثلاث سيجارات يلفت الانتباه وينبأ بالمواقع، منهم من اعتقدوا أن السبب السيجارة فتشاءموا من ذلك.

الخرافات الساذجة، ذلك أنهم يعاندون حقيقة الفطرة، وهي جوعتها إلى الإيمان، وعدم استغنائها عنه، وركونها إليه في تفسير كثير من حقائق هذا الكون، التي لم يصل إليها علم الإنسان، وبعضها لن يصل إليه في يوم من الأيام، لأنه أكبر من طاقته البشرية، لأنه خارج عن اختصاصه في خلافته في الأرض.

فلما قال قوم صالح قولتهم الجاهلية الساذجة، الضالة في نية الوهم والخرافة، ردهم صالح إلى نور اليقين، وإلى حقيقته الواضحة، البعيدة عن الضلال والظلام[1]، فكل ما أصابهم من الله.

(﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾، قيل: مصائبكم)[2]، وقيل: حظكم ومستقبلكم ومصيركم عند الله، والله قد سنّ سنناً وأمر الناس بأمور، وبيّن لهم الطريق المستنير، فمن اتبع سنّة الله، وسار على هواه، فهناك الخير، بدون حاجة إلى زجر الطير. ومن انحرف عن السنة، وحاد عن السواء، فهناك الشر بدون حاجة إلى التشاؤم والتطير[3].

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾، (أي: تمتحنون، وقيل: تعذبون بذنوبكم)[4]. فتفتنون بنعمة الله، وتختبرون بما ينفعكم من خير، ومن شر، فاليقظة وتدبر السنن وتتبع الحوادث والشعور بما وراءها من فتنة وابتلاء هو الكفيل بتحقيق الخير في النهاية لا التشاؤم والتطير ببعض خلق الله من الطير ومن الناس سواء[5].

وإذا تركنا قوم ثمود وما فعلوه، فإن هذا يدعونا إلى أن ننظر إلى قصة أخرى، وحادثة سالفة، حصلت من أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون المبلغون بدعوة الله والهداية إلى الحق، فماذا قالوا:

التطير في أصحاب القرية التي جاءها المرسلون:

قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ

---

(١) انظر: في ظلال القرآن (٦/ ٢٧٩، ٢٨٠). (٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٤٢).
(٣) انظر: الظلال (٦/ ٢٨٠). (٤) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٤٢).
(٥) انظر: الظلال (٦/ ٢٨٠).

إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾[1].

يقول الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾، أي: لقومك الذين كذبوك ﴿مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾، يقال: إنها مدينة أنطاكية[2]، وكان بها ملك يعبد الأصنام اسمه (أنطيخيس)، فبعث الله تعالى إليه ثلاثة من الرسل فكذبهم ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ أي: بادرهما بالتكذيب ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: شددنا أزرهم برسول ثالث ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ أي: لأهل تلك القرية: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾، أي: من ربكم الذي خلقكم يأمركم بعبادته وحده لا شريك له.

﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، أي: كيف أوحى الله إليكم وأنتم بشر مثلنا. وهذه شبهة كثير من الأمم المكذبة.

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ أي: أجابهم الرسل الثلاثة، الله يعلم إنا رسله إليكم ولو كنّا كذبنا عليكم لانتقم منا أشد الانتقام، ولكنه سينصرنا عليكم.

﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ أي: ما علينا إلا إبلاغكم ما أرسلنا به إليكم، فإن أطعتم فلكم سعادة الدارين، وإن عصيتم فعليكم مغبة ذلك[3].

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ لما ضاقت عليهم الحيل وعييت بهم العلل: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي: تشاءمنا بكم جرياً على ديدن الجهلة، حيث يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم، وإن كان مستجلباً لكل شر، ويتشاءمون بما لا يوافقها، وإن كان

(١) سورة يس: الآيات (١٣ ـ ١٩).

(٢) وقد اختلف في اسم القرية وفي الرسل ولا فائدة من ذكرهم، إنما العبرة هي بإرسال الرسل وتكذيب قومهم لهم، فما دام القرآن لم يوضح من هم ولا إلى أي قرية ينتمون فلا داعي إلى ذكر الروايات فيها.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/١٣)، روح المعاني (٢١/٢٢٠، ٢٢٢).

مستتبعاً لكل خير، أو بناء على أن الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من إصابة ضر إن لم يؤمنوا فكانوا ينصرفون عنه[1].

(وذلك أنه لما ظهر من الرسل المبالغة في البلاغ ظهر منهم الغلو في التكذيب، فلما قال المرسلون: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾، قالوا: إنا أنتم إلّا تكذبون، ولما أكد الرسل قولهم باليمين حيث قالوا: ربنا يعلم، أكدوا قولهم بالتطير بهم فكأنهم قالوا في الأول: كنتم كاذبين، وفي الثاني: صرتم مصرين على الكذب حالفين مقسمين عليه، واليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع، فتشاءمنا ثانياً، وفي الأول: كما تركتم، وفي الثانية: لا نترككم، لكون الشؤم مدركنا بسببكم)[2].

وقد قال مقاتل[3]: إنه حبس عنهم المطر ثلاث سنين، فقالوا: هذا بشؤمكم.

وقال آخر: أسرع فيهم الجذام عند تكذيبهم الرسل.

وقال ابن عطية[4]: إن تطير هؤلاء كان بسبب ما دخل فيهم من اختلاف الكلمة وافتتان الناس.

ومناط التطير بهم: مقالتهم، كما يشعر به قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟﴾ أي: عن مقالتكم هذه ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ أي: بالحجارة، قاله قتادة، وذكر فيه احتمالين، أن يكون الرجم للقتل أو للأذى. قال الفراء[5]: لنقتلنكم، وعامة ما في القرآن من الرجم معناه: القتل. قال مجاهد[6]: أي: لنشتمنكم[7].

---

(١) فتح القدير (٤/٣٦٣، ٣٦٤)، تيسير العلي القدير (٣/٥٦٤).
(٢) التفسير الكبير للرازي (٢٦/٥٣).
(٣) أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي، كان متروك الحديث. من كتبه: التفسير الكبير، توفي سنة ١٥١هـ.
انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد (١/ ٢٣٠)، السير (١٨/ ٢٠١).
(٤) هو أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية، الأندلسي، الغرناطي، المالكي، كان أديباً شاعراً لغوياً، فاضلاً، ولد سنة ٤٤١هـ، وتوفي سنة ٥٨٦هـ.
انظر ترجمته في: شذرات الذهب (٤/ ٥٩)، السير (../٥٨٦).
(٥) سبق التعريف به (ص١١٧).
(٦) سبق التعريف به (ص١١٩).
(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ١٢، ١٣)، روح المعاني للآلوسي (٢١/ ٢٢٣)، البحر المحيط (٧/ ٣٢٧).

﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قيل: هو الحريق، وقيل: عذاباً غيره تبقى معه الحياة، والمراد لنفتنكم بالحجارة، أو لنعذبنكم عذاباً أليماً لا يقدر قدره، تتمنون معه القتل.

وقيل: أريد بالعذاب الأليم، العذاب الروحاني، وأريد بالرجم، النوع المخصص من الأذى الجسماني، وقيل غير ذلك[١].

﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ رد عليهم الرسل أن سبب شؤمهم معهم لا من قبلنا كما تزعمون، وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم.

وقيل: حظكم من الخير والشر لازم في أعناقكم، وليس هو من شؤمنا، قال معناه: الضحاك[٢] والمبرد[٣]. وقال قتادة: أعمالكم معكم. وعن ابن عباس، أنه فسر الطائر بنفس الشؤم، أي: شؤمكم معكم هو الإقامة على الكفر، وأما نحن فلا شؤم معنا، لأننا ندعو إلى التوحيد، وعبادة الله تعالى، وفيه غاية اليمن والبركة[٤].

وفسروا الطائر بالأعمال وجزاءها، لأنهم كانوا يقولون: إنما أصابنا من المصائب بذنوب الرسل وأتباعهم.

فبيّن الله سبحانه، أن طائرهم ـ وهو الأعمال وجزاؤها ـ هو عند الله وهو معهم فهو معهم لأن أعمالهم وما قدر من جزائها معهم. كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾[٥] وهو من الله، لأن الله تعالى قدر تلك المصائب بأعمالهم، فمنه تتنزل عليهم المصائب، جزاء على أعمالهم،

---

(١) روح المعاني (٢١/ ٢٢٣).

(٢) الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم، مفسر، كان يؤدب الأطفال، ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي، له كتاب في التفسير، توفي في خراسان.
انظر ترجمته في: السير (٤/ ٥٩٨)، الأعلام (٣/ ٢١).

(٣) هو أبو العباس، محمد بن زيد بن عبد الأكبر الأزدي، البصري، النحوي الأخباري، صاحب الكامل، مات سنة ٢٨٦هـ.
انظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين (ص١٠١)، وطبقات المفسرين (٢/ ٢٦٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ١٣)، روح المعاني (٢١/ ٢٢٣، ٢٢٤).

(٥) سورة الإسراء: الآية (١٣).

لا بسبب الرسل وأتباعهم[1].

﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ بهمزتين، الأولى: همزة الاستفهام، والثانية: همزة أن الشرطية. واختلف سيبويه[2]، ويونس[3]، فيما إذا اجتمع استفهام وشرط أيهما يجاب؟

فذهب سيبويه إلى إجابة الاستفهام، أي: تقدير المستفهم عنه، وكأنه يستغني به عن تقدير جواب الشرط، فالمعنى عليه: أئن ذكرتم، ووعظتم بما فيه سعادتكم تتطيرون، أو تتوعدون، أو نحو ذلك. ويقدر مضارع مرفوع، وإن شئت قدرت ماضياً كتطيرتم.

وذهب يونس إلى إجابة الشرط، وكأنه يستكفي به عن إجابة الاستفهام وتقديره مصيب له، فالتقدير أئن ذكرتم تتطيروا أو نحوه، مما يدل عليه ما قبل، ويقدر مضارع مجزوم، وإن شئت قدرت ماضياً مجزوم المحل.

وقرأ زر بن حبيش[4]، بهمزتين مفتوحتين وهي قراءة أبي جعفر[5]، فالهمزة الأولى للاستفهام، والثانية همزة أن المصدرية، والكلام على تقدير حرف لام الجر، أي: لأن ذكرتم تطيرتم.

---

(١) انظر: دقائق التفسير (ص١٥٣).

(٢) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري، أبو بشر، إمام النحو، وحجة العرب، طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية. فبرع وساد أهل العصر، ألف فيها الكبير، توفي سنة ١٨٠هـ.

(٣) هو أبو عبد الرحمن، يونس حبيب الضبي، مولاهم البصري، إمام النحو، له تآليف في اللغات، وغير ذلك.
انظر: البيان والتبيين للجاحظ (١/ ٧٧)، معجم الأدباء (٢٠/ ٦٤)، السير (٨/ ١٩١٢).

(٤) هو زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الإمام القدوة، مقرئ الكوفة مع السلمي، أبو مريم الأسدي الكوفي، مات سنة ٨١هـ، وعمره (١٢٠) سنة، أدرك أيام الجاهلية.
انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ (١/ ٥٤)، السير (٥/ ١٦٦).

(٥) هو أبو جعفر القارىء يزيد بن القعقاع المدني، أحد الأئمة العشرة في حروف القراءات، مات سنة ١٢٧هـ.
انظر ترجمته في: طبقات القراء (٢/ ٣٨٢)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٦١).

وقرأ الماجشون يوسف بن يعقوب[1] بهمزة واحدة مفتوحة، فيحتمل تقدير همزة الاستفهام فتتحد هذه القراءة والتي قبلها معنى.

ويحتمل عدم التقدير فيكون الكلام على صورة الخبر، وهو على ما قيل مسوق للتعجب والتوبيخ، وتقديره حرف الجر على حاله، الجار متعلق محذوف.

وقال ابن جني[2]: (أن ذكرتم) على هذه القراءة معمول ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾، كأنهم لما قالوا: ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ﴾ أجيبوا: بل طائركم معكم أن ذكرتم، أي: هو معكم أن ذكرتم، لأنكم ذكرتم فلم تتذكروا ولم تنتهوا، فاكتفي بالسبب الذي هو التذكير عن المسبب الذي هو الانتهاء، كما وضعوا الطائر موضع مسببه وهو التشاؤم لما كانوا يألفونه من تشاؤمهم بنعيب الغراب.

﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾. قال قتادة[3]: مسرفون في تطيركم. وقال يحيى بن سلام[4]: مسرفون في كفركم.

وقيل: السرف هاهنا الفساد، ومعناه: بل أنتم قوم مفسدون، وقيل: مسرفون مشركون، والإسراف هنا مجاوزة الحد، والمشرك يجاوز الحد[5].

فالقول بالتشاؤم، من دعوة، أو من وجه، هو خرافة من الخرافات الجاهلية، والرسل يبينون لقومهم أنها خرافة، وأن حظهم ونصيبهم من خير ومن شر لا يأتيهم من خارج أنفسهم، إنما هو معهم مرتبط بنواياهم وأعمالهم،

---

(١) هو يوسف بن يعقوب بن أبي سلمة الماجشون، الإمام المحدث المعمر أبو سلمة التيمي المنكري، مولاهم المديني، توفي سنة ١٨٠هـ.
انظر: التاريخ الكبير (٢/ ٣٨١)، شذرات الذهب (١/ ٣٩)، السير (٨/ ٣٧١).

(٢) هو ابن جني إمام العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، صاحب التصانيف. من مؤلفاته: اللمع، والخصائص، توفي سنة ٣٩٢هـ.
انظر: ترجمته في البداية والنهاية (١١/ ٣٣١)، السير (١٧/ ١٧).

(٣) سبق التعريف به (ص١١٥).

(٤) هو يحيي بن سلام بن ثعلبة، الإمام العلامة أبو زكريا البصري، نزيل المغرب بأفريقية، صنف فيها كتابه الجامع، مات بمصر سنة ٥٠٠هـ.
انظر: ترجمته في ميزان الاعتدال (٤/ ٣٨٠)، السير (٩/ ٣٩٦).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ١٣).

متوقف على كسبهم وعملهم، وفي وسعهم أن يجعلوا حظهم ونصيبهم خيراً، أو أن يجعلوه شراً، فإن إرادة الله بالعبد تنفذ من خلال نفسه، ومن خلال اتجاهه، ومن خلال عمله، وهو يحمل طائره معه.

هذه هي الحقيقة الثابتة القائمة على أساس صحيح، أما التشاؤم بالوجوه، أو التشاؤم بالكلمات، أو التشاؤم بالأمكنة، فهو خرافة لا تستقيم على أصل مفهوم.

تشاؤم اليهود والمنافقين بالرسول محمد ﷺ:

على عادة الكفار والمنافقين الذين يتشاءمون بالرسل والدعوات، فكما تشاءمت الأقوام السابقة برسلهم، وقع كذلك من هذه الأمة، فقد تشاءموا بخاتم الأنبياء، فقالوا: (هذا من عندك).

فقد قال الله عنهم: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾[١].

فهذه الآية تتحدث عن تشاؤم اليهود والمنافقين بالرسول ﷺ وإن لم ترد بلفظ التطير.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، أي: إن يصيب المنافقين خصب، قالوا: هذا من عند الله.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾، أي: جدب، قالوا: هذا من عندك، أي: أصابنا ذلك بشؤمك وشؤم أصحابك.

وقيل: الحسنة: السلامة والأمن، والسيئة: الأمراض والخوف.

وقيل: الحسنة: الغنى، والسيئة: الفقر.

وقيل: الحسنة: النعمة والفتح والغنيمة يوم بدر، والسيئة: البلية والشدة والقتل يوم أُحد.

وقيل: الحسنة: السراء، والسيئة: الضراء.

هذه أقوال المفسرين، وعلماء التأويل، ابن عباس، وغيره في الحسنة

---

(١) سورة النساء: الآية (٧٨).

والسيئة[1]، ولا يمنع أن تكون كل هذه المعاني مقصودة منهم.

وهذه الآية نزلت في اليهود والمنافقين، ذلك أنهم لما قدم رسول الله ﷺ المدينة عليهم، قالوا: ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا مذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه.

قال ابن عباس: ﴿مِنْ عِندِكَ﴾، أي: بسوء تدبيرك، وقيل: بشؤمك ـ كما ذكرنا ـ أي: بشؤمك الذي لحقنا، قالوه على وجه التطير.

﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، أي: الشدة والرخاء والظفر والهزيمة من عند الله بقضائه وقدره، والمقصود أن ما جاء به الرسول ﷺ ليس سبباً لشيء من المصائب، ولا تكون طاعة الله ورسوله قد سببا لمصيبة[2]، (وإن أصابت المؤمنين بالله ورسوله مصائب تكون بسبب ذنوبهم لا بما أطاعوا فيه الله ورسوله، كما لحقهم يوم أحد بسبب ذنوبهم)[3].

﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾، يعني: المنافقين، ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾، أي: ما شأنهم لا يفقهون أن كلًّا من عند الله[4]. والمقصود أن هؤلاء لو فقهوا القرآن لعلموا أنك ما أمرتهم إلا بخير وما نهيتهم إلا عن شر، وأنه لم تكن المصيبة الحاصلة بسببك بل بسبب ذنوبهم[5].

ومن خلال الآيات نرى أن التطير لم يرد إلا على لسان أعداء الرسل عندما تطيروا برسلهم، وقد رد عليهم الله ﷻ بأن طائرهم معهم على سبيل المشاكلة، فالشؤم الحقيقي هو شؤم المعصية، وما جاءت به الرسل إنما هو الخير المحض.

رد شبهة أن التشاؤم موجود في القرآن:

وقد ترد شبهة أن الشؤم حقيقي وواقع، وقد صرح به القرآن في قوله تعالى: ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾[6]، أي: مشؤومات، وهي كل أربعاء يوافق رابعاً من الشهر، ذلك للعذاب الذي أتى قوم عاد. قال مجاهد[7]، وقتادة[8]: كن آخر شوال من

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٨٣)، ومنهاج السنة لابن تيمية (٥/ ١٣٩).
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٨٣). (٣) دقائق التفسير (ص١٥٢).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٨٣). (٥) انظر: منهاج السنة (٥/ ١٤٢).
(٦) سورة فصلت: الآية (١٦). (٧) سبق التعريف به (ص١١٩).
(٨) سبق التعريف به (ص١١٥).

يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء، وذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوماً[١].

فالعرب كانت تتشاءم من يوم الأربعاء، وهناك من الناس من يتشاءم به حتى الآن ويعتقدون أن به شؤم حقيقي، يقال لهم: إذا كنتم تتشاءمون به لأنه عذاب قوم عاد وكان في يوم الأربعاء، أن العذاب استمر أسبوعاً كاملاً، معنى ذلك أن أيام الأسبوع كلها شؤم، فلماذا خص بيوم الأربعاء فقط؟؟؟

فإن قالوا: إن يوم الأربعاء له ميزة مخصوصة، والدليل على ذلك أن القرآن والسنّة نزلت بشؤمه، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾[٢]. ويستشهدون بما روي عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «دعا على الأحزاب يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الظهر والعصر»، قال جابر: (فما نزل بي أمر مهم غائظ إلا توخيت ذلك الوقت فدعوت الله فيه فرأيت الإجابة).

يرد عليهم:

أولاً: أن أهل العلم قالوا بعدم صحة الحديث، منهم ابن رجب[٣] والألباني[٤].

ثانياً: أن أئمة التفسير قالوا في تفسير الشؤم الموجود في الآية كان في يوم مشؤوماً على قوم عاد. قال ابن عباس: كان آخر أربعاء في الشهر أفنى صغيرهم وكبيرهم في يوم نحس مستمر، أي: دائم الشؤم، استمر عليهم بنحوسه واستمر عليهم فيه العذاب إلى الهلاك، وقيل: استمر بهم إلى النار. وقال الضحاك: كان مر عليهم. وكذا حكى الكسائي[٥]: أن قوماً قالوا هو من المرارة، يقال: مر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٢٧). (٢) سورة القمر: الآية (١٩).

(٣) سبق التعريف به (ص٥٩).

(٤) انظر: لطائف المعارف (ص١٤٨)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة (ح١٥٨) (٤/٨٣).
الألباني هو محمد بن ناصر الدين أبو عبد الرحمن، يلقب بالألباني، ولد في بيئة يغلب عليها الاشتغال بالعلوم الدينية. من مؤلفاته: سلسلة الأحاديث الصحيحة، وحجاب المرأة المسلمة، بالإضافة إلى العديد من التحقيقات لأمهات الكتب رحمه الله. انظر ترجمته في: علماء ومفكرون عرفتهم (٢٨٧).

(٥) الكسائي هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، مولاهم الكوفي الملقب بالكسائي لكساء أحرم فيه، شيخ القراء والعربية، مات بالري بقرية أرنوبة سنة ١٨٩هـ. =

الشيء وأمر، أي: كان كالشيء المر تكرهه النفوس، وقد قال: ﴿فَذُوقُوا﴾، والذي يذاق يكون مراً، وقد قيل: هو من المِرَّة، بمعنى القوة، أي: في يوم نحس مستمر مستحكم الشؤم كالشيء المحكم الفتل الذي لا يُطاق نقضه[1].

فنرى أن النحس ليس في اليوم لأننا نرى السعيد والتعيس في ذلك اليوم، ولكنه نحس على الكفار بسبب معصيتهم وليس لخاصية لذلك اليوم بعينه كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾[2].

وبذلك نرى أن التطير ذكر منسوباً إلى الكفرة المكذبين، وكانت عاقبتهم خساراً ووبالاً وإهلاكاً وعذاباً، وكانت ميراثاً كريماً للمؤمنين الذين لا يتطيرون وعلى ربهم يتكلون، فيقول الله بعد كل حادثة: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾[3].

وكذلك في قوم فرعون: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾[4].

وكذلك بالنسبة لأصحاب القرية، يقول الله تعالى بعد ذلك عن الرجل المؤمن الذي جاء داعياً قومه أهل القرية إلى الإيمان: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾[5]. ولا شك أن دخول الجنة أعظم ميراث.

أليس في ذلك الحديث القرآني الدقيق عن بلوى التطير كافياً لصرف الناس عن الاستسلام إلى أوهام التشاؤم، ومحرضاً لهم على التوجه إلى الله والاهتداء بهداه، والحرص على رضاه.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾.

= انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٠١)، السير (٩/ ١٣١).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٨٨). (٢) سورة الأعراف: الآية (١٣١).

(٣) سورة الأعراف: الآيتان (١٣٦ ـ ١٣٧). (٤) سورة النمل: الآيات (٥١ ـ ٥٣).

(٥) سورة يس: الآيات (٢٦ ـ ٢٧).

المبحث الثاني

ذم الطيرة في السنّة

جاءت السنّة بذم الطيرة والنهي عن التطير والتشاؤم بما يسمع من صوت طائر مهما كان على أي حال.

حديث أم كرز:

فعن أم كرز[1] قالت: سمعت النبي ﷺ بالحديبية، وقد ذهبت أطلب من اللحم عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة لا يضركم ذكراناً كنَّا أو إناثاً، قالت: وسمعت النبي ﷺ يقول: «أقروا الطير على مكناتها»[2].

(أي: لا تزعجوها وتطيروها لتنتظروا كيف تمر فتظعنوا أو تقعدوا. قال البغوي رحمه الله[3]: قال أبو زياد الكلابي[4]: لا يعرف للطير مكنات إنما هي الوكنات، وهي موضع عش الطائر، قال أبو عبيدة[5]: المكنات بيض الضباب، وواحدها مكنة، تجعل للطير على وجه الاستعارة، وقيل: مكناتها أي: أمكنتها)[6].

---

(١) أم كرز الكعبية الخزاعية المكية، لها صحبة، روت عن الرسول ﷺ. انظر ترجمتها في: تهذيب التهذيب (١٢/ ٥٠٣).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٨١)، وورد في سنن أبي داود، كتاب الضحايا، باب العقيقة (٣/ ١٠٥)، والبغوي في شرح السنة (ص٧٤٢٣)، وقال: حديث صحيح، وابن أبي شيبة، الأدب، باب من رخص في الطيرة (٩/ ٤٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ص٧٨٣) (٢/ ٤٢٨)، وفي صحيح أبي داود رقم (٢٨٣٥).

(٣) علي بن عبد العزيز بن المرزبان، الإمام الحافظ الصدوق أبو الحسن البغوي، نزيل مكة، جمع وصنف المسند الكبير، توفي سنة ٢٨٦هـ.
انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال (٣/ ١٤٣)، السير (١٣/ ٣٤٨).

(٤) أبو زياد الكلابي، اللغوي، قيل: اسمه يزيد بن عبد الله بن الحارث، مقبول من العاشرة، مات في بغداد.
انظر ترجمته في: تقريب التهذيب (٢/ ٤٢٥)، وانظر: الأعلام (٨/ ١٨٤).

(٥) سبق التعريف به (ص١١٧).

(٦) شرح السنة (١١/ ٢٦٦).

قال أبو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: (قوله ﷺ: «أقروا الطير على مكناتها»، لفظة أمر مقرونة بترك ضده، وهو ألا ينفروا الطيور عن مكناتها، والقصد من هذا الزجر عن شيء ثابت، وهو تهييج الطير)[2].

قال الشافعي[3]: (كان أحدهم إذا غدا من منزله يريد أمراً، يطير أول طائر يراه فإن سبح عن يساره فاحتال عن يمينه قال: هذا طير الأيامن، فمضى في حاجته، ورأى أنها ميمونة، وإن سبح عن يمينه فمر عن يساره، قال: هذا طير الأشايم، فرجع وقال: هذه حاجة مشؤومة، وإذا لم ير طائراً سانحاً ورأى طائراً في وكره حرّكه في وكره ليرى ما يسلك له من طريق الأشائم ومن طريق الأيامن)[4].

فأمرهم أن يقروها في أمكنتها، وأبطل فعلهم ذلك، ونهاهم عنه، كما أبطل الاستقسام بالأزلام[5].

أحاديث لا عدوى ولا هامة:

فنرى السنّة جاءت بالنهي عن تهييج الطير بغرض التشاؤم أو التفاؤل، وكذلك وردت أحاديث كثيرة تنهى عن التطير ولها شواهد ومتابعات أغلبها موجود في الصحيحين منها:

حديث أبي هريرة[6] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى، ولا

---

(١) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي، صاحب الكتب المشهورة، منها صحيح ابن حبان، توفي بساجستان، سنة ٣٥٤هـ.
انظر: ترجمته في ميزان الاعتدال (٣/ ٥٠٦)، وسير الأعلام (١٦/ ٩٢).

(٢) الإحسان في تقريب ابن حبان (١٣/ ٤٩٦).

(٣) سبق التعريف به (ص٦٣).

(٤) مشكل الآثار (١/ ٣٤٣).

(٥) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٥). والأزلام: هي قداح لقريش في الجاهلية، مكتوب عليها، أمر ونهي، وافعل ولا تفعل، قد زلمت وسويت ووضعت في الكعبة يقوم بها سدنة البيت، فإذا أراد رجل سفراً أو نكاحاً أتى السادن فقال: أخرج لي زلماً، فيخرجه وينظر إليه، فإذا خرج قدح الأمر مضى على ما عزم عليه، وإن خرج قدح النهي فعاد عما أراده، وقد حرمه الإسلام. انظر: لسان (٦/ ٧٥).

(٦) أبو هريرة الدوسي، اختلف في اسمه واسم أبيه، وأشهر الأقوال أنه اسمه عبد الرحمن بن صخر، أسلم عام خيبر، ولزم بعدها الرسول ﷺ ملازمة شديدة، فكان أكثر الصحابة حديثاً، توفي عام ١٥٨هـ.
انظر ترجمته في: الإصابة (٤/ ٢٠٢).

طيرة، ولا صفر، ولا هامة». فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها، قال: «فمن أعدى الأول»[1].

وعن أنس بن مالك[2] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل»، قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة»[3].

وعن ابن عمر[4] رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ قال: «لا عدوى، ولا طيرة، والشؤم في ثلاث: في المرأة، والدار، والدابة»[5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى، ولا هامة، ولا نوء، ولا صفر»[6].

وعن أبي الزبير[7]، أنه سمع جابراً[8] رضي الله عنه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا عدوى ولا صفر ولا غول»، وسمعت أبا الزبير يذكر أن جابر فسر لهم قوله: لا صفر، فقال أبو الزبير: الصفر: البطن، فقيل لجابر: كيف؟ قال: كان يقال: دواب البطن، قال: ولم يفسر الغول، قال أبو الزبير: هذه الغول التي تغول[9].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة (٢١٣/١٤ ـ النووي). وأورده البخاري، باب لا هامة بنحوه. (الفتح ٢٤١/١٠).

(٢) سبق التعريف به (ص٥٩).

(٣) اللؤلؤ والمرجان (٧١/٣)، أورده مسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم (النووي ـ ٢١٩/١٤)، كتاب الطب، باب لا عدوى، الفتح (٢٤٣/١٠).

(٤) سبق التعريف به (ص٣٨).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم (النووي ـ ١٤/ ٢١٨)، البخاري، الطب، باب الفأل (الفتح ٢١٤/١٠).

(٦) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم (النووي ـ ١٤/ ٢١٦)، البخاري، كتاب الطب باب الفأل (الفتح ٢١٥/١٠).

(٧) محمد بن مسلم بن تدرس، بفتح المثناة، سكون الدال المهملة وضم الراء، الأسدي مولاهم، أبو الزبير المكي، صدوق، إلا أنه يدلس، مات سنة ٢٦هـ.
انظر ترجمته في: التقريب (٢٠٧/٢).

(٨) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة، أبو عبد الرحمن، صحابي جليل، قال: لم أشهد بدراً أو أحداً لصغر سني، مات سنة ٧٣هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٣٠٧/٢).

(٩) مسلم، كتاب السلام، باب لا عدوى (النووي ـ ٢١٦/١٤).

وعن سماك[1] عن عكرمة[2] عن ابن عباس[3]، أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام»، فذكر سماك أن الصفر دابة تكون في بطن الإنسان، فقال رجل: يا رسول الله تكون في الإبل الجربة في المائة فتجربها؟ فقال النبي ﷺ: «فمن أعدى الأول»[4].

وعن أبي هريرة[5] رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله ﷺ ما الطيرة؟ قال: «لا طائر ثلاث مرات، وقال: خير الفأل الكلمة الطيبة»[6].

ما دلت عليه الأحاديث[7]:

(لا طيرة)، قال ابن القيم[8] رحمه الله: هذا يحتمل أن يكون نفياً، أو يكون نهياً، أي لا تتطيروا، ولكن قوله في الحديث: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة»، يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت في الجاهلية تعنيها.

«والنفي هنا أبلغ من النهي، لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه»[9].

فعن معاوية بن الحكم السلمي[10]، أنه قال: قلت يا رسول الله أمور كنا نصنعها في الجاهلية، كنا نأتي الكهان؟ قال: (فلا تأتوا الكهان) قال: قلت: كنا

---

(١) سماك بن حرب بن أوس بن خالد بن نزار الحافظ الإمام أبو المغيرة، قال عنه ابن معين: ثقة، توفي سنة ١٢٣هـ.
انظر ترجمته في: الميزان (٢/ ٢٠)، السير (٥/ ٢٤٥).

(٢) سبق التعريف به (ص٣٨). (٣) سبق التعريف به (ص١٨).

(٤) المسند (١/ ٢٦٩)، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح رقم (٢٤٢٥).

(٥) سبق التعريف به، (ص١٣٢).

(٦) مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٨٧)، حسنه الشيخ أحمد شاكر، في شرح المسند (١٤/ ٣٣٤).

(٧) أوضحت معنى الأحاديث جملة هنا، وذلك لأنها تحمل معنى واحداً وهو نفي الطيرة، بينما الحديث الأول يخالف في المعنى، وكذلك الأحاديث التي تلي هذه الأحاديث.

(٨) سبق التعريف به ص٢٣. (٩) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٤).

(١٠) هو معاوية بن الحكم السلمي، لم يرو عن الرسول ﷺ إلا هذا الحديث، انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (١٠/ ١٨٥).

نتطير؟ قال: (ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدَّنكم[١].

فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه إنما هو في نفسه وعقيدته، لا في المتطيَّر به، فوهمه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده، لا ما رآه أو سمعه، فأوضح ﷺ لأمته الأمر، وبين لهم فساد الطيرة، ليعلموا أن الله جعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نصبها سبباً لما يخافونه، فيرونه لتطمئن قلوبهم، ولتسكن نفوسهم إلى وحدانية الله تعالى التي أرسل لها رسله ونزل بها كتبه، وخلق لأجلها السمٰوات والأرض، وعمر الدارين، الجنة والنار[٢]، بسبب التوحيد، فقطع ﷺ علق الشرك من قلوبهم لئلا يبقى فيها علق منها ولا يلتبسوا بعمل من أعمال أهل النار.

فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى واعتصم بحبله المتين، قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطرها من قبل استكمالها[٣]، وأما سؤال الطير فلا يعلق لها بما يجعل دلالة عليها، ولا لها علم كائن، فضلاً عن ما تخبره به، ولا في الناس من يعلم منطق الطير إلا ما خص به سليمان عليه السلام فالتحق التطير بجملة الباطل ـ والله أعلم ـ.

«لا عدوى»، العدوى اسم من الإعداء، كالرعوى والبقوى من الرعاء والابقاء، يقال: أعداه الداء: يعديه إعداء، وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء، ذلك أن يكون ببعير جرب مثلاً فتتقي مخالطته بإبل أخرى حذار أن يعدي ما به من الجرب إليها فيصيبها ما أصابه[٤].

فقوله: لا عدوى، يريد أن شيئاً لا يعدي شيئاً حتى يكون الضرر من قبله وإنما هو تقدير الله ﷻ وسابق قضائه فيه، ولذلك قال: «فمن أعدى الأول»؟ يقول: إن أول بعير جرب من الإبل لم يكن قبله بعير أجرب فيعديه، وإنما كان ما ظهر منه في سائر الإبل بعد[٥]، فهو نفي لما كانوا يعتقدونه من سراية المرض

---

(١) أخرجه الإمام مسلم السلام، باب تحريم الكهانة النووي (١٤/ ١٨٥).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٤).
(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٢٧).

(٤) انظر: النهاية، لابن الأثير (٣/ ١٩٢).

(٥) انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٣١).

من صاحبه إلى غيره[1].

وقد وقع في هذا الحديث اختلاف كبير بين العلماء، لما يوهم به من التعارض بينه وبين حديث: «لا يورد ممرض على مصح»[2]، ومع قوله: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»[3]، وبين حديث: «كان في وفد بني ثقيف رجل مجذوم فأرسل النبي ﷺ أنّا قد بايعناك فارجع»[4].

اختلاف العلماء في هذه الأحاديث:

فاختلف العلماء على أقوال منها:

منهم من قال بنفي العدوى، ومنهم من قال بالنسخ، ومنهم من قال بانقسام الأمراض منها المعدي، ومنها غير ذلك، ومنهم من فسره بأنه لم يوحَ إلى النبي في ذلك بشيء، وقد غلط عندما قال: لا عدوى، ومنهم من جمع جمعاً مناسباً.

وهذه بعض أقوال العلماء في العدوى:

قال ابن بطال[5] رحمه الله: (لا عدوى، إعلام بأنها لا حقيقة لها، وأما النهي فلئلا يتوهم المصح أن مرضها حدث من أجل ورود المريض عليها)[6].

---

(١) انظر: عون المعبود (١٠/٤٠٧).

(٢) من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري، الطب، باب لا هامة (الفتح ـ ١٠/٢٤١)، ومسلم السلام، باب لا عدوى ولا صفر واللفظ له (النووي ـ ١٤/ ٢١٥).

(٣) من حديث أبي هريرة، البخاري، الطب باب باب الجذام معلقاً (الفتح ـ ١٠/١٥٨)، ووصله ابن أبي شيبة، الآداب، باب من رخص في الطيرة (٩/ ٤٤).

(٤) أورده مسلم في كتاب، السلام، باب اجتناب المجذوم ونحوه من حديث أبو عمرو بن الشريد (النووي ـ ١٤/٢٢٨)، ومصنف ابن أبي شيبة، الآداب، باب من رخص في الطيرة (٩/٤٣).

(٥) علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي، يعرف بابن اللجام، شارح صحيح البخاري، كان من كبار المالكيين، توفي سنة ٤٤٩هـ.

انظر ترجمته في: شذرات الذهب (٧/ ٢٨٣)، السير (١٨/ ٤٧).

(٦) عون المعبود (١٠/٤٠٩).

وكذلك وافقه ابن القيم[1] رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: (إن نهيه عن دخول المريض على الصحيح حماية للقلب مما يسبق إليه في الأفعال ويقع فيه من التطير والتشاؤم بذلك، وقال: قال قول قريب منه أبو عبيدة)[2].

وقد قيل بنسخ حديث: لا عدوى، لأن أبا هريرة[3] أنكره، ولم يعد يحدث به. قال أبو سلمة بن عبد الرحمن[4]: كان أبو هريرة يحدثهما عن رسول الله ﷺ ثم صمت بعد ذلك عن قوله: لا عدوى، وأقام على أن لا يورد ممرض على مصح، قال: فقال الحارث بن ذباب ـ وهو ابن عم أبي هريرة ـ: قد كنت أسمعك يا أبا هريرة تحدثنا مع هذا الحديث حديثاً آخر قد سكت عنه، كنت تقول: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى»، فأبى أبو هريرة أن يعرف ذلك، وقال: لا يورد ممرض على مصح، فماره ـ من المماراة ـ الحارث في ذلك حتى غضب أبو هريرة فرطن بالحبشية، فقال للحارث: أتدري ماذا قلت؟ قال: لا، قال أبو هريرة: إني قلت: أبيت، قال أبو سلمة: لقد كان أبو هريرة يحدثنا أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى» فلا أدري أنَسِيَ أبو هريرة أو نسخ أحد القولين الآخر[5].

«لا يورد ممرض على مصح»، معناه: لا يورد ـ بكسر الراء ـ، الممرض: صاحب الإبل المراض، والمصح: صاحب الإبل الصحاح، فمعنى الحديث: لا يورد صاحب الإبل المراض إبله على إبل صاحب الإبل الصحاح، لأنها ربما أصابها المرض بفعل الله تعالى وقدره الذي أجرى به العادة لا بطبعها فيحصل لصاحبها ضرر بمرضها، وربما حصل له ضرر أعظم من اعتقاد العدوى بطبعها فيكفر[6] ـ والله أعلم ـ.

---

(١) سبق التعريف به (ص٢٣). انظر قوله في: مفتاح دار السعادة (٢/٢٦٧).

(٢) سبق التعريف به (ص١١٧). (٣) سبق التعريف به (ص١٣٢).

(٤) عيسى بن عبد الرحمن السلمي بن البجلي أبو سلمة الكوفي، قال ابن معين: ثقة. انظر: ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/١٩٦).

(٥) أورده مسلم، الإسلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر (النووي ـ ١٤/ ٢١٦).

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم (١٤/٢١٧) النووي).

وقال النووي[1] رحمه الله: (ولا يؤثر نسيان أبي هريرة لحديث: «لا عدوى» لوجهين:

الأول: أن نسيان الراوي للحديث الذي رواه لا يقدح في صحته عند جماهير العلماء، بل يجب العمل به.

الثاني: أن هذا اللفظ ثابت من رواية غير أبي هريرة، فقد ذكر مسلم هذا من رواية السائب بن يزيد[2]، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وابن عمر، عن النبي ﷺ[3].

ومن قال بالنسخ[4]، فقد غلط، لوجهين:

الأول: أن النسخ يشترط فيه تعذر الجمع بين الحديثين ولم يتعذر.

الثاني: أنه يشترط فيه معرفة التاريخ، وتأخير الناسخ، وليس له وجود هنا)[5].

وقال آخرون: حديث «لا عدوى» على ظاهره. وأما النهي عن إيراد المرض على المصح فليس للعدوى بل للتأذي بالرائحة الكريهة.

قال ابن قتيبة[6] رحمه الله: «العدوى جنسان، أحدهما: عدوى الجذام، فإن المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم من أطال مجالسته ومؤاكلته، وكذلك المرأة تكون تحت المجذوم فتضاجعه في شعار واحد، فيوصل إليها الأذى، وربما تجذم،

---

(١) الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف الشافعي، صاحب التصانيف النافعة، منها شرحه لصحيح مسلم، توفي سنة ٦٧٦هـ.
انظر ترجمته في: طبقات الشافعية (٨/ ٣٩٥)، البداية والنهاية (١٣/ ٢٧٨).

(٢) السائب بن يزيد بن سعيد بن عمامة الكندي، وقيل غير ذلك، ويعرف بابن أخت النمر، صحابي صغير، له أحاديث قليلة، مات سنة ٩٠هـ.
انظر ترجمته في: التقريب (١/ ٢٨٣).

(٣) شرح مسلم (١٤/ ٢١٤).

(٤) النسخ: رفع الشارع حكماً منه متقدماً بحكم متأخر. انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١/ ١٩٠).

(٥) شرح صحيح مسلم (١٤/ ٢١٤).

(٦) سبق التعريف به (ص٧٧).

وكذلك ولده ينزعون في الكثير إليه، وكذلك كان من به سل ودق ونقب[1]، والأطباء تأمر بأن لا يجالس المسلول ولا المجذوم، ولا يريدون بذلك معنى العدوى، وإنما يريدون به تغيير الرائحة، وأنها قد تسقم من أطال اشتمامها، والأطباء أبعد الناس عن إيمان بيمن أو شؤم»[2].

وقالت طائفة: إن نفي العدوى على عمومه، والأمر بالفرار من باب سد الذرائع لئلا يتفق للذي يخالطه من ذلك بتقدير الله تعالى، ابتداء لا بالعدوى المنفية، فيظن أن ذلك بسبب مخالطته، فيعتقد صحة العدوى، فيقع في الحرج، فأمر بتجنبه حسماً للمادة[3].

وهناك من سلك مسلكاً آخر فقال: «ما يخبر به النبي ﷺ نوعان:

الأول: يخبر به عن الوحي، فهذا خبر مطابق لمخبره من جميع الوجوه ذهناً وخارجاً، وهو الخبر المعصوم.

الثاني: ما يخبر به عن ظنه من أمور الدنيا التي هم أعلم بها منه، فهذا ليس في رتبة النوع الأول، ولا تثبت له أحكاماً»[4].

وقد يكون قوله: «لا عدوى»، نحو قوله في تلقيح النخيل، فلما أمسك الناس عنه ولم تحمل النخيل في تلك السنة إلا شيئاً ضعيفاً، قال: «ما أمرتكم به من أمر دينكم فخذوه، وما أمرتكم به من أمر دنياكم فأنتم أعلم به»[5]، أو كلاماً هذا معناه، فرجع الناس إلى تلقيح نخيلهم، ورجعت النخيل إلى حملها.

فيجوز أن يكون قال: لا عدوى أشد، فمن أعدى الأول، فلما تبين له أن ذلك قد يكون قال: «لا يوردن ذو عاهة على مصح»، وإنما قلنا هذا لأن

---

(١) السل: داء يهزل ويفني ويقتل، اللسان (٦/ ٣٤٠)، والنقب: الجرب (١٤/ ٢٤٩ ـ اللسان)، والدق: حمي (٤/ ٣٧٩ ـ اللسان).

(٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٦٩ ـ ٧٠).

(٣) انظر: تدريب الراوي (١/ ١٩٧).

(٤) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٦٧).

(٥) ورد في صحيح مسلم، الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكر من معايش الدنيا على سبيل الرأي (النووي ـ ١٥/ ١١٦)، وأحمد (١/ ١٦٢)، وشرح مشكل الآثار للطحاوي (٤/ ٤٢٣) بنحوه.

إنكاره العدوى لم يتصل بأحكام الدين، ولكنه إنكار طبع ووضع، فهو أشبه بإنكاره تلقيح النخيل[1].

أما الحليمي[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: يجوز أن يكون الرسول ﷺ أراد لا عدوى إلا بقدر الله خلاف ما كان يظن من أن الطبع يوجب ذلك، ولا يمكن غيره، وإن كان ذلك فما أجرب الأول، وإنما قلنا هذا لأن القوم لو كانوا يقولون هذا ولم يزيدوا على أن الجرب قد يعدي، لم يكن النبي ﷺ ليدفعهم عن هذا بأن يقول: «ما أجرب الأول»، لأنهم كانوا يقولون: لم يذكر حدوث الجرب من غير عدوى، وإنما قلنا: قد يعدي، فثبت أنه ﷺ إنما وجه هذه الحجة على من قال أن الجرب كله عدوى ـ والله أعلم[3] ـ.

والذي تميل إليه النفس ما فسّره به الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ووضحه النووي[4]، والخطابي[5] ـ رحمهما الله ـ أن النبي ﷺ أرشد في الحديث إلى مجانبة ما يحصل عنده العدوى في العادة بفعل الله تعالى وتقديره، فنفى في الحديث الأول العدوى بطبعها ولم ينفي حصول القدر عند ذلك بقدر الله تعالى وفعله.

وأرشد الحديث الثاني إلى الاحتراز مما يحصل عنده الضرر بفعل الله وإرادته وقدره[6]، فهو يريد أن شيئاً لا يعدي من قبل ذاته وطبعه وما كان من ضرر وفساد فإنما هو بمشيئة الله وقضائه وقدره[7].

إذن لم ينف النبي ﷺ العدوى نفسها، وإنما نفى وضعها وتأثيرها على

---

(١) منهاج شعب الإيمان للحليمي (٢/ ٢٣).

(٢) القاضي العلامة أبو عبد الله بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي، له تصانيف نفيسة، منها: المنهاج في شعب الإيمان، توفي سنة ٤٠٣هـ.
انظر ترجمته في: السير (١٧/ ٢٣١)، البداية والنهاية (١١/ ٣٤٤).

(٣) انظر: منهاج شعب الإيمان للحليمي (٢/ ٢٣).

(٤) سبق التعريف به (ص١٣٨).

(٥) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب السني الخطابي، صاحب التصانيف الحافظ اللغوي، أخذ الفقه على المذهب الشافعي، له شرح مع البخاري وسنن أبو داود.
انظر ترجمته في: البداية والنهاية (١١/ ٢٣٦)، السير (١٧/ ٣٣).

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٤/ ٢١٤).

(٧) انظر: أعلام الحديث للخطابي (٣/ ٢١١٨).

النحو الذي يزعمون على أبلغ وجه وآكده، ومن فنون البلاغة أن تنفي وصف الشيء بنفي الشيء نفسه، كأن تقول: لا رأي لهذا الرجل، ولا رجل في هذا البلد، حينما نقصد إلى نفس السداد في الرأي، والشهامة في الرجال. ولا ريب أن غلوهم في إضافة التأثير لغير الواحد القهار، مخل بعقيدة التوحيد التي بني الإسلام عليها، فكان من حكمة سيد الحكماء أن يقضي على زعمهم الخاطئ بهذا البيان الرائع، والكلم الجامع، والقول الفصل.

ومن المحال أن يقصد ﷺ إلى نفي العدوى جملة، مع أنه أثبتها على وجهها الصحيح في غير ما حديث.

معنى لا صفر ولا هامة:

«ولا نوء»: بفتح وسكون الواو، أي: طلوع نجم وغروب ما يقابله أحدهما في المشرق والآخر في المغرب، وكان العرب يعتقدون أنه لا بد عنده من مطر أو ريح ينسبونه إلى الطالع، فنفى ﷺ صحة ذلك[1].

«ولا صفر»: وفيه عدة أقوال:

الأول: المراد تأخيرهم المحرم إلى صفر، وهو النسيء الذي كانوا يفعلونه، وبهذا قال مالك[2]، وأبو عبيدة[3].

الثاني: أن المراد به دواب في البطن، وهي دود، وكانوا يعتقدون أن في البطن دابة تهيج عند الجوع، وقد جاء هذا التفسير عن جابر، وهو أحد رواة الحديث.

ويجوز أن يكون المراد الاثنين جميعاً، وأن الصفرين جميعاً باطلان لا أصل لهما ولا يقع على واحد منهما[4].

الثالث: التشاؤم بشهر صفر[5].

«ولا هامة»: الهامة: قيل: هي طائر الليل، يعني البومة، وقيل: هي دود الأرض،

---

(١) وقد تكلمت عن معنى النوء وحكم اعتقاده في الفصل الأول من هذا الباب.

(٢) سبق التعريف به (ص٥٩). (٣) سبق التعريف به (ص١١٧).

(٤) انظر: فتح الباري (١٠/ ١٧١)، وأعلام الحديث (٣/ ٢١١٩ ـ ٢١٢٠)، وشرح النووي (١٤/ ٢١٥).

(٥) وقد رجحت أن تكون جميع هذه المعاني مقصودة من الرسول ﷺ. انظر: الفصل الأول.

تدور حول قبر الميت، وكانت اليهود تزعم أنها تدور حول قبره سبعة أيام وتذهب.

قال أبو عبيدة رَحِمَهُ اللهُ: كانوا ـ أي العرب ـ يزعمون أن عظام الميت تصير هامة فتطير، ويسمون ذلك الطائر الصدى، وعلى هذا، فالمعنى في الحديث: ولا حياة لهامة الميت، وعلى الأول لا شؤم بالبوم ونحوها[1].

معنى لا غول:

«ولا غول»: الغول بالضم من السعالي، والجمع أغوال وغيلان، وكل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول[2].

وهي جنس من الشياطين والجن، وكانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغوّل تغوُّلاً، أي: تتلون تلوُّناً في صور شتى، وتغولهم: أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي ﷺ وأبطله.

وقيل: «لا غول»: ليس نفياً لعين الغول ووجوده، وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلوّنه بالصور المختلفة واغتياله، فيكون المعنى بقوله: «لا غول»، أنها لا تستطيع أن تضل أحد ويشهد له حديث: «لا غول ولكن السعالي»[3]. قال العلماء: السعالي بالسين المفتوحة، والعين المهملتين، هم سحرة الجن، أي: ولكن في الجن سحرة لهم تلبس وتخيل.

وفي حديث آخر: «إذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان»[4]، أي: ارفعوا شرها بذكر الله.

---

(١) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٤١)، وأعلام الحديث (٣/ ٢١٩).

(٢) انظر: مختار الصحاح للرازي (ص٤٨٥).

(٣) مصنف عبد الرزاق (٥/ ١٦٢)، قال د.وليد الفريان في تحقيقه لكتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (٢/ ٥١٦): أخرجه الخطابي في غريب الحديث (١/ ٤٦٣) عن الحسن بن محمد، وروى معناه عن عمر. وقال جاسم الدوسري في النهج السديد تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد: لم أقف عليه مرفوعاً، ولكن روى عبد الخالق عن عمر بنحوه وإسناده صحيح. انظر (ص١٥٩).

(٤) المسند (٣/ ٣٠٥، ٣٨١، ٣٨٢)، وابن خزيمة رقم (٢٥٤٨)، وأبو يعلى (٤/ ٢٢١٩) رقم (٢٢١٩)، وفي الزوائد (٢/ ٤١٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٩٥٥) من رواية جابر بن عبد الله وعبد الرزاق عن سعد بن أبي وقاص (٥/ ١٦٣)، والبزار (ص٣١٢٩). قال الألباني: وهذا إسناده ضعيف ورجاله ثقات، وإنما علته الانقطاع بين الحسن وجابر.

وفي حديث أبي أيوب[1]: (كان لي تمرة في سهوة[2]، وكانت الغول تجيء فتأكل منه)[3]. وهذا دليل على أن المقصود من قوله: «ولا غول» ليس نفي أصل وجودها[4]. وهناك من قال: إن الغول كان على عهد الرسول ﷺ ثم رفع بعد ذلك عن العباد[5].

وقيل: إن الغول شيء لا حقيقة له إنما يخوف به، ولكن في الحقيقة هي موجودة، ويشهد لذلك ما ذكر في دلائل النبوة للبيهقي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (إذا تغولت الغيلان فليؤذن فإن ذلك لا يضره)[6]، فهذا يدل ـ والله أعلم ـ أنها موجودة حقيقة، وكذلك أنها لم ترفع بعهد الرسول ﷺ.

ومما يذكر من أخبار العرب قبل الإسلام عن الغول، أنهم قالوا: إن عمرو بن يربوع تزوج الغول وأولدها بنين، ومكثت عنده دهراً تقول له: إذا لاح البرق من جهة بلادي وهي جهة كذا فاستره عني، فإني إن لم تستره عني تركت ولدك عليك، وطرت إلى بلاد قومي، فكان عمرو بن يربوع، كلما برق البرق، غطى وجهها بردائه فلا تبصره، فغفل عمرو بن يربوع عنها ليلة، وقد لمع البرق فلم يستر وجهها فطارت[7].

---

(١) أبو أيوب الأنصاري الخزرجي، النجاري البدري، خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، مات سنة ٥٢هـ، ودفن بحصن القسطنطينية.
انظر ترجمته في: السير (٢/ ٤٠٢)، أسد الغابة (٢/ ٩٤).

(٢) هي شبيهة بالرق والطاق يوضع فيه الشيء. انظر: اللسان (٦/ ٤١٥).

(٣) أخرجه الترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي (٤/ ١٤٨ ـ التحفة)، وقال: حسن غريب. والحاكم (٣/ ٤٥٩)، وقال بعد ذكر طرق لهذا الحديث: هذه الأسانيد إذا جمع بينها صارت حديثاً مشهوراً. مشكل الآثار (١/ ٣٤٢)، شرح فيه وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/ ٤).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٩٦)، وانظر: مسلم بشرح النووي (١٤/ ٢١٧).

(٥) انظر: مشكل الآثار (١/ ٣٤٢).

(٦) المسند (٣/ ٢٣٠٥)، ابن خزيمة رقم (٢٥٤٨)، أبو يعلى (٤/ ٢٢١٩)، مجمع الزوائد (٢/ ٤١٢).

(٧) انظر: بلوغ الأرب (٢/ ٣٤٠).

الفأل:

(الفأل): وضح معناها الرسول ﷺ وقال: «إنها الكلمة الطيبة». والفأل المهموز فيما يسر ويسوء، يقال: تفاءلت بكذا، وتفاءلت على التخفيف والقلب، وقد أولع الناس بترك همزه تخفيفاً. أحبَّ الرسول ﷺ الفأل، لأن الناس إذا أملوا فائدة الله تعالى، ورجوا عائداته عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم على خير، ولو غلطوا في جهة الرجاء فإن الرجاء لهم خير، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر(١).

وعن عمران بن حصين(٢) مرفوعاً: «ليس منّا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سُحِر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»(٣).

حديث ليس منا:

قوله: (ليس منّا) فيه وعيد شديد، يدل على أن هذه الأمور من الكبائر.
قال ابن باز(٤) رحمه الله: فيه دليل على نفي الإيمان الواجب.

قوله: من تطيّر: أي فعل الطيرة.

أو تطيِّر له: أي قبل قول المتطير، وتابعه.

والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٠٥، ٤٠٦)، وسوف نتكلم عنها في باب مستقل إن شاء الله (ص٢٣٢).

(٢) سبق التعريف به (ص٢٤).

(٣) قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٦١٨): رواه البزار بإسناد جيد، ورواه الطبراني من حديث ابن عباس دون قوله: من أتى عرافاً بإسناد حسن. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٢٧): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، خلا إسحٰق بن ربيعة وهو ثقة. وقال جاسم الدوسري في النهج السديد (ص١٥١): حسن.

(٤) هو عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد آل باز، ولد سنة ١٣٣٠هـ، بمدينة الرياض، المحدث المشهور، والداعية الصبور، مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء بها، رحمه الله.
انظر ترجمته في: علماء ومفكرين عرفتهم (١/ ٧٧)، وانظر: مقدمة فتاويه (ص٥).

فكل من تلقى هذه الأمور عمّن تعاطاها فقد برئ منه رسول الله ﷺ لكونها إما شركاً كالطيرة، أو كفراً كالكهانة والسحر، فمن رضي بذلك وتابع عليه فهو كالفاعل لقبوله الباطل واتباعه[(١)].

فنرى أن النبي ﷺ نهى عن الطيرة وشدد حتى أخبر أنها شرك بالله ﷻ. فعن عبد الله بن مسعود[(٢)]، عن الرسول ﷺ قال: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، ثلاثاً، وما منّا إلا . . .، ولكن الله يذهبه بالتوكل»[(٣)].

قال الخطابي[(٤)]: قوله: «ما منا إلا»، معناه: إلا من يعتريه التطير ويسبق إلى قلبه الكراهية فيه، فحذف اختصار لكلام واعتماد على فهم السامع[(٥)].

قال السيوطي[(٦)]: وذلك الحذف يسمى في البديع بالاكتفاء.

وقال التوربشتي[(٧)]: «ما منّا إلا»، أي: إلا من يعرض له الوهم من قبل

---

(١) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٢٩٤).

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهندي، أبو عبد الرحمن، صحابي، توفي سنة ٣٢هـ، الأعلام (٤/ ١٣٧).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الطب، باب في الطيرة (٤/ ١٧)، والترمذي في السير، باب ما جاء في الطيرة (٣/ ٢٢٧)، وقال: حسن صحيح، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٧١٦).

(٤) سبق التعريف به (ص١٤٠).

(٥) انظر: معالم السنن (٤/ ٢٣٠)، فقد نقل الترمذي عن البخاري أن سليمان بن حرب شيخ البخاري، يقول أن قول: وما منّا إلا من كلام ابن مسعود، وقد رد هذا الكلام ابن القطان فيما نقله عنه المناوي في فيض القدير (٤/ ٢٩٤) بأن كل كلام مسوق في سياق لا يقبل دعوى ورجحه إلا بحجة. قال الألباني بعد هذا النقل: ولا حجة هنا في الإدراج السلسلة الصحيحة (٢/ ٧١٦) ولكن قال: بالإدراج عدد من الأئمة منهم: المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٤)، وابن القيم في المفتاح، وابن حجر في الفتح (١٠/ ٢١٣)، والهيثمي في موارد الظمآن (٢/ ٦١٧)، ونقل عن السيوطي في عون المعبود (١٠/ ٢٨٩).

(٦) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي جلال الدين، إمام وحافظ ومؤرخ وأديب، له نحو (٦٠٠) مصنف، منها: الكتب الكبير، نشأ في القاهرة، توفي سنة ٩١١هـ. انظر ترجمته في: الضوء اللامع (٤/ ٦٥)، شذرات الذهب (٨/ ٥١).

(٧) الحسن التوربشتي (فضل الله) فقيه. من آثاره: الناسك في علم المناسك، توفي سنة ٦٦١هـ. انظر ترجمته في: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣/ ٢١١).

الطيرة، وكره أن يتم كلامه ذلك لما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا نوع من آداب الكلام، يكتفى دون المكروه منه بالإشارة، فلا يضرب لنفسه مثل السوء[١].

وقد وصفه صحابته بأنه لا يتطير. فعن عبد الله بن بريدة[٢] عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ لا يتطير من شيء، ولكنه إذا أراد أن يأتي امرأة يسأل عن اسمها، فإن كان حسناً رؤي البشر في وجهه، وإن كان قبيحاً رؤي ذلك في وجهه، وكان إذا بعث رجلاً سأل عن اسمه، فإن كان حسناً، رؤي البشر في وجهه، وإن كان قبيحاً رؤي ذلك في وجهه[٣].

وعن ابن عباس[٤] قال: كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير، ويعجبه الاسم الحسن[٥].

رد شبهة بأن النبي ﷺ سأل عن اسم القرية:

فنرى جميع هذه الأحاديث تنفي الطيرة وتقر الفأل، ولكن قد ترد شبهة بأن النبي ﷺ كان يتطير، فهو سأل عن اسم المرأة والقرية، وكذلك ما ورد في حديث اللقحة[٦]. فقد روي عن يحيى بن سعيد[٧]، أن رسول الله ﷺ قال للقحة تحلب: «من يحلب هذه» فقام رجل، فقال النبي ﷺ: «ما اسمك؟» قال:

---

(١) سنن أبي داود مع معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٣٠).

(٢) عبد الله بن بريدة بن الحصين الحافظ الإمام، شيخ مرو وقاضيها، أو سهل الأسلمي المروزي، توفي سنة ١١٥هـ. انظر ترجمته في: السير (٥/ ٢٥٠)، تذكرة الحفاظ.

(٣) المسند (٥/ ٣٤٧، ٣٤٨) وورد بنحوه في سنن أبي داود، كتاب الكهانة والطيرة، باب في الطيرة، وإسناده صحيح (١٠/ ٢٩٥) بلفظ مختلف وليس فيه ذكر المرأة وقال البنا في الفتح الرباني (٧/ ٢٠٢): فيظهر أن الناسخ أخطأ فيها فأبدل لفظ القرية بامرأة، صححه البنا في الفتح الرباني، والألباني في السلسلة (٢/ ٤٠٠).

(٤) سبق التعريف به (ص١٨).

(٥) المسند (٥/ ٣٤٧، ٣٠٤، ٣١٩)، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٤/ ٩٤) المسند مع شرح شاكر، وقال البناء: سنده حسن. الفتح الرباني (٧/ ٢٠١)، نسبه الهيثمي في المجمع للطبراني (٨/ ٤٧).

(٦) هي الناقة التي في بطنها أولاد. المصباح المنير (ص٦٠٢).

(٧) يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص، الأموي أبو أيوب الكوفي، ثقة عابد، مات سنة ٩٤هـ. انظر: التقريب (٢/ ٣٤٨).

مرة، قال: «اجلس»، ثم قال: «من يحلب هذه؟»، فقام رجل، فقال الرسول ﷺ: «ما اسمك؟»، فقال الرجل: جمرة، فقال النبي ﷺ: «اجلس»، ثم قال: «من يحلب هذه؟»، فقام رجل، فقال الرسول ﷺ: «ما اسمك؟»، فقال الرجل: يعيش، فقال له النبي ﷺ: «يعيش، احلب، فحلب»[1].

وفي صحيح البخاري[2]، عن سعيد بن المسيب[3]، عن أبيه، أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: «ما اسمك؟»، فقال: حزن، قال: «بل أنت سهل»، قال: لا أغيّر اسم سمّانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعد[4].

الجواب عن ذلك بحمد الله تعالى: أن الرسول ﷺ عندما يرى في وجهه البشر عند الاسم الحسن، ويرى كراهية ذلك عندما يكون سيئاً لا تشاؤماً أو تطيراً بل لانتفاء التفاؤل. فعن ابن عباس[5] قال: كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير، كان يحب الاسم الحسن[6].

لذلك حاول الرسول ﷺ تغيير اسم أبي سعيد المسيب حتى لا يقع في قلبه أن ما أسبابه يكون بسبب هذا الاسم، فيتعلق بغير الله، وقد يكون وقع به البلاء بسبب عدم سماعه لنصح الرسول ﷺ.

قال ابن القيم[7] رحمه الله: (قد يظن من لا ينعم النظر أن الذي نزل بهما هو

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٢)، قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن (٥/ ١٠٩) وفيه سعيد بن أسد بن موسى، روى عنه أبو زرعة الرازي ولم يضعفه أحد وبقية رجاله ثقات. قال الدوسري في النهج: حسن لغيره (ص١٥٩).

(٢) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، الإمام الحافظ، صاحب الصحيح، توفي سنة ٢٥٦هـ، السير (١٢/ ٣٩١)، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٧).

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ، الإمام العالم أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه، مات سنة ٨٤هـ.

(٤) البخاري، كتاب الأدب، باب اسم حزن (١٠/ ٥٧٤)، أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح (٤/ ٢٨٦).

(٥) سبق التعريف به (ص١٨).

(٦) شرح السنة للبغوي (١٢/ ١٧٥)، أورده ابن أبي شيبة بنحوه في مصنف كتاب الأدب، باب من يسر حديثه من أهله (٩/ ٣٩).

(٧) سبق التعريف به (ص٢٣).

من جهة اسميهما، ويصح بذلك أمر الطيرة وتأثيرها، ولو كان الأمر كما ظنوه لوجب أن ينزل بجميع من تسمى باسميهما من أول الدهر، ولكان اقتضاء الاسم لذلك كاقتضاء النار الإحراق، ولكن يحمل ـ والله أعلم ـ على أن الأمر جاري عليهم، وقد تقدم في أم الكتاب، كما تقدم له أيضاً أن يتسميا باسميهما، إلى أن يختار له رسول الله ﷺ فيرغب عن اختياره، ويتخلف عن استجابته، فيعاقب بما سبق عقوبة تطابق اسمه ليكون ذلك زاجراً عند سواه.

وقد يكون خوفه ﷺ على أهل الأسماء المكروهة أيضاً من مثل هذه الحوادث لمن هذا اسمه فيظن هو، أو جميع من يلقه، أن ذلك كان من أجل اسمه عاد عليه بشؤمه، فيعصي الله.

وقد كره قوم من الصحابة والتابعين أن يسموا مواليهم عبد الله، أو عبد الرحمن، أو عبد الملك، ونحو ذلك، مخافة أن يعتقهم ذلك)[1]، لذلك أمره بتغيير اسمه.

ومما يشهد على الحزونة التي أصابتهم قد تكون عقوبة ما روي في حادثة مشابهة أن عتبة بن أبي وقاص[2]، الذي كسر رباعية الرسول ﷺ يوم أُحد، قال بعض العلماء بالأخبار: أنه استقرى نسله فلا يبلغ أحد منهم الحلم إلا أبخر وأهتم[3] يعرف ذلك منهم، وهذا من شؤم الآباء على الأبناء[4]، فقد عوقب جميع أبنائه بسبب أبيهم الذي كسر رباعية النبي ﷺ، فالرسول ﷺ عندما ظهرت الكراهية على وجهه من الأسماء القبيحة إنما هو من كراهيته للكلمة القبيحة نفسها، لا لخوف شيء وراءها[5]، فالسنّة أن يختار الإنسان لولده وخادمه من الأسماء الحسنة، فإن الأسماء المكروهة قد توافق القدر، كما لو سمى ابنه بخسارة

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٠).

(٢) عتبة بن أبي وقاص بن عتبة بن مالك، الزهري أخو سعد بن أبي وقاص، أحد العشرة المبشرين بالجنة، مات في المدينة في حياة الرسول ﷺ. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٧/ ٩٤).

(٣) أبخر من ريح الفم، وأهتم لسقوط الأسنان. انظر: المنجد (ص٢٧).

(٤) بدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ١٧٨).

(٥) انظر: منهاج شعب الإيمان (٢/ ٢٥).

فربما جرى قضاء الله بأن يلحق بذلك الرجل أو ابنه خسار فيظن أنه بسبب الاسم وليس بقضاء الله وقدره.

فالرسول ﷺ استحب تغيير الاسم لنقلهم عن مذاهب آبائهم ومقاصد سلفهم الفاسدة القبيحة، التي يحزن بعضهم بعضاً، عند سماعها، وموافاة أهلها ومخالطتهم ومفاجأتهم، لما يبقى في ذلك من أثر الطيرة الكامنة في الغريزة، فإن سلم العبد منهما وجاهد نفسه عليها عند لقيا صاحبها وسماعه لاسم أخيه، لم يسلم من الكمد وحزن القلب «إنما ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم»[1]. وقد يؤدي ذلك إلى البغضاء، وإلى ضرب من النفرة والتفرقة كالصديق يدعو صديقه القبيح الاسم، فقد يتمنى خاطره أنه لم يصحبه، ولا رآه، ولا سمع اسمه، حتى إذا طمع به ودعاه ذو الاسم الحسن ابتهج إليه وأقبل عليه وسر بصياحه ودعائه له لراحة قلبه إلى حسن اسمه، فقد يبعد الصديق من نفسه من أجل اسمه فيكره لقاءه، متطيراً لرؤيته، فهو الذي منع الاثنين أن يتناجيا دون صاحبهما خشية تأذّيه وحزنه[2]، فكيف بما لا فائدة منه، مثل التسمية بالاسم القبيح.

أما حديث اللقحة، فيكفي في الرد عليهم ذكر ما ورد في جامع ابن وهب، فقد زاد ابن وهب[3] في جامعه في ذلك الحديث: فقام عمر بن الخطاب، فقال: أتكلم يا رسول الله، أم أصمت؟ قال: «بل اصمت، وأخبرك بما أردت، ظننت يا عمر أنها طيرة، ولا طير إلا طيره، ولا خير إلا خيره، ولكن أحب الفأل»[4].

فالرسول ﷺ يحب الفأل في أمره كله، كما يحب اليمن.

❑ ❑ ❑

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٨).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٦٢).

(٣) هو عبد الله بن وهب، ولقد بحثت عن الجامع، فلم أجد سوى بعض الوريقات من السند، مخطوطة في جامعة الملك سعود، ولم يكن فيها هذا الحديث.

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٦)، ولم أعثر لهذا الحديث على أصل في الكتب التسعة، وإنما يشهد له بعض الأحاديث السابقة الصحيحة.

المبحث الثالث

علاقة الطيرة بالشرك

الشرك من أعظم الذنوب وأخطرها على الإنسان، وتكمن خطورته في أمرين:

الأول: أنه ذنب لا يغفر لمرتكبه إلا بالتوبة منه، قبل موته، بخلاف سائر الذنوب، فإنها موضوعة تحت المشيئة الإلهية إن شاء الله غفرها للعبد، وإن شاء عاقبه بها وواخذه عليها. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1]، كما أن صاحب هذا الذنب إذا لم يتب منه قبل موته يخلد في النار ولا يخرج منها، كما يخرج الموحدون. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[2].

الثاني: أنه يحبط الأعمال الصالحة التي يفعلها العبد قبل توبته منه، مهما كانت، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[3]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4].

متى تكون الطيرة شركاً أكبر أو أصغر:

لذلك أردت أن أبين حكم الطيرة، ومتى تكون شركاً أكبر، ومتى تكون شركاً أصغر، فقد يخفى الشرك على فاعله، بحيث لا يظن أنه قد وقع فيه. وقد ذكر الإمام أحمد[5]، عن أبي موسى الأشعري[6] قال: يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل، فقام عبد الله بن حزم[7] فقال: والله

---

(١) سورة النساء: الآية (٤٨).
(٢) سورة المائدة: الآية (٧٢).
(٣) سورة الزمر: الآية (٦٥).
(٤) سورة الأنعام: الآية (٨٨).
(٥) سبق التعريف به (ص٢٥).
(٦) سبق التعريف به (ص٨٨).
(٧) عبد الله بن حزم بن أبي وهب، ولد في السنة السادسة للهجرة عندما أرسل الرسول ﷺ، سرية زيد بن حارثة إلى أم قرنة.
انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ١٤٢).

لتخرجن مما قلت أو لنأتين عمر مأذوناً لنا أو غير مأذون، قال: بل أخرج مما قلت، خاطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم، قال: «يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل»، فقال له من شاء الله أن يقول: فكيف نتّقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: «قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه»[١].

وقبل أن نبيّن حكم الطيرة، نضع قاعدة نسير عليها، لأن هناك أموراً مترددة بين الشرك الأكبر والأصغر بحسب ما يقوم بقلب فاعلها وما يصدر عنه من الأفعال والأقوال ـ ويقع فيها بعض الناس ـ التي تتنافى مع العقيدة أو تعكر صفوها، وهي تمارس على المستوى العام، ويقع فيها بعض العوام تأثراً بالدجالين والمحتالين والمشعوذين، وقد حذر منها النبي ﷺ.

حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده:

أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله، فكل اعتقاد، أو قول، أو عمل، ثبت أنه مأمور به من الشارع، فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك أو كفر.

حد الشرك الأصغر:

كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة.

فهذان هما الضابطان للشرك الأكبر والأصغر في العبادة[٢].

والشرك بالله عموماً، هو تسوية غير الله بالله، فيما هو من خصائص الله، فمن سوى غير الله به، كمن صرف العبادة لغير الله، مثل الدعاء، أو النذر، أو سوى غيره به، في علم الغيب، والخلق، والرزق، وشفاء الأمراض، وإنجاب الأولاد، أو غير ذلك من خصائص الله وخصائص ربوبيته، فهو مشرك شركاً أكبر.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٧٠)، رواه الإمام أحمد (٤/ ٤٠٣)، وحسّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (ح٣٣) (ص١٩).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص٤٠ ـ ٤١).

أما التطير بزجر الطير وإزعاجها عن أوكارها عند إرادة الخروج للحاجة حتى إذا مرت على اليمين تفاءل به ومضى على وجهه، وإن مرت على الشمال تشاءم به وقعد، فهذا من فعل أهل الجاهلية الذين كانوا يوجبون ذلك، ولا يضيفون التدبير إلى الله ﷻ، فمن فعل من أهل الإسلام على هذا الوجه استحق الوعيد دون الثناء.

(والتطير لا يخلو من أمرين: إما الرجوع عما كان عزماً عليه تطيراً وتأثراً بما رأى أو سمع فيعلق قلبه بذلك المكروه، ويؤثر ذلك على إيمانه ويخل بعقيدته وبتوحيده وتوكله على الله، وإما أن لا يرجع عما عزم عليه، ولكن يبقى أثر ذلك في قلبه من الحزن والألم والهم والوساوس والضعف)[1].

فإذا رجع في هذه الحالة، يكون قد وقع في الشرك. قال ابن القيم[2]: (فإذا استعملها الإنسان فرجع بها عن سفره وانتفع بها عما عزم عليه، فقد قرع باب الشرك، بل ولجه وبرئ من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله، وذلك قاطع له عن مقام إياك نعبد وإياك نستعين، فيصير قلبه متعلق بغير الله، وذلك شرك، فيفسد عليه إيمانه، ويبقى هدفاً لهام الطير، ويقيض له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه)[3].

متى تكون الطيرة شركاً أكبر:

فتكون شركاً أكبر، إذا ردت الإنسان عن العمل، وذلك لحديث عبد الله بن عباس[4]: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»، قالوا: وما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك»[5].

وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «الطيرة شرك، وما منا إلا...

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص٧٦ ـ ٧٧).
(٢) سبق التعريف به (ص٢٣).
(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٦).
(٤) سبق التعريف به (ص١٨).
(٥) رواه أحمد (٢/ ٢٢٠) والطبراني، وفيه ابن أبي لهيعة وحديثه حسن، وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد (٥/ ١٠٨).

ولكن الله يذهبه بالتوكل»[1]. قال ابن عبد البر[2]: قوله: وما منا إلا، فمعنى الحديث ـ والله أعلم ـ: أن من تطير فقد أثم وإثمه على نفسه في التطير، لترك التوكل وصريح الإيمان، لأنه يكون ما تطير به على نفسه في الحقيقة، لأنه لا طيرة حقيقة ولا شيء إلا ما شاء الله[3].

وقال الإمام أحمد[4] رَحِمَهُ اللهُ: يريد ـ والله أعلم ـ الطيرة شرك على ما كان أهل الجاهلية يعتقدون فيها.. ثم قال: «وما منا إلا..»، يقال: هذا من قول عبد الله بن مسعود وليس من قول النبي ﷺ. وقوله: وما منا إلا وقع في قلبه من ذلك على ما جرت به العادة، وقضت به التجارب، لكنه لا يقر فيه بل يحسن اعتقاد أن لا مدبر سوى الله تعالى، فيسأل الله ويستعيذ به من الشر ويمضي على وجهه متوكلاً على الله عَزَّ وَجَلَّ[5].

فقوله: الطيرة شرك صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك لما فيها من تعلق القلب على غير الله، ولكن ابن حمدان رَحِمَهُ اللهُ قال في الرعاية[6]: إنها مكروهة، وكذا قال غير واحد من أصحاب أحمد. وقال ابن مفلح[7]: (الأولى القطع بتحريمها، ولعل مرادهم بالكراهية كراهة التحريم)[8].

---

(١) سبق تخريجه (ص١٩٥).

(٢) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، النمري الأندلسي القرطبي، وقد ألف وصنف، ولم يكن مثله أحد في الحديث، وهو أحفظ أهل المغرب. من مؤلفاته: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، مات سنة ٤٦٣هـ.
انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٧/ ٦٦)، السير (١٨/ ١٥٨).

(٣) التمهيد لابن عبد البر (٩/ ٢٨٥).

(٤) سبق التعريف به (ص٢٥).

(٥) انظر: الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٣/ ٣٦٧)، وشعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٦٢).

(٦) للشيخ أبي عبد الله أحمد بن حمدان، واسمه الرعاية الكبرى في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وبحثت عن الكتاب ولم أجد سوى مخطوطة في جامعة الملك سعود، الجزء الثاني، ولم أجد بها ما يتعلق بالموضوع، حيث بيّنت أحكام الصلاة والصيام والحج والجهاد.

(٧) محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، المقدسي، أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد، ولد ونشأ في بيت المقدس، توفي بصالحية دمشق ٧٦٣هـ. من مؤلفاته: الآداب الشرعية الكبرى.
انظر: الدرر الكامنة (٤/ ٢٦١)، الأعلام (٧/ ١٠٧).

(٨) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٢٧٦).

قال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب[1]: (بل الصواب القطع بتحريمها، لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروهاً الكراهية الاصطلاحية؟؟؟

فإن كان القائل أراد ذلك فلا ريب في بطلانه)[2].

قال البغوي[3]: إنما جعل الطيرة من الشرك، لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعاً، أو يدفع عنهم ضراً، إذا عملوا بموجبه فكأنهم أشركوا مع الله[4].

فهم إذا عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها، فقد جعلوا لها أثراً في الفعل والإيجاد[5]، فلذلك أصبحت شركاً بالله، شركاً أكبر في ربوبيته، إذ لا موجد سوى الله.

وهذا الشرك يختلف على حسب ما يعلق بالقلب، فإن اعتقد أن لها تأثيراً في الخلق والإيجاد، فيكون بلا ريب شركاً أكبر، وإن عمل بموجبها فقط وهو يعلم أن الموجد هو الله ولكنها قد تكون سبباً فهو شركٌ أصغر.

قال أبو الطيب آبادي[6]: الطيرة شرك، أي: اعتقادهم أن الطيرة تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضراً، فإذا عملوا بموجبها فكأنهم أشركوا بالله في ذلك، ويسمى شركاً خفياً، ومن اعتقد أن شيئاً سوى الله ينفع أو يضر بالاستقلال، فقد أشرك شركاً جلياً.

---

(١) هو سليمان بن عبد الله ابن الإمام محمد بن عبد الوهاب، ولد سنة ١٢٠٠هـ، كان آية في العلم والحفظ والذكاء، توفي سنة ١٢٣٢هـ مقتولاً.
انظر ترجمته في: علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٢٩٣)، الأعلام (٣/ ١٢٩).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص٤٣٨). وانظر: قرة عيون الموحدين (ص١٨١)، انظر: حاشية كتاب التوحيد (ص٢١٩)، انظر: فتح المجيد (ص٣١١).

(٣) سبق التعريف به (ص١٣١).

(٤) انظر: تيسير الحميد (ص٤٣٨)، وقرة عيون الموحدين (ص٢١٩)، وحاشية كتاب التوحيد (ص٢١٩)، وفتح المجيد (ص٣١١)، وشرح السنّة للبغوي (١٢/ ١٧٠)، وفتح الباري (١٠/ ٢١٣٤).

(٥) انظر: شرح مسلم للنووي (١٤/ ٢١٩).

(٦) أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي، صاحب كتاب عون المعبود شرح سنن أبي داود.

قال القاضي[1]: إنما سموها شركاً لأنهم كانوا يرون ما يتشاءمون به سبباً متواتراً في حصول المكروه، وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي، فكيف إذا انضم إليه جهالة وسوء اعتقاد، ومن اعتقد أن غير الله ينفع أو يضر استقلالاً فقد أشرك[2].

فالمشركون كانوا يعتقدون أن الطير تجلب لهم نفعاً، أو تدفع عنهم ضراً، فإذا عملوا بموجبها فكأنهم أشركوا بالله في ذلك، ويسمى شركاً خفياً[3]، وإن اعتقدوا أنها تنفع أو تضر بالاستقلال فقد أشركوا شركاً جلياً.

فهي نافية للتوكل لما فيها من الاعتماد والالتفات إلى غير الله، حيث أن المتطير الذي أحجم عما كان قد اعتزمه عما رآه أو سمعه، اعتقد أنه يعلم هذا يمكنه أن يرد قضاء الله وقدره، وهذا خلاف المأمور به، وهو أن يثق المسلم بالله ﷻ، ويعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له وقدره[4].

وهذه الأمور كلها التي يتعلق بها العامة، غالبها من الشرك الأصغر، لكن إذا اعتمد العبد عليها بحيث يثق بها ويضيف النفع والضر إليها كان ذلك شركاً

---

(١) القاضي هو حسين بن أحمد، العلامة، شيخ الشافعية بخراسان، أبو علي المروزي، ويقال: المروذي، الشافعي، له التعليق الكبرى، والفتاوى، وغير ذلك، وكان من أوعية العلم، ويلقب بحبر الأمة، توفي في مرو سنة ٤٦٢هـ.
انظر ترجمته في: السير (١٨/ ٢٦٠)، الشذرات (٣/ ٣١٠).
وقد ذكر النووي في آخر ترجمة القاضي حسين، فائدة يجدر ذكرها وهي قوله: لا أعلم متى أطلق القاضي في كتب المتأخرين الخراسانيين كالنهاية والتتمة والتهذيب وكتب الغزالي ونحوها. فالمراد القاضي حسين ومتى أطلق القاضي في كتب متوسط العراقيين، فالمراد أبو حامد المروذي، ومتى أطلق في كتب الأصول لأصحابنا، فالمراد القاضي أبو بكر الباقلاني الإمام المالكي في الفروع ومتى أطلق في كتب المعتزلة أو كتب أصحابنا الأصوليين حكاية عن المعتزلة، فالمراد به القاضي الجبائي - والله أعلم -.

(٢) انظر: عون المعبود (١٠/ ٤٠٦). وانظر: فيض القدير (٤/ ٢٩٤)، ومرقاة المفاتيح (٤/ ٥٢٣).

(٣) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي القاري (٤/ ٥٢٢).

(٤) انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٩٤).

أكبر ـ والعياذ بالله ـ لأنه حينئذ صار متوكلاً على سوى الله ملتجئاً إلى غيره[1].

فهي من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد إن كانت بالأقوال أو الأفعال أو اعتقد بالمقارنة بينها وبين ما يتوقعه من نافع أو ضار، وأما إن اعتقد أن هذه الأشياء فاعلة أو سبب مؤثر في جلب النفع أو دفع الضر، فهي شرك أكبر مناف للتوحيد[2].

عن ابن عباس[3] قال الرسول ﷺ: «ليس منّا من تطير ولا من تطير له، ومن تكهن ولا من تكهن له، ولا من سَحر ولا من سُحر له»[4].

وعن عمران بن حصين[5] قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكُهّن له أو سحر أو سحر له، ومن عقد عقدة أو قال عقد عقدة، ومن أتى كاهناً فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[6].

«ليس منّا»: أي: ليس من أهل سنّتنا أو طريقتنا الإسلامية من يفعل ذلك[7].

قوله: «من تطير»: أي: من فعل الطيرة، أو تطير له، أي: أمر أن يتطير له، وكذلك من تكهن أو تكهن له، أو سَحر أو سُحر له.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام[8]: الفرق بين الطيرة والتطير، أن

---

(١) انظر: معارج القبول (١/ ٤٣٧).
(٢) انظر: المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنّة والجماعة للدكتور إبراهيم البريكان (ص١٤٩).
(٣) سبق التعريف به (ص١٨).
(٤) رواه البزار، والطبراني في الأوسط، وفيه زمعة بن صالح، وهو ضعيف. مجمع الزوائد (٥/ ١٢٠)، والبيهقي في شعب الايمان عن كعب (٢/ ٦٤).
(٥) سبق التعريف به (ص٢٤).
(٦) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحٰق بن الربيع وهو ثقة. مجمع الزوائد (٥/ ١٢١).
(٧) فيض القدير(٥/ ٤٨٣). وانظر: تيسير العزيز الحميد (ص٤١١).
(٨) عز الدين بن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي، بلغ رتبة الاجتهاد، ولد ونشأ في دمشق، توفي سنة ٦٦٠هـ.
انظر: الأعلام (٤/ ٢١)، النجوم الزاهرة (٧/ ٢٠٨).

التطير هو الظن السيئ الذي في القلب، والطيرة هي الفعل المترتب على الظن السيئ[1].

وعن أبي الدرداء[2] قال: قال رسول الله ﷺ: (لن ينال الدرجات العلى من تكهن، أو استقسم، أو رجع من سفرٍ تطيراً).

وفي رواية: «أو تطير طيرة ترده عن سفر لم ينظر إلى الدرجات العلى»[3].

فمن ترك التطير فقد حقق التوحيد[4]، ومن فعل التطير وقع في الشرك الذي ينافي التوحيد أو كماله الواجب ـ على حسب اعتقاده ـ.

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يدركون أن الطيرة باب من الشرك، فقد ذكر عن سعد بن أبي وقاص[5]، أنه كان غازياً، فيما هو يسير إذ أقبل في وجوههم ظباء يسعين، فلما اقترين منهم ولين مدبرات، فقال له رجل: انزل أصلحك الله، فقال له سعد: ماذا تطيرت؟ أمن قرونها حين أقبلت، أم من أذنابها حين أدبرت، إن هذه الطيرة لباب من الشرك، قال: فلم ينزل سعد ومضى[6].

لماذا حرمت الطيرة:

ومن هنا ندرك سبب تحريم الطيرة؟

فقد حرمت لعدة أمور أهمها:

---

(١) عون المعبود (١٠/٤٠٦).

(٢) عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري أبو الدرداء، مختلف في اسمه واسم أبيه، وإنما هو مشهور بكنيته، صحابي جليل، كان عابد، مات في آخر خلافة عثمان، وقيل: عاش بعد ذلك.
انظر ترجمته في: تقريب التهذيب (٢/٩١٩).

(٣) مجمع الزوائد (٥/١٢١)، قال: رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات. والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٦٤).

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٥).

(٥) هو سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحٰق، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من رمى في سبيل الله، مات بالعقيق سنة ٥٥٩هـ على المشهور.
انظر ترجمته في: تقريب التهذيب (١/ ٢٩٠).

(٦) على عادة العرب من التشاؤم بالظباء.

أولاً : لما في الطيرة من نسبة المنافع والمضار والقدرة عليها لغير الله.

ثانياً : لما فيها من الاعتماد والتوكل على غير الله.

ثالثاً : لما فيها من تعلق القلب بغير الله.

رابعاً : لما تولده في نفس العبد من الخوف، وعدم الأمن من المكروه، الأمر الذي يصيب كيانه بالاضطراب، وعدم الاستقرار النفسي، والذي هو بالتالي مؤثر على خلافته في الأرض.

خامساً : أن الطيرة طريق لنشر الخرافة عن طريق إعطاء كثير من الكائنات قدرات وتأثيرات لا أصل لها مما يكون بريداً للشرك الأكبر[1].

ولكن هل كل من تطير أتى بما ينافي التوحيد أو كماله؟

بالطبع لا، لأن ذلك موجود في قلب الشخص وعقيدته رغماً عليه، فقد توارثه عبر الأجداد والتجارب وإن كان غير حقيقي. فقد ذكر الإمام أحمد[2] رحمه الله عن مسلمة الجهني[3]، قال: سمعته يحدث عن الفضل بن عباس[4] قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوماً، فبرح ظبي، فمال في شقه فاحتضنته، فقلت: يا رسول الله تطيّرت، قال: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»[5].

---

(١) انظر: المدخل لدراسة العقيدة (ص١٤٩ ـ ١٥٠).

(٢) سبق التعريف به (ص٢٥).

(٣) هو مسلمة بن عبد الله بن ربعي الجهني الحميري الدمشقي، مقبول الحديث.
انظر ترجمته في: التقريب (٢/٢٤٨).

(٤) الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله ﷺ، يكنى أبا عبد الله أو أبا عبد الله، وكان . . . ولد العباس غزا مع رسول الله ﷺ مكة و. . . وثبت مع الرسول ﷺ يومئذ، مات في طاعون عمواس سنة ١٨هـ.
انظر: طبقات ابن سعد (٤/ ٥٤)، السير (٣/ ٤٤٤).

(٥) مسند أحمد (١/ ٢١٣). قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده ضعيف لانقطاعه، وقال: وهذا الحديث على ضعفه لم أجده في موضع آخر.
انظر: المسند بتحقيق أحمد شاكر (٣/ ٢٤٠)، وذكره ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الأدب (٩/ ٤١).

الطيرة المنهي عنها:

فالطيرة المنهي عنها: أن يخرج لأمر فإذا رأى ما يحب مضى، وإن رأى ما يكره انصرف، فأما ما يقع في قلبه من محبوب ذلك ومكروهه، فليس بطيرة، إذا مضى لحاجته وتوكل على ربه. قال ابن عباس[1]: إن مضيت فمتوكل، وإن نكصت فمتطير[2].

علاج ما وقع في القلب:

أما ما علق بالقلب، فقد جعل الله له علاجاً يُذهب هذه الرواسب وبقايا أوضار الجاهلية البائدة بأمرين مهمين لا سبيل من الأخذ بهما تصريفاً لنزعة التشاؤم والتطير.

الأمر الأول:

عدم الالتفات لما قد يجده الإنسان في نفسه من رواسب التشاؤم، كمن يظن أنه إذا اختلجت عينه اليسرى لا بد أن يصاب بمكروه، أو من يسمع بومة تصرخ على بيته، فيتوهم أنها تنذر بالخراب، فإذا وجد المرء ذلك في نفسه، وتحركت فيه عوامل التشاؤم، فعليه بأن يذكر أن الخير والشر من الله ﷻ، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فعن معاوية بن الحكم[3] قال: قلت: يا رسول الله منّا رجال يتطيرون؟ قال: «ذلك شيء تجدونه في أنفسكم فلا يصدنكم»، قال: قلت: ومنّا رجال يأتون الكهان؟ قال: «فلا تأتوهم»، قال: قلت: ومنّا رجال يخطون، قال: «خطّ نبي فمن وافق علمه علم»[4].

وقوله في الطيرة: ذلك شيء تجدونه في أنفسكم، يريد أن ذلك الشيء يوجد في النفوس من البشرية، وما يعتري الإنسان من قبل الظنون من غير أن يكون له تأثير من جهة الطباع، أو يكون فيه ضرر[5].

---

(١) سبق التعريف به (ص١٨).

(٢) شرح السنة (١٢/ ١٧٠)، الجامع لشعب الإيمان (٣/ ٣٧٣).

(٣) سبق التعريف به (ص١٣٤). (٤) سبق تخريجه به (ص١٣٥).

(٥) انظر: شرح السنّة (١٢/ ١٨١).

(٦) عروة بن عامر المكي، مختلف في صحبته، له حديث في الطيرة، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين. انظر: التقريب (٢/ ١٩٩).

وعن عروة بن عامر[1]، قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[2].

ففيه نفي التعلق بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً، ويعد من اعتقد شيئاً منها مشركاً[3].

وعن عبد الله بن عمر[4]، قال لكعب[5]: علم النجوم؟ فقال كعب: لا خير فيه، فقال عبد الله: لِمَ؟ قال: ترى فيه ما تكره، وتزيد الطيرة، فقال كعب: فإن مضى، فقال: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك؟ ثم سكت. فقال عبد الله: ولا حول ولا قوة إلا بك، قال كعب: جاء بها عبد الله والذي نفسي بيده، إنها لرأس التوكل، وكنز العبد في الجنة، ولا يقولن عبد ذلك ثم يمضي إلا لم يضره شيء، قال عبد الله: أفرأيت إن لم يمضي وقعد، قال: طعم قلبه طعم الإشراك[6]

الأمر الثاني:

الذي عالج به الرسول ﷺ رواسب التشاؤم، لمن تطير، ومضى على تطيره، وارتد عن حاجته، ووقع في الشرك، فعليه أن يقول هذه الكفارة. عن ابن

---

(١) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٣/ ٣٧١)، سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الطيرة (٤/ ١٩). قال المنذري: وعروة هذا قيل فيه القرشي وقيل الجهني حكاهما البخاري. وقال أبو القاسم الدمشقي: ولا صحبة له تصح. وذكر البخاري وغيره أنه سمع من ابن عباس، فعلى هذا يكون الحديث مرسل.
انظر: عون المعبود (١٠/ ٤١٦)، وعن الأعمش بنحوه مصنف عبد الرزاق (١٠/ ٤٠٢) (ح١٩٥١٢)، وقال الحافظ في التهذيب (٧/ ١٧٥): الظاهر أن رواية حبيب عنه منقطعة، والعلة الثالثة أن حبيب هذا قد نسي وقد عنعن. فالحديث ضعيف.
انظر: كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب، خرّج أحاديثه إبراهيم الحازمي (ص٩٢).

(٢) فتح المجيد (ص٣١٠).

(٣) انظر: (ص٣٩).

(٤) سبق التعريف به (ص٣٨).

(٥) الجامع للبيهقي (٣/ ٣٧٦)، وإسناده ضعيف. وذكره بنحوه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الآداب (٩/ ٤٥).

عمر[1]، قال: قال رسول الله ﷺ: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»، قالوا: يا رسول الله ما كفارة ذلك؟ قال: «أن يقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»[2]

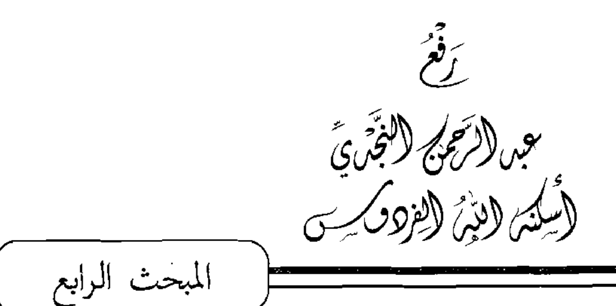
وبذلك نرى أن التطير والمضي فيه لا يخلو من أحد أمرين أحلاهما مر:

إما أن يكون شركاً أكبر، أو شركاً أصغر على حسب تعلق القلب، لذلك ندد به الإسلام أشد التنديد ونهى عنه.

❑ ❑ ❑

(١) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، أحد الصحابة المكثرين من رواية الحديث، كان شديد الاتباع للسنّة، توفي سنة ٧٣هـ.
انظر ترجمته في: الإصابة (٢/٣٤٧).

(٢) مسند أحمد (٢/ ٢٢٠)، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٠٥)، وقال: رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.



علاقة الطيرة بالسحر

قبل أن نذكر علاقة الطيرة بالسحر، نعرّف السحر، ونبيّن حكمه.

السحر في اللغة:

كل ما لطف مأخذه ودق، فهو سحر، وسمي السَحَرَ سحراً، لأنه يقع خفياً في آخر الليل.

والجمع: أسحار، وسحور، و(سُحُر).

قال الأزهري[(١)]: وأصل السِّحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره[(٢)].

وقال ابن فارس[(٣)]: هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال: هو الخديعة[(٤)].

السحر اصطلاحاً:

هو عُقد ورُقى، وكلام يتكلم به، أو يكتبه، أو يعمل شيئاً في بدن المسحور، أو قلبه، أو عقله، من غير مباشرة له، وله حقيقة، فمنه ما يقتل، وما يُمرض، وما يأخذ الرجل عن امرأته، فيمنع وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء

---

(١) هو محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان سنة ٣٧٠هـ، عني بالفقه، اشتهر به، ثم غلب عليه الفخر بأبويه.
انظر ترجمته في: الأعلام (٥/ ٣١١).

(٢) انظر: اللسان (٦/ ١٨٩)، وانظر: مختار الصحاح (ص٢٨٨).

(٣) أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي المالكي اللغوي، نزيل همذان، صاحب كتاب «المجمل»، توفي سنة ٣٩٥هـ بالري.
السير (١٧/ ١٠٣)، الكامل في التاريخ (٨/ ٧١١).

(٤) المصباح المنير (١/ ٣٦٤)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١٣٨).

وزوجه، وما يبغض أحدهما إلى الآخر، أو يحبب اثنين وهو قول الشافعي[1].

قال الرازي[2] في التفسير: (ولفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع)[3].

والسحر حق، كما قال ابن قدامة[4]، وغيره من السلف، وهي من عقائد أهل السنّة والجماعة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤﴾[5].

فلولا أن للسحر حقيقة، لما أمر الله تعالى بالاستعاذة منه، وقال تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ إلى قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[7]، قال عمر: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان[8].

وحديث عائشة، قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء حتى إذا كانت ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله ﷺ ثم دعا، ثم دعا، ثم قال: يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، جاءني

---

(١) الشافعي، سبق ترجمته. وانظر في: مختار الصحاح (ص٢٨٨)، وانظر: المغني لابن قدامة (١٢/ ٣٠٢).

(٢) الرازي محمد بن عمر بن الحسين التميمي، أبو عبد الله، الملقب بفخر الرازي، فقيه شافعي، وأحد علماء الكلام البارزين، توفي سنة ٦٠٦هـ.
انظر ترجمته في: طبقات الشافعية (٨/ ٨٢١)، البداية والنهاية (١٣/ ٩٩).

(٣) التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢٠٥).

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، كان إماماً في فنون كثيرة وبرز في الفقه، وهو من علماء الحنابلة البارزين، توفي سنة ٦٢٠هـ.
انظر ترجمته في: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٣٣)، البداية والنهاية (١٣/ ٩٩).

(٥) سورة الفلق: الآيات (١ ـ ٤). (٦) سورة البقرة: الآية (١٠٢).

(٧) سورة النساء: الآية (٥١).

(٨) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ص٧٢)، والأثر رواه ابن جرير (٣/ ١٣)، وعبد بن حميد في تفسيره، وسنده قوي، كما قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٥٢).

رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، قال: وجُف طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذروان، قالت: فأتاها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه، ثم قال: يا عائشة، لكأن ماءها نُقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين، قالت: قلت: يا رسول الله، أفلا أحرقته، قال: لا، فأما أنه فقد عافاني الله، وكرهت أن أثير على الناس شراً فأمرت بها فدفنت[1].

قال الإمام المازري[2] رحمه الله: مذهب أهل السنّة، وجمهور علماء الأمة، على إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة، خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها[3].

من أنكر السحر:

فهناك من أنكر السحر، وقالوا: بأنه تخيل، منهم المعتزلة[4]، وطائفة من غيرهم كالجصاص[5]، وابن حزم[6]، ....

(١) مسلم بشرح النووي (١٤/ ١٧٤)، كتاب السلام، باب السحر، البخاري، الطب، باب السحر (١٠/ ٢٢١).

(٢) هو أبو عبد الله، محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي، مصنّف كتاب المعلم بفوائد مسلم وغيره، ولد بمدينة المهدية بأفريقيا، وبها مات سنة ٥٣٦هـ، وله ثمانون سنة.
انظر: الديباج المذهب (٢/ ٢٥٠)، وشذرات الذهب (٤/ ١١٤)، والسير (٢٠/ ١٠٤).

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٢٧٠).

(٤) يسمون أصحاب العدل والتوحيد، قالوا: بأن الله قديم ونفوا الصفات القديمة، وقالوا: بأن كلام الله مخلوق، وأن العبد خالق لأفعاله، وأول من قال بها، واصل بن عطاء، عندما اعتزل مجلس الحسن البصري الذي ضحى به هشام بن عبد الملك.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني (ص٢١).

(٥) هو الإمام أحمد بن علي أبو بكر الرازي، المعروف بالجصاص، نسبه إلى عمله بالجص، إمام الحنيفية في عصره، توفي سنة ٣٧٠هـ.
انظر ترجمته في: الجواهر المضيئة (١/ ٨٤)، والأعلام (١/ ١٧١).

(٦) هو أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأصل الأندلس القرطبي، الفقيه =

والرازي[1]، وغيرهم[2].

والمنكرون لحقيقة السحر ـ وأكثرهم من المعتزلة ـ قالوا: إنا لو أثبتنا للسحر حقيقة لأدى ذلك إلى عدم التفريق بين المعجزة وبين ما يفعله السحرة، وبمثل قول المعتزلة قال بعض الحنفية: ومنهم أبو بكر الجصاص حيث قال: (ومن صدق هذا ـ أي أن للسحر حقيقة ـ فليس يعرف النبوة ولا يأمن أن تكون معجزات الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من هذا النوع، وأنهم كانوا سحرة)[3].

السبب في إنكارهم السحر:

(والسبب في إنكار المعتزلة حقيقة السحر وتأثيره أنهم ظنوا أن مجرد كون الفعل خارقاً للعادة هو الآية على صدق الرسول، فلا يجوز ظهور خارق للنبي، والتزموا طرداً لهذا أن يكون للسحر تأثير خارج عن العادة مثل أن يموت ويمرض بلا مباشرة)[4].

(وهذا الظن منهم غير صحيح، لأن صدق الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يدل عليه غير المعجزة، كأحواله الظاهرة للناس)[5].

هذا فضلاً عن أن القول بأن إثبات حقيقة للسحر يستلزم عدم التفريق بين المعجزة وبين ما يفعله السحرة غير صحيح، إذ الفارق بين معجزات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وبين ما يفعله السحرة واضح تمام الوضوح كوضوح الفرق بين النبي والساحر[6].

واستدل المنكرون لحقيقة السحر بقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا

= الحافظ المتكلم الأديب الوزير الظاهري، صاحب التصانيف، وله بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، له: المحلى وغيرها، توفي سنة ٤٥٦هـ.
انظر: السير (١٨/ ١٨٤)، البداية والنهاية (١٢/ ٦١).

(١) الرازي، سبق ترجمته (ص١٦٣).
(٢) انظر: تحقيق مخطوطة سورة الفلق (ص٢٧٠)، وانظر: شرح عقيدة أهل السنّة للإمام الأصبهاني (١/ ٤٨٣).
(٣) أحكام القرآن للجصاص (١/ ١٠).
(٤) انظر: النبوات (ص١٧٥).
(٥) انظر: النبوات (ص٧٠).
(٦) انظر: الفرق بين المعجزة والسحر، كتاب النبوات (ص٤٢٥) وما بعدها.

تَسۡعَىٰ﴾[1]، وهذا لا حجة فيه، لأنّا لا ننكر أن يكون التخييل وغيره من جملة السحر[2].

وأختم القول في هذه المسألة بكلام جيد للإمام القرطبي، حيث قال: وعلى هذا ـ أي على إثبات حقيقة السحر ـ أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع، ولا عبرة مع اتفاقهم بحالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق[3].

والسحر حق وله تأثير ... لكن بما قدره القدير
أعني بذا التقدير وما قد قدَّره ... في الكون لا في الشرعة المطهَّرة[4]

حكم السحر:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾[5]، وقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾[6]، فدلت الآيتان على تحريم السحر، وكذلك هو محرم في جميع الأديان، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾[7].

واختلفوا: هل يكفر الساحر أو لا؟ فذهبت طائفة من السلف إلى أنه يكفر، وبه قال مالك[8]، وأبو حنيفة[9]، وأحمد[10] ـ رحمهم الله ـ، قال لأصحابه: إلا أن يكون سحره بأدوية عقد ودخن وسقي شيء يضر فلا يكفر[11].

وقيل: لا يكفر، إلا أن يكون في سحره شرك فيكفر، وهذا قول الشافعي[12] وجماعته. قال الشافعي رحمه الله: إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف بما يوجب الكفر، مثل ما اعتقد أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها، فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته، كفر.

---

(1) سورة طه: الآية (٦٦).
(2) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٣٤).
(3) تفسير القرطبي (٢/ ٣٣).
(4) معارج القبول بشرح سلم الوصول (١/ ٥٢٢).
(5) سورة البقرة: الآية (١٠٢).
(6) سورة النساء: الآية (٥١).
(7) سورة طه: الآية (٦٩).
(8) سبق التعريف به (ص٥٩).
(9) سبق التعريف به (ص٦١).
(10) سبق التعريف به (ص٢٥).
(11) فتح المجيد (ص٢٧٨).
(12) سبق التعريف به (ص٦٣).

وعند التحقيق، ليس بين القولين اختلاف، فإن لم يكفر لظنه أنه يتأتى بدون شرك وعبادة الشياطين والكواكب، وليس كذلك بل لا يأتي السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشياطين والكواكب، لهذا سماه الله كفراً في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[1]، فيحكم على الساحر بالكفر. قال الحكمي[2] رحمه الله:

واحكم على الساحر بالتكفير   وحده القتل بلا نكير[3]

حد الساحر:

اختلف العلماء في حد الساحر، على قولين:

١ ـ الجمهور: بأن يقتل من غير استتابة، وهو المشهور عند أحمد، وبه قال مالك: أن الصحابة لم يستتبوهم، ولأن علم السحر لا يزول بالتوبة.

٢ ـ يستتاب: وهذه رواية عن أحمد، فإن تاب قبلت توبته وأخلي سبيله وبه قال الشافعي: لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك، والمشرك يستتاب وتقبل توبته، فكذلك الساحر، وعلمه بالسحر لا يمنع توبته بدليل ساحر أهل الكتاب إذا أسلم، ولذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم.

قال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب[4]: الأول أصح لظاهر عمل الصحابة، فلو كانت الاستتابة واجبة لفعلوها أو بيّنوها، وأما قياسه على المشرك فلا يصح، لأنه أكثر فساداً وتشويهاً من الشرك ـ لأن الشرك لازم بينما السحر متعدي ـ وكذلك لا يصح قياسه على ساحر أهل الكتاب، لأن الإسلام يجبُّ ما قبله[5].

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٠٢).

(٢) حافظ بن أحمد الحكمي، فقيه من علماء جيزان. من كتبه: معارج القبول، توفي سنة ١٣٧٧هـ. انظر ترجمته في: الأعلام (٢/ ١٥٩).

(٣) معارج القبول (١/ ٥١٢).

(٤) سبق التعريف به (ص١٥٤).

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٩٢ ـ ٣٦٣)، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٥٦٩).

والدليل على قتله، ما روي عن بعض الصحابة:

أولاً: عن جندب[1] مرفوعاً: «حد الساحر ضربة بالسيف»[2]. وفي صحيح البخاري[3] عن بجالة بن عبدة[4] قال: كتب عمر أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، فقتلنا ثلاث سواحر[5]، وصح عن حفصة[6] رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت[7].

---

(١) جندب بن عبد الله بن سفيان أبو عبد الله البجلي، صاحب النبي ﷺ، نزل الكوفة والبصرة، وله عدة أحاديث، بقي إلى حدود ستة وسبعين.
انظر: سير الأعلام (٣/ ١٧٤)، تهذيب التهذيب (٢/ ١١٧).

(٢) رواه الترمذي. وقال: الصحيح أنه موقوف، أبواب الحدود، باب ما جاء في حد الساحر (٣/ ١٣٩)، الحاكم (٤/ ٣٦٠)، البيهقي (٨/ ١٣٦)، الدارقطني (٣/ ١١٤)، وقد ضعف المرفوع ابن حجر كما في الفتح (١٠/ ٢٣٦)، والترمذي (٥/ ٢٣)، والبيهقي (٨/ ١٣٦) في السنن الكبرى، والألباني في السلسلة (٣/ ٦٤١)، وصحح الموقوف كل من الترمذي والذهبي في الكبائر والألباني.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، الإمام الحافظ، صاحب الصحيح، توفي سنة ٢٥٦هـ.
السير (١/ ٣٩١)، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٧).

(٤) بجالة بن عبدة التميمي العنبري البصري، كاتب جزء بن معاوية.
انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٣٦٥).

(٥) رواه أحمد (١/ ١٩٠، ١٩١)، أبو داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب أخذ الجزية من المجوس (٣/ ١٦٨)، البيهقي، الكبرى (٨/ ١٣٦)، قال الشيخ أحمد شاكر: صحيح الإسناد (٣/ ١٢٣)، وصححه ابن حزم في المحلى (١١/ ٣٩٧)، البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الفرقة والحرب (٦/ ٢٥٧)، الترمذي، السير، باب أخذ الجزية من المجوس (٥/ ١٧٤).

(٦) حفصة بنت عمر بن الخطاب، أم المؤمنين رضي الله عنها، كانت من المهاجرات، وتزوجها النبي ﷺ سنة ٣هـ، وتوفيت سنة ٤٥هـ.

(٧) سنن البيهقي (٨/ ١٣٦)، وصححه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقال الدوسري في النهج السديد (ص١٤٣): صحيح. قال الهيثمي (٦/ ٢٨٠): رواه الطبراني عن رواية إسماعيل بن عياش عن المؤمنين وهي ضعيفة وبقية رجاله ثقات. قال النووي في رياض الصالحين (ص٥٣٥٦): إسناده حسن. قال ابن علان في دليل الفالحين (٤/ ٥١٢): رواه النسائي في التفسير من سند ضعيف. الأعيان في ضعيف أبي داود (ص٣٨٧)، والأرناؤوط كما في تخريج موارد الظمآن (١/ ٦١٦).

أنواع السحر:

السحر أنواع ودركات، بعضها أقبح وأسفل من بعض، فمنها العيافة والطرق. عن قطن بن قبيصة[(١)] عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العيافة والطيرة والطرق من الجبت»[(٢)].

قال عوف[(٣)]: العيافة: زجر الطير، والطرق: خط يخط بالأرض، والجبت. قال الحسن[(٤)]: رنّة الشيطان[(٥)].

فالعيافة: زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها، وأصواتها، وممرها، وهو من عادات العرب، وكثير في أشعارهم، يقال: عاف يعيف عيفاً إذا حدس وزجر وظن[(٦)].

الطرق: بفتح الطاء، وسكون الراء، هو الضرب بالحصى، الذي تفعله النساء، وقيل: هو الخط في الرمل وصورة الخط ما قاله ابن الأعرابي: يعقد المحازي والمحاز والحزاء الذي يحرز الأشياء ويقدرها بظنه، ويأمر غلامه أن يخط

---

(١) قطن بن قبيصة بن المخارق الهلالي، أبو سهلة البصري لأبيه صحبة، ذكره ابن حبّان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٣٤١).

(٢) أخرجه أبو داود، الطب، باب في الخط وزجر الطير (٤/ ١٦)، وأحمد (٣/ ٤٧٧)، ابن حبان (٧/ ٦٤٦)، قال المنذري في الترغيب والترهيب: رواه أبو داود والنسائي وشرح السنن (١٢/ ٧٧)، وابن حبان (٣/ ٦٢٣). قال النووي في رياض الصالحين (ص٥٣٥): إسناده حسن. قال ابن علان في دليل الفالحين (٤/ ٥١٢): رواه النسائي في التفسير من سننه، ضعفه الألباني في ضعيف أبو داود (ص٣٨٧) والأرناؤوط كما في تخريج موارد الظمآن (١/ ٦١٦).

(٣) عوف بن مالك الشجعي الغطفاني، ممن شهد فتح مكة، وله جملة أحاديث في كنيته أقوال: أبو عبد الرحمن، أبو عبد الله، أبو حمد، وكان من نبلاء الصحابة، مات سنة ٧٣هـ. سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨٧)، تهذيب التهذيب (٨/ ١٥٠).

(٤) الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري، التابعي الجليل، إمام أهل البصرة، كان عالماً عابداً ثقة مأموناً، توفي سنة ١١٠هـ.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/ ٦٩)، تذكرة الحفاظ (١/ ٧١).

(٥) سنن أبي داود (٤/ ٤٠٩)، كتاب التوحيد (ص٧٧) بتعليق أحمد شاكر.

(٦) راجع الفصل الأول، المبحث الثاني (ص٤٦).

له خطوطاً على رمل أو تراب، ويكون ذلك منه في خفة وعجلة، كي لا يدركها العد والإحصاء، ثم يأمره فيجدها خطين خطين، وهو يقول: ابني عيان أسرعا البيان، فإن كان آخر ما يبقى منها خطين فهو آية النجاح، وإن بقي خط واحد، فهو الخيبة والحرمان[1].

قال عنه الشيخ ابن باز[2] ـ رحمه الله ـ: هو ما يسمونه خط الرمل وعلمه، وهو ذائع بين أهل العصر، ولبعضهم فيه تأليف، وقد يتعيش به كثير من المتكهنين، يغرون به البله والجهلة، زاعمين أنهم يطلعون على المغيبات وهم كاذبون، فإن هذا العلم، بل الجهل ـ لا يقصد به إلا خداع الناس وأكل أموالهم بالباطل ـ وقد بحثت في قواعده فوجدته ـ كما ذكرت لك ـ رجماً بالغيب، وهو من الجبت، كما في الحديث، فيجب على المؤمنين بالله الكفر به، ومثله ما يسمونه قراءة الكف، وقراءة الفنجان، ومناجاة حب البن ونحوه.

كل ذلك دجل وسحر واستمتاع كل من الشياطين ـ الجن والإنس ـ ببعضهم. نسأل الله العافية للمسلمين من هذه الأمراض الفتاكة[3].

﴿بِٱلْجِبْتِ﴾: أي السحر. قال القاضي[4]: والجبت في الأصل الحبس الذي لا خير فيه، ثم استعير لما يعبد من دون الله، وللساحر والسحر.

قال الطيبي[5]: (من) فيه إما ابتدائية أو تبعيضية، فعلى المعنى الأول: الطيرة ناشئة من السحر، وعلى المعنى الثاني: الطيرة من جملة السحر والكهانة، أو من جملة عبادة غير الله أي: الشرك، ويؤيده قوله في الحديث: «الطيرة شرك».

يتبين لنا، أن الطيرة نوع من أنواع السحر، أو ناشئة عنه، لذلك نرى أن الرسول ﷺ شدد في النهي عنها، وأخبر أنها شرك بالله ﷻ، لأن فيها ادعاء علم الغيب، فهي من السحر.

---

(١) انظر: معالم السنن (٤/ ٣٣٢).
(٢) سبق التعريف به (ص١٤٤).
(٣) هامش فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٢٨٦).
(٤) سبق التعريف به (ص١٥٥).
(٥) أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن نيخاب الطيبي، قال الخطيب: لم نسمع فيه إلا خيراً. تاريخ بغداد (٤/ ٣٥)، السير (١٥/ ٥٣٠).

فالسحر قد يكون بعزائم ورقى شيطانية وبحيل وأدوية، وقد يكون بنوع طيرة يجدها الإنسان في نفسه فتوافق القدر، وتقع كما أخبر، وقد تكون بعلم الرمل والضرب بالحصى[1].

فالسحر منه ما هو كفر بالله، مثل الذي يستخدم الشياطين، أو شرك أكبر، وهناك ما هو دونه من ادعاء علم الغيب، وهو الذي يندرج تحته الطيرة مثل العرافة.

أنواع الكهانة:

والعرافة قسم من أقسام الكهانة، وهي ادعاء معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك[2].

أو هي الاستدلال ببعض الحوادث الخالية، على الحوادث الآتية، بالمناسبة، أو المشابهة الخفية، التي تكون بينهما، أو الاختلاط، أو الارتباط، على أن يكونا معلولي أمر واحد، أو يكون ما في الحال علة لما في المستقبل، وشرط كون الارتباط المذكور خفيفاً لا يطلع عليه الأفراد، وذلك بالتجارب أو بالحالة المودعة عندهم[3].

قال القاضي[4]: كانت الكهانة في العرب، ثلاثة أضرب:

الأول: يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السماء، وهذا القسم بطل من حيث بعث الله نبينا ﷺ.

الثاني: أن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما قرب أو بعد، وهذا لا يبعد وجوده، ونفت المعتزلة[5] وبعض المتكلمين هذين الضربين وأحالوهما، ولا استحالة في ذلك ولا بعد في وجوده، لكنهم يصدقون ويكذبون، والنهي عن السماع منهم وتصديقهم عام.

الثالث: المنجمون: وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما، لكن الكذب فيه أغلب، ومن هذا الظن العرافة وصاحبها عراف.. وقد يعتقد بعض هذا الظن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب متعددة.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٤٠٥).

(٢) شرح السنّة (١٢/ ١٧٧).

(٣) المقدمة، ابن خلدون (ص٨٦).

(٤) سبق التعريف به (ص١٥٥).

(٥) سبق التعريف بها (ص١٦٤).

وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة[1]، فكلها فيها ادعاء علم الغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله. قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾[2].

ولنذكر هذه الحادثة عن أمية بن الصلت[3]، فنرى كيف يدعون فيها علم الغيب، صدق رسول الله ﷺ حيث جعله نوعاً من أنواع السحر.

فقد حكي أن أمية بن أبي الصلت الثقفي، بينما هو يشرب مع إخوان له في قصر غيلان بالطائف[4]، إذا سقط غراب على شرفة القصر، فنعب نعبة. فقال أمية: بغيك الكثكث ـ أي التراب ـ فقال له أصحابه: ما يقول؟ قال يقول: إنك إذا شربت الكأس التي بيدك مت، ثم نعب نعبة أخرى، فقال أمية كمقالته الأولى، فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: يزعم أنه يقع على هذه المزبلة في أسفل القصر فستثير عظماً فيبتلعه فيشجى به فيموت، فوقع الغراب على المزبلة فأثار العظم فشجى فمات.

فأنكر أمية ووضع الكأس من يده وتغير لونه فقال أصحابه: ما أكثر ما سمعنا مثل هذا وكان باطلاً، وألحوا عليه حتى شرب الكأس فمال فأغمي عليه ثم أفاق فقال: لا بري فأعتذر ولا قوي فأنتصر، ثم خرجت نفسه[5].

نقول: كل شيء بقضاء الله وقدره، ولكن ربما جعل الله سبب موته هو شدة خوفه من صدق نعيب الغراب، فمات فاعتقدوا أنه استطاع أن يزجر الطير فيعرف ماذا يحدث وهذا من ادعاء علم الغيب، ولا يعلم الغيوب إلا الله.

---

(١) مسلم بشرح النووي (١٤/ ٢٢٣). (٢) سورة الأنعام: الآية (٥٩).

(٣) أمية بن عبد الله بن ربيعة بن عوف بن عقدة بن قيس، شاعر، وكان لا يمنح شعره لأنه قرأ كتاب الله وسمى الله بأسماء من عنده وكان يطمع في النبوة، وفرصته هذه كانت في قصة موته فهو قد تشاءم، لأنه عرف أن المنية قد أقبلت حتى أنه كان يغمى عليه عدة مرات.

انظر ترجمته في: الأغاني (٤/ ١٢٠ ـ ١٣٣)، والسير (ص٦٣٤).

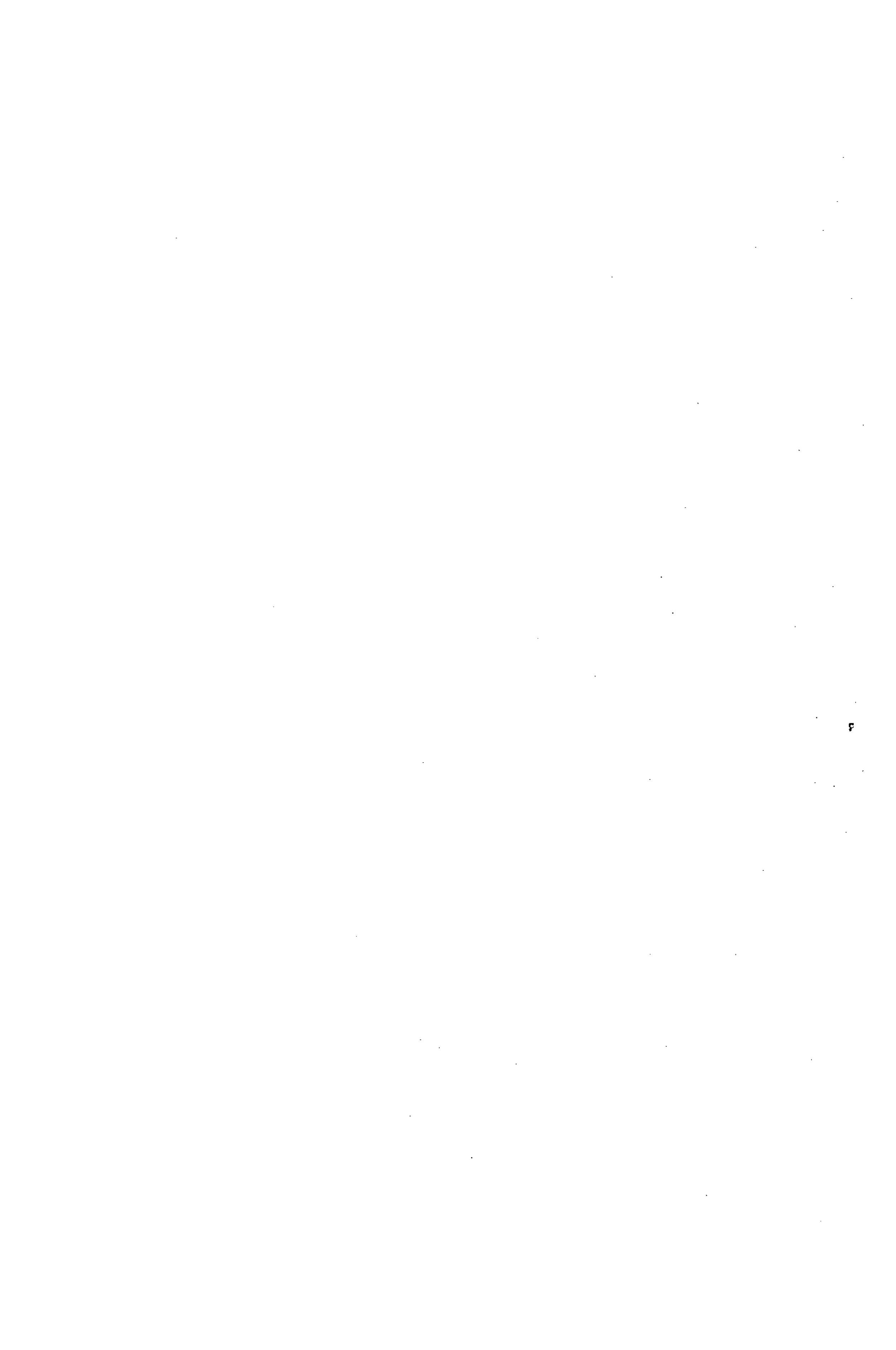
(٤) قصر غيلان: هو غيلان بن مسلمة بن متعب، وكان وفد على كسرى وحاوره، فأعجب به واشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها، وكساه وبعث معه من الفرس من بنى له هذا القصر بالطائف فكان أول قصر بني بها. الأغاني (١٢/ ٤٨ ـ ٤٩).

(٥) نهاية الأرب (١٣/ ١٣٩).

فالطيرة من السحر، لأن فيها ادعاء علم الغيب، وكذلك لأن فيها تعلق بغير الله ﷻ، ولأنها ترد الشخص مثل السحر، فالمسحور يمنعه أن يرده قول الكاهن أو فعل الساحر أو غيرها، والمتطير يرده التشاؤم بالطيور بأصواتها أو ممرها، أو العباد، أو غير ذلك[1].

❑ ❑ ❑

(١) معارج القبول (١/ ٥٢٢).





شبهات في باب التطير

المبحث الأول: الشؤم في ثلاث.

المبحث الثاني: الطيرة على من تطير.

المبحث الأول

الشؤم في ثلاث

بقي علينا أن ندحض شبهة التعارض بين الأحاديث الصريحة في نفي الشؤم، والتحذير منه، وبين أحاديث أخرى قد يفهم منها أنها تثبته، كحديث الشيخين: «إنما الشؤم في ثلاث: في الفرس، والمرأة، والدار». والحديث الذي ورد في صحيح ابن حبان: «لا طيرة، والطيرة على من تطير»، وقبل أن ندحض الشهبة، نعرّف بمعنى الشبهة.

تعريف الشبهة:

الشبهة بالضم: الالتباس والمثل.

وشَبه عليه الأمر تشبيهاً: لَبس عليه.

وشُبه عليه الأمر: لُبِس عليه

وأمور مشتبهة ومشبهة: مشكلة، يشبه بعضها بعض[1].

والشبهة: هو أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر، لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنى[2].

(والشبهة في العقيدة، المأخذ المُلبس، سميت شبهة لأنها تشبه الحق)[3].

الأحاديث الدالة على أن الشؤم في ثلاث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، وفر من المجذوم، كما تفر من الأسد»[4].

---

(١) انظر: القاموس المحيط (٢٨٦/٤)، المصباح المنير (٤١٢/١)، اللسان (٢٣/٧)، المنجد (ص٣٧٣)، مختار الصحاح (ص٣٢٨).

(٢) انظر: مفردات القرآن (ص٤٤٣). (٣) المصباح المنير (٤١٢/١).

(٤) سبق تخريجه (ص٣٧).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى، ولا طيرة، وإنما الشؤم في ثلاث: في الفرس، والمرأة، والدار»(١).

وفي رواية قال: (ذكروا الشؤم عند النبي ﷺ فقال: «إن كان الشؤم: ففي الدار، والمرأة، والفرس»)(٢).

ولمسلم: «في المرأة، والفرس، والمسكن»(٣).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن كان في شيء: ففي الفرس، والمرأة والسكن - يعني الشؤم -»(٤).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مثله، وقال في حديثه: «ففي الربع والخادم والفرس»(٥).

وعن حكيم بن معاوية(٦) رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا شؤم، وقد يكون اليمن في الدار والمرأة والفرس»(٧).

وعن أنس بن مالك قال: جاء رجل منّا إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا نزلنا داراً فكثر فيها عددنا، وكثرت فيها أموالنا، ثم تحولنا عنها إلى أخرى، فقلّت فيها الأموال، وقلَّ فيها عددنا، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب ما تتقي من شؤم المرأة (٩/ ١٣٧ - الفتح)

(٣) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل (١٤/ ٢٢٢ - النووي).

(٤) أخرجه البخاري في الجهاد (٦/ ٦٠)، باب ما يذكر من شؤم الفرس، وفي النكاح، باب ما تبقّى من شؤم المرأة (٩/١٣٧)، ومسلم في كتاب السلام (١٤/ ٢٢٢)، باب الطيرة والفأل، والموطأ في الاستئذان، باب ما تبقى من الشؤم.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب السلام (١٤/ ٢٢٢) في باب الطيرة والفأل، والنسائي (٢/ ٢٢٠) في الخيل، باب شؤم الخيل، بشرح السيوطي.

(٦) حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري والد بهز. تقريب التهذيب (١/ ١٩٤).

(٧) أخرجه الترمذي في الآداب، باب ما جاء في الشؤم (٤/ ٣٧٧)، وقد ورد في ضعيف الترمذي للألباني (ص٣٣٧) وإسناده ضعيف. قال الحافظ في الفتح: في إسناده ضعف لمخالفته للأحاديث الصحيحة (٦/ ١٢)، وابن ماجه، الزكاة، باب ما يكون فيه الشؤم رقم (٢١٩٩٣)، وشرح مشكل الآثار (٢/ ٢٥٣)، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٣٤٧) قال: إسناد حديث محمد بن معاوية صحيح ورجاله ثقات، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٥٦٤).

«ارحلوا عنها، وذروها، وهي ذميمة»[1].

منشأ الشبهة:

ومنشأ الشبهة هنا حيث نهى النبي ﷺ عن الطيرة والتطير كما مر معنا، وفي هذه الأحاديث الصحيحة يثبتها في المرأة والدابة والدار، ولقد حاول العلماء التوفيق بين الأحاديث ودحض زعم التعارض وكانت لهم مسالك في هذا.

أقوال العلماء في هذه الشبهة:

فهناك من شكك بصحة الأحاديث الواردة في شؤم المرأة، والدابة، والدار، اعتماداً على نفي عائشة لحديث أبي هريرة. ومنهم ابن قتيبة[2] رحمه الله حيث قال: (فإن هذا الحديث، فيتوهم فيه الغلط على أبي هريرة، وأنه سمع فيه شيئاً من رسول الله ﷺ، فلم يعه). فقد روى عن أبي حسان الأعرج[3]: (أن رجلين دخلا على عائشة رضي الله عنها فقالا: إن أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الطيرة في المرأة، والدابة، والدار»).

فطارت شقة منها في الأرض، وشقة في السماء، ثم قالت: كذب ـ والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم ـ من حدث بهذا عن رسول الله ﷺ.

إنما قال رسول الله ﷺ: «كان أهل الجاهلية يقولون: إن الطيرة في الدابة والمرأة والدار، ثم قرأت: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾»[4].

---

(١) أخرجه أبو داود، الطب، باب في الطيرة (٤/ ٢٨)، الموطأ عن يحيى بن سعيد (٢/ ٩٧٣) قال ابن عبد البر: هذا حديث محفوظ، عن أنس وغيره. قال الألباني: حسن، صحيح أبو داود (٢/ ٧٤٣)، وجاء عند البزار عن ابن عمر وعند الطبراني عن سهل بن حارثة. انظر: مجمع الزوائد (٥/ ١٠٤).

(٢) سبق التعريف به (ص٧٧).

(٣) أبو حسان الأعرج، ويقال اسمه: مسلم بن عبد الله. قال عنه الإمام أحمد: مقارب بالحديث. وقال أبو زرعة: لا بأس به. وقيل: إنه يمشي مع الخوارج. انظر: تهذيب التهذيب (١٢/ ٧٦).

(٤) انظر الحديث في: تأويل مختلف الحديث (ص١٠٥)، أحمد (٦/ ٢٤٠)، الحاكم (٢/ ٤٧٩)، شرح مشكل الآثار (٢/ ٢٥٥). قال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٠٤): رجاله رجال الصحيح. قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص (٢/ ٤٧٩): صحيح، وصححه الأرناؤوط في تحقيقه لشرح المشكل وقال: على شرط مسلم (٢/ ٢٢٥).

قول ابن قتيبة:

نرى أن ابن قتيبة رحمه الله اعتمد على توهين عائشة رضي الله عنها للحديث، فلم يعمل به، وقد وافقه ابن عبد البر والطحاوي في ذلك. وبيّن ابن عبد البر، معنى قول عائشة كذب، فقال: (أما قول عائشة في أبي هريرة: كذب والذي أنزل الفرقان، فإن العرب تقول: كذبت، بمعنى غلطت فيما قدرت، وأوهمت فيما قلت، ولم تظن حقاً، ونحو ذلك معروف من كلامهم، موجود في أشعارهم كثيراً، ما قال أبو طالب[1]:

كذبتم وبيت الله نترك مكة ... ونظعن إلا أمركم في بلابل

كذبتم وبيت الله نبزى محمداً ... ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ألا ترى أن هذا ليس من باب الكذب الذي هو ضد الصدق، وإنما هو من باب الغلط وظن ما ليس بصحيح، وذلك أن قريشاً زعموا أنهم يخرجون بني هاشم من مكة إن لم يتركوا جوار محمد ﷺ، فقال لهم أبو طالب: كذبتم - أي غلطتم فيما قلتم وظننتم -)[2].

قول الطحاوي:

وقال الطحاوي[3]: (إن ما روي عنها - أي عائشة رضي الله عنها - مما حفظته عن رسول الله ﷺ من إضافته - أي الرسول ﷺ - ذلك الكلام إلى أهل الجاهلية أولى مما روي من غيرها فيه - أي الطيرة - عنه - أي الرسول ﷺ - في ذلك، ما قصر غيرها عن حفظه عنه فيه، فكانت بذلك أولى من غيرها، لا سيما وقد روي عن رسول الله ﷺ نفي الطيرة)[4].

---

(١) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، عم رسول الله ﷺ، توفي قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاثة. انظر ترجمته في: البداية والنهاية (٣/ ١٢٠)، الأعلام (٤/ ١٦٦).

(٢) التمهيد (٩/ ٢٨٩، ٢٩٠).

(٣) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، الطحاوي الحنفي، صاحب التصانيف، من أهل قرية طي، ولد سنة ٢٣١هـ، برز في الحديث والفقه، توفي سنة ٣٢١هـ. انظر: السير (١٥/ ٢٧)، البداية والنهاية (١١/ ١٧٤).

(٤) شرح مشكل الآثار (١/ ٣٤٠).

واستند كذلك على حديث: إن كان الشؤم في شيء، ففي المرأة، والفرس، والسكن، على نفي كون الشؤم في هذه الثلاثة، فقد قال: (فكان في هذا ما دلّ على أن الشؤم، إن كان في شيء، كان في هذه الأشياء الثلاثة، لا بتحقيق كونها فيها[1]، فنراه اعتمد على كون الحديث جاء بصيغة الشرط دليل على منعه أن يكون هناك شؤم). ولكن ابن القيم رحمه الله بيّن أن الروايتين صحيحتان، فقد قال: (قالت طائفة أخرى: لم يجزم النبي ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة، بل علقه على (الشرط)، فقال: إن يكن الشؤم في شيء ولا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد من مفرديها فقد يصدق التلازم بين المستحيلين، وقالوا: لعل الوهم وقع من ذلك وهو أن الراوي غلط وقال: الشؤم في ثلاثة وإنما الحديث إن كان الشؤم في شيء ففي الثلاثة، قالوا: وقد اختلف على ابن عمر، والروايتان صحيحتان عنه)[2].

ولا يسلم لهما توهين الحديث اعتماداً على تكذيب عائشة رضي الله عنها لأبي هريرة، لأن الحديث له شواهد متعددة، فقد رواه عبد الله بن عمر، وسهل بن سعد، وجابر بن عبد الله، وقد ورد في الصحيحين.

قول ابن القيم:

وقد قال ابن القيم رحمه الله: (ولكن قول عائشة هذا مرجوح، ولها رضي الله عنها اجتهاد في رد بعض الأحاديث الصحيحة خالفها فيه غيرها من الصحابة، وهي رضي الله عنها لما ظنت أن هذا الحديث يقتضي إثبات الطيرة التي هي من الشرك لم يسعها غير تكذيبه ورده، ولكن الذين رووه ممن لا يمكن رد روايتهم ولم يتفرد بهذا أبو هريرة وحده، ولو انفرد به فهو حافظ الأمة على الإطلاق، وكل ما رواه عن النبي ﷺ فهو صحيح، بل قد رواه عن النبي ﷺ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وسهل بن سعد الساعدي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأحاديثهم في الصحيح، فالحق أن الواجب بيان معنى الحديث ومباينته للطيرة الشركية)[3].

ولابن عبد البر، رأي آخر، فقد قال: (وقد يحتمل أن يكون قول

---

(١) شرح مشكل الآثار (١/ ٣٣٩).
(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٥).
(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٤).

رسول الله ﷺ: الشؤم في ثلاثة: في الدار، والمرأة، والفرس، كان في أول الإسلام خبراً عما كانت تعتقده العرب في جاهليتها على ما قالت (عائشة) ثم نسخ ذلك وأبطله القرآن والسنّة.

وأما قوله ﷺ للقوم في قصة الدار: اتركوها ذميمة، فذلك والله أعلم ـ لما رآه منهم، وأنه قد رسخ في قلوبهم ما كانوا عليه في جاهليتهم، وقد كان ﷺ رؤوفاً بالمسلمين، يأخذ عقولهم شيئاً شيئاً، وكذا كان نزول الفرائض والسنن، حتى استحكم الإسلام، وكمل، والحمد لله، ثم بيّن رسول الله ﷺ بعد ذلك لأولئك الذين قال لهم: اتركوها فإنها ذميمة ولغيرهم ولسائر أمته ـ الصحيح بقوله: «لا طيرة ولا عدوى»[1].

قول ابن عبد البر:

فابن عبد البر رحمه الله يقول بالنسخ، حيث كانت الطيرة مباحة من قبل على سبيل التدرج في الأحكام، ثم أتى حديث: «لا عدوى ولا طيرة» فنسخت.

وقد رد عليه ابن حجر في الفتح، فقال: (النسخ لا يثبت بالاحتمال لا سيما مع إمكان الجمع، وقد ورد في نفس هذا الخبر نفي التطير ثم إثباته في الأشياء المذكورة)[2].

وهناك من أثبت الشؤم وفسّر المقصود بها.

قول الإمام الخطابي:

قال الخطابي: (اليمن والشؤم سمتان لما يصيب الإنسان من الخير والشر، والنفع والضر، ولا يكون شيء من ذلك إلا بمشيئة الله وقضائه، وإنما هذه الأشياء محال وظروف جعلت مواقع لأقضية ليس بها بأنفسها وطباعها فعل ولا تأثير في شيء، إلا أنها لما كانت أعم الأشياء التي يقتنيها الناس، وكان الإنسان في غالب أحواله لا يستغني عن دار يسكنها وزوجة يعاشرها، ومؤنس يرتبطه، وكان لا يخلو من غاص مكروه في زمانه ودهره أضيف اليمن والشؤم إليها إضافة مكان ومحل، وهما صادران عن مشيئة الله سبحانه)[3].

وقال: (أما قوله: «إن تكن الطيرة في شيء، ففي المرأة، والفرس، والدار»،

---

(١) التمهيد (٩/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).
(٢) فتح الباري (٦/ ٦١).
(٣) أعلام المحدثين للخطابي (٢/ ١٣٧٩).

فإن معناه إبطال مذهبهم في الطيرة بالسوانح والبوارح من الطير والظباء ونحوها).

إلا أنه يقول: (إن كان لأحدكم دار يكره سكناها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس لا يعجبه الارتباط بها، فليفارقها، بأن ينتقل عن الدار، ويبيع الفرس، وكأن محل هذا الكلام محل استثناء الشيء من غير جنسه وسبيله سبيل الخروج من كلام إلى غيره)[١].

فكان الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوضح أن الشؤم ليس مقصوراً على هذه الأشياء فقط، وإنما خصت بالذكر هنا، لأن هذه الأشياء الأكثر التصاقاً بالإنسان.

قول الإمام القرطبي:

وكذلك قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا يظن أن الذي رخص فيه من الطيرة في هذه الثلاثة هو على نحو ما كانت الجاهلية تعتقد كأنها كانت لا تقدم على ما تطيرت به ولا تفعله بوجه، فإن هذا الظن خطأ، وإنما معنى ذلك أن هذه الثلاثة المذكورة أكثر ما يتشاءم الناس ويتطيرون بها لملازمتها، الفرس التي يرتبطونها للجهاد ونحوه، والمرأة التي يتزوجونها خصوصاً إن جاء منها أولاد، والدار التي يسكنونها)[٢].

فمن وقع له شيء من ذلك فقد أباح الشرع له أن يتركه ويستبدل به غيره، مما تطيب به نفسه ويسكن له خاطره ولم يلزمه الشرع أن يقيم في موضع يكرهه أو يستمر مع امرأة يكرهها، بل قد فسح له في ترك ذلك كله ببيع وعتق وطلاق ونحو ذلك[٣].

قول الإمام ابن العربي:

كذلك ابن العربي، قال[٤]: (الحصر فيها بالنسبة للعادة لا بالنسبة إلى الخلق)[٥].

بينما طائفة أقرت وجود الشؤم ولكن المنفي منه هو الصورة التي كانت عليه في الجاهلية، بينما الطيرة والعدوى والهامة والصفر في الحقيقة موجودات

---

(١) معالم السنن في كتاب سنن أبي داود (٤/ ٢٣٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢٨).

(٣) انظر: بذل المجهود في حل سنن أبي داود (١٦/ ٢٥٠).

(٤) أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي، الإمام العلامة، توفي سنة ٥٤٣هـ.
السير (٣/ ١٩٧)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٣٢).

(٥) فتح الباري (٦/ ٦١).

ولكن نفي الرسول ﷺ نفي الصفة المخالفة للشرع واعتقاد أنها تضر من ذات نفسها وليس من الله ﷻ.

قول الإمام الطيبي:

قال الطيبي[١]: («لا» التي لنفي الجنس دخلت على المذكورات ونفت ذواتها وهي غير منفية، فيوجه النفي إلى أوصافها وأحوالها التي هي مخالفة للشرع فإن العدوى وصفر والهامة موجود والمنفي هو ما زعمت الجاهلية لا إثباتها، فإن نفي الذات لإرادة نفي الصفات أبلغ في باب الكناية)[٢].

وهناك طائفة أخرى أقرت وجود الشؤم فقط، فهي بمعنى الاستثناء، فالطيرة منفية ما عدا هذه الأشياء الثلاثة.

قال في عون المعبود: (المعنى أن فرض وجودها تكون في هذه الثلاثة وتؤيده الرواية التالية[٣]، والمقصود منه نفي صحة الطيرة على وجه المبالغة فهو من قبيل قوله ﷺ: «لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين»[٤]، فلا نافية حينئذ عموم نفي الطيرة في هذا الحديث وغيره.

وقيل: أن تكن بمنزلة الاستثناء، أي: لا تكون الطيرة إلا في هذه الثلاثة فيكون إخباراً من غالب وقوعها، وهو لا ينافي ما وقع من النهي عنها)[٥].

وكذلك قال في النهاية: (أي أن ما كان يكره ويخاف عاقبته، ففي هذه الثلاثة وتخصيصه لها لأنه لما أبطل مذهب العرب في التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء ونحوها، قال: فإن كانت لأحدكم داراً يكره سكناها أو امرأة يكره ارتباطها فليفارقها، بأن ينتقل عن الدار، ويطلق المرأة، ويبيع الفرس)[٦].

قول القاضي:

قال القاضي، فيما نقله عنه النووي ـ رحمهم الله ـ قال بعض العلماء:

---

(١) سبق ترجمته (ص١٧٠).
(٢) فيض القدير (٦/ ٤٢٤).
(٣) حديث ابن عمر: (لا عدوى ولا طيرة إنما الشؤم في ثلاث).
(٤) أخرجه مسلم، السلام، باب الطب والمرض والرقى (١٢/ ١٧١) عن ابن عباس، الترمذي، الطب، باب ما جاء في أن العين حق والغسل لها (٤/ ١٥).
(٥) عون المعبود (١٠/ ٤١٨).
(٦) النهاية (٢/ ٥١٠ ـ ٥١١).

الجامع لهذه الفصول السابقة في الأحاديث ثلاثة أقسام:

الأول: ما لم يقع الضرر به، ولا اطردت عادة خاصة ولا عامة، فهذا لا يلتفت إليه، وأنكر الشرع الالتفات إليه وهو الطيرة.

الثاني: ما يقع عنده الضرر عموماً لا يخصه ونادراً لا متكرراً كالوباء فلا يقدم عليه ولا يخرج منه.

الثالث: ما يخص ولا يعم كالدار والفرس والمرأة فهذا يباح الفرار منه، والله أعلم[1].

ولكن يتبادر إلى الذهن سؤال، كيف تكون المرأة مشؤومة والدار والفرس، وهل جميع النساء والدور والدواب مشؤومة، وقد أجاب على ذلك العلماء.

فقالوا بالنسبة إلى كيفية الشؤم بأن تكون المرأة غير ولود، والفرس لا يغز عليها، والدار جارها سوء. فعن معمر[2] قال: (سمعت من فسر هذا الحديث يقول: شؤم المرأة إذا كانت غير ولود، وشؤم الفرس إذا لم يغز عليها، وشؤم الدار جار السوء)[3].

قول الإمام الحليمي:

وفسّره الحليمي رحمه الله بشؤم الفرس: صعوبة رأسه ومنع جانبه، وشؤم المرأة: صلافتها وسوء خُلقها، وشؤم الدار: شر جوارها وضيق فنائها.

فقد قال: (أما معنى الحديث ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «شؤم الفرس: صعوبة رأسه ومنع جانبه، وشؤم المرأة: صلافتها وسوء خلقها، وشؤم الدار: شر جوارها وضيق فنائها»)[4].

فبان بهذا أن الشؤم الذي وصفت به هذه الثلاثة إنما هو المضار والمفاسد

---

(١) انظر: مسلم بشرح النووي (١٤/ ٢٢٢)، وانظر: المنتقى للإمام الباجي (ص٢٩٥).

(٢) الإمام الحافظ أبو عروة بن أبي عمرو الأزدي، مولاهم البصري، نزيل اليمن، ولد سنة ٩٥هـ، طلب العلم وهو حدث، كان من أوعية العلم، مع الصدق والتحري والورع والجلالة وحسن التصنيف، مات سنة ١٥٣هـ.
انظر: السير (٧/ ٥)، ميزان الاعتدال (٤/ ١٥٤).

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ٤١١).

(٤) المنهاج للحليمي (٢/ ٢١ ـ ٢٢)، والحديث يأتي تخريجه عن أسماء (ص١٨٦).

وليس من قبيل الطيرة والله أعلم، كما أن الفرار من الأسد لخوف افتراسه والتباعد من النار لخوف إحراقها لا من قبيل التطير[١].

فتبين لنا أن الإنسان قد تلحقه المصائب عندما يقترن بهذه الزوجة أو هذه الدار أو تلك الدابة، ولكن هذا ليس لمجرد الاقتران بها إنما لأنه لم يختر الزوجة الصالحة أو الدار الحسنة، كما أمر سيدنا إبراهيم عليه السلام ابنه أن يغير عتبة بيته عندما أكثرت امرأته من التشكي، وأمره أن يمسك عتبة بيته عندما رأى القناعة والرضى من الزوجة الأخرى.

وقد ترجم لها البخاري، بباب ما يتقى من شؤم المرأة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾[٢]، كأنه يشير إلى اختصاص الشؤم ببعض النساء دون بعض بما دلت عليه الآية من التبعيض.

قول الإمام ابن حجر:

قال ابن حجر: وقد جاء في الحديث ما... يفسر ذلك وهو ما أخرجه أحمد وصححه ابن حبان[٣] والحاكم[٤] من حديث سعد[٥] مرفوعاً: «من سعادة ابن آدم ثلاثة: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء»[٦].

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٢).
(٢) سورة التغابن: الآية (١٤).
(٣) سبق ترجمته (ص١٣٢).
(٤) محمد بن عبد بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، الإمام الحافظ الناقد العلامة، شيخ المحدثين صاحب التصانيف الشافعي، صنّف وخرّج وجرّح وعدّل وصحّح وعلّل، وكان من بحور العلم على تشيع قليل فيه، توفي سنة ٤٠٥هـ.
انظر ترجمته في: السير (١٧/ ١٦٢)، ميزان الاعتدال (٣/ ٦٠٨).
(٥) ابن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، أبو سعيد الخدري، له ولأبيه صحبة، استُصغر بأحد، ثم شهد ما بعدها، وروى كثير، مات بالمدينة سنة ٦٣هـ، وقيل: أربع وسبعين تقريباً. تقريب التهذيب (١/ ٢٨٩).
(٦) فتح الباري (٩/ ١٣٨). وانظر الحديث في: المسند (١/ ١٦٨)، واللفظ له، ابن حبان رقم (٤٠٢١) بلفظ: (أربع من السعادة). الحاكم (٤/ ١٦٧) بمعناه، صححه ابن حبان والحاكم، ووافقه الذهبي والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٦٦١)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٧٢): رجال أحمد رجال الصحيح، والألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٥٠٦).

وعن أسماء بنت عميس[1]، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن من شقاء المرء في الدنيا ثلاث: سوء الدار، وسوء المرأة، وسوء الدابة»، قالت: يا رسول الله، ما سوء الدار، قال: «سوء مساحتها وخبث جيرانها»، قيل: فما سوء الدابة؟ قال: «منعها ظهرها، وسوء خلقها»، قيل: فما سوء المرأة؟ قال: «عقم رحمها، وسوء خلقها»[2].

قال الشيخ تقي الدين السبكي[3] فيما نقله عنه ابن حجر - رحمهم الله -، تعليقاً على ترجمة البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: حديث (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء، بعد حديث الشؤم). إشارة إلى تخصيص الشؤم بمن تحصل منها العداوة والفتنة، لا كما يفهمه بعض الناس من التشاؤم بكعبها أو أن لها تأثيراً في ذلك، وهو شيء لا يقول به أحد من العلماء، ومن قال أنها سبب في ذلك فهو جاهل، وقد أطلق الشارع على من ينسب المطر إلى النوء الكفر فكيف بمن ينسب ما يقع من الشر إلى المرأة مما ليس لها فيه دخل، وإنما يتفق قضاء الله وقدره بتنفر النفس من ذلك، فمن وقع له ذلك فلا يضره أن يتركها من غير أن يعتقد نسبة الفعل إليها[4].

قول الإمام الحكمي:

وقال الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: (المراد به الأمر المحسوس المشاهد العاقر التي لا تلد أو اللسنة المؤذية، أو الوضيعة المشرب، أو السيئة الجيران وما في معنى ذلك،

---

(١) أسماء بنت عميس بن معبد بن الحارث الخثعمية، أم عبد الله، من المهاجرات الأول، أسلمت قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر بها زوجها جعفر الطيار إلى الحبشة، تزوجها أبو بكر بعد وفاة زوجها في مؤتة، ثم تزوج بها علي بن أبي طالب، عاشت بعد علي بن أبي طالب.
انظر ترجمتها: السير (٢/ ٢٨٢)، الإصابة (١٢/ ١١٦).

(٢) رواه الطبراني، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (٥/ ١٠٥)، وقال: فيه من لم أعرفهم.

(٣) تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي، الأنصاري الخزرجي أبو الحسن، أحد الحفاظ المفسرين المناظرين، ولد في سبك، توفي في القاهرة (ص٧٥٦).
من مؤلفاته: السيف المسلول على من سب الرسول، الابتهاج في شرح المنهاج.
انظر ترجمته في: الأعلام (٤/ ٣٠٢)، طبقات الشافعية (٦/ ١٤٦).

(٤) انظر: فتح الباري (٩/ ١٣٨).

وكذا الدابة التي لا تلد ولا نسل لها أو الكثيرة العيوب، الشينة الطبع، وما في معنى ذلك. فهذا كله شيء ضروري مشاهد معلوم ليس هو من باب الطيرة المنفية، فإن ذلك أمر آخر عند من يعتقده ليس من هذا لأنهم يعتقدون أنها نحس على صاحبها لذاتها، لا لعدم مصلحتها وانتفائها فيعتقدون أنه إن كان غنياً افتقر ليس بتبذيرها، بل لنجاستها عليه وأنه إن يأخذها يموت بمجرد دخولها عليه لا بسبب محسوس، بل عندهم أن لها نجم لا يوافق نجمه بل ينطحه ويكسره وذلك من وحي الشيطان يوحيه إلى أوليائه[1]، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾[2].

فالحاصل: أن هذه الثلاثة قد يجعلها الله أسباباً ويقدر عندها الشؤم.

قول الإمام ابن رجب:

قال ابن رجب: (إن هذه الثلاث أسباب يقدر الله تعالى بها الشؤم واليمن ويقرنه بها، ولهذا يشرع لمن استفاد زوجة أو أمة أو دابة أن يسأل الله تعالى من خيرها وخير ما جُبلت عليه، ويستعيذ من شرها وشر ما جبلت عليه، كما في حديث عمرو بن شعيب[3]، فترك ما لا يجد الإنسان فيه بركة من دار أو زوجة أو دابة، غير منهي عنه)[4].

وبالجملة فأخباره ﷺ بالشؤم أنه يكون في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعياناً مشؤومة على من قاربها وساكنها وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولداً مباركاً يريان الخير على وجهه ويعطي غيرهما ولداً مشؤوماً نذلاً يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية أو غيرها فكذلك الدار والمرأة والفرس، والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركة ويقضي سعادة من قارنها وحصول اليمن له والبركة، ويخلق بعض ذلك نحوساً يتنحس بها من قارنها،

---

(١) معارج القبول (٢/٣٢٢).
(٢) سورة الأنعام: الآية (١٢١).
(٣) الحديث: (إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادماً، فليقل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه). الحديث أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد.
(٤) لطائف المعارف، لابن رجب (ص١٥٠).

وكل ذلك بقضائه وقدره كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة، فكما خلق المسك وغيره من حال الأرواح الطيبة ولذّذ بها من قارنها من الناس، وخلق ضدها وجعلها سبباً لإيذاء من قارنها من الناس، والفرق بين هذين النوعين يدرك بالحس، فكذلك في الدار والنساء والخيل فهذا لون، والطيرة الشركية لون آخر[١].

سبب قول الرسول اتركوها فإنها ذميمة:

ولكن قد يقال: إذا قلتم أن ليس هناك طيرة، لماذا أمر الرسول ﷺ أهل الدار أن يتركوا دارهم ما دام ليس هناك شؤم ذاتي في الدار أو المرأة أو الفرس، فأجاب العلماء، منهم الخطابي، وابن مفلح، وابن القيم، وابن قتيبة[٢]، ونكتفي في هذا المقام بما ذكره ابن القيم رحمه الله حيث قال:

(ليس هذا من الطيرة المنهي عنها، وإنما أمره ﷺ بالتحول عنها عندما وقع في قلوبهم منها لمصلحتين ومنفعتين:

الأولى: مفارقتهم لمكان وهم مستثقلون ومنه مستوحشون لما لحقهم فيه ونالهم ليتعجلوا الراحة مما داخلهم من الجزع في ذلك المكان والحزن والهلع، لأن الله عز وجل قد جعل في غرائز الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم الشر فيه، وإن كان لا سبب له في ذلك وجب ما جرى لهم على يديه الخير، وإن لم يردهم به فأمرهم بالتحول مما كرهوه، لأن الله عز وجل بعثه رحمة ولم يبعثه عذاباً وأرسله ميسراً ولم يرسله معسراً، فكيف يأمرهم بالمقام في مكان قد أحزنهم المقام به واستوحشوا عنده لكثرة من فقدوه فيه لغير منفعة ولا طاعة ولا مزيد تقوى وهدى، ولا سيما لطول مقامهم فيها بعدما وصل إلى قلوبهم، منها ما وصل قد يبعثهم ويدعوهم إلى التشاؤم والتطير فيوقعهم ذلك في أمرين عظيمين:

الأول: مقاربة الشرك.

الثاني: حلول مكروه أحزنهم بسبب الطيرة التي إنما تلحق المتطير.

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٧).

(٢) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٣٨٣)، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص٧١، ٨٢)، معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٣٦).

فحماهم ﷺ بكمال رأفته ورحمته من هذين المكروهين بمفارقة تلك الدار، والاستبدال بها من غير ضرر يلحقهم بذلك في دنيا ولا نقص في دين)[(١)].

فالطيرة بمعنى الشؤم الذاتي والنحوسية الخلقية منفية، إنما الشؤم المثبت هو ما يلحق من المضار أحياناً، أو قلة الجدوى في بعض أفرادها نسبة إلى البعض الآخر منها فغير منفي. فالنفي والإثبات راجعان إلى شيئين لا إلى شيء واحد، كما سبق في حديث: «لا عدوى»، وحديث: «فرّ من المجذوم فرارك من الأسد»، وحديث: «لا يورد ممرض على مصح». فكما أن العدوى لا تنتقل بنفسها إنما جعلها الله سبباً من الأسباب، فكذلك الطيرة التي نفاها الرسول ﷺ وأثبت الشؤم في المرأة والدار والدابة، أي: أنه قد يكون ما أصاب الإنسان من أذى بسبب هذه المرأة العاصية أو الدار الضيقة أو إلى غير ذلك وليس لشؤم ذاتي ـ والله أعلم ـ.

ومما يذكر في هذا الباب، أن رجلاً كان يشعوذ على الناس فيفرق بين المرء وزوجه بعلة عدم المناسبة بين الزوجين، وأنها نحس عليه وإن أخذها افتقر أو يموت ليس لسبب محسوس، بل عندهم أن لها نجماً لا يوافق نجمه، فتنبه له بعض العامة ممن يحضر مجالس الذكر ويسمع ذم المنجمين وتكذيبهم بالآيات والأحاديث، فقال له: إني أريد أن أنكح امرأة، ما ترى فيها؟ هل هي سعد لي أو نحس عليّ؟ فعرض ذلك على قواعده الشيطانية، ثم قال له: دعها فإنك إن أخذتها لا تبلي معها ثوباً ـ يعني يموت سريعاً لا تطول معها صحبة ـ وكانت تلك المرأة التي سأله عنها وسماها له هي زوجته، وقد طالت صحبته معها وله منها خمسة من الأولاد، فدعاهم كلهم بأسمائهم حتى حضروا، فقال له: هؤلاء أولادي منها.

ولهذا نظائر كثيرة من خرافاتهم. والمقصود أن الشؤم المثبت في هذا الحديث أمر محسوس ضروري مشاهد، ليس من باب الطيرة المنفية التي يعتقدها أهل الجاهلية ومن وافقهم[(٢)].

دعاء يدفع شؤم الثلاث:

وقد أرشد الرسول ﷺ إلى دعاء يدعو الله به إذا ما تزوج امرأة أو اشترى

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٨).

(٢) انظر: معارج القبول (٢/ ٣٢٢، ٣٢٣).

خادماً أو دابة. فقد روى النسائي[1]، وابن ماجه[2]، والحاكم[3]، والذهبي[4]، والبيهقي[5]، والبغوي[6]، عن عمرو بن شعيب[7]، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادماً، فليقل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه، وإذا اشترى بعيراً فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك»[8].

❑ ❑ ❑

---

(١) أحمد بن شعيب بن علي بن سنان، أبو عبد الرحمن الخراساني، صاحب السنن، طلب العلم في صغره، وكان من بحور العلم مع الفهم والإتقان ونقد الرجال وحسن التأليف، توفي سنة ٣٠٣هـ. انظر: السير (٩/ ١٤٥).

(٢) محمد بن يزيد الريفي القزويني أبو عبد الله، ابن ماجه، أحد أئمة الحديث، من أهل قزوين، صنّف سنن ابن ماجه.
انظر ترجمته في: السير (١٣/ ٢٧٧)، الأعلام (٧/ ١٤٤).

(٣) سبق التعريف به (ص١٨٥).

(٤) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، له عدة مؤلفات منها: ميزان الاعتدال، سير أعلام النبلاء، توفي سنة ٧٤٨هـ.
انظر ترجمته في مقدمة كتابه: سير أعلام النبلاء (١/ ١٢).

(٥) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، سمع وهو ابن خمسة عشر، وبورك له في علمه، وصنّف التصانيف النافعة بها: السنن الكبرى، كتاب الأسماء والصفات، والترغيب والترهيب وغيرها، توفي سنة ٤٥٨هـ.
انظر: السير (١٨/ ١٦٣)، الكامل في التاريخ (١٠/ ٥٢).

(٦) سبق التعريف به (ص١٣١).

(٧) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، القرشي السهمي، أبو إبراهيم، ويقال: أبو عبد الله، مات سنة ١٢٨هـ.
انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٤٣).

(٨) سنن النسائي، في عمل اليوم والليلة (ص٩٢)، وسنن أبي داود، كتاب النكاح، باب في جامع النكاح (٢/ ٢٤٨).

المبحث الثاني

الطيرة على من تطيَّر

ومن خلال حديثنا عن الشؤم ونفيه، نرى أنهم يجعلون طير الطائر أو مرور إنسان أو رؤية شخص أو غير ذلك سبباً، فيما أصابهم من مصيبة أو سبباً لما سيحدث لهم بعد ذلك.

ولكن الحقيقة أن مصدر الخير والشر هو من الله، ولكن قد يكون ما أصاب من شر هو بسبب الذنوب والمعاصي، لا بسبب غراب، أو بومة، أو أعور، أو غير ذلك.

فإن كان هناك شؤم حقيقي فهو من المعاصي والآثام. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[2].

أخبرنا الله تعالى بمقتضى هذه الآيات الكريمة، أن ما يصيبنا من المصائب إنما هو بشؤم ذنوبنا وسوء ضمائرنا، وفساد قلوبنا، وأن الإيمان والتقوى أكبر أسباب النجاح والفوز والفلاح.

فاليوم الذي يوفق فيه الشخص للعمل الصالح هو أسعد الأيام، واليوم الذي يرتكب فيه الذنوب والآثام هو أشأم الأوقات والأيام.

فلا ينبغي للمسلم أن يكون جباناً يرجع عن الأمر المهم بمجرد لفظة تدل على الخسارة، أو أن يكون أحمق يهجم على الأمر بسماع لفظة تدل على النجاح أو العمارة: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا

---

(١) سورة الشورى: الآية (٣٠).
(٢) سورة الأعراف: الآية (٩٦).

كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ [(١)].

فالخوف لا يكون من سماع حدأة أو غراب، إنما الخوف من عمل المعاصي، فقد يصيب الإنسان الضرر عقوبة له بسبب ذنوبه أو بسبب تطيره.

لذلك سوف نعرض لشبهة أخرى، وهي قوله ﷺ: «لا طيرة والطيرة على من تطير»[(٢)].

فقد يقال: إن هذا الحديث يثبت أن للتطير أثراً حقيقياً وهو شيء محسوس فمن تطير يصيبه ما تطير به.

دحض الشبهة:

يرد على هذا من عدة وجوه:

أولاً: هذا الحديث فيه عتبة بن حميد[(٣)]، قال عنه أبو حاتم[(٤)]: صالح الحديث وذكره في الثقات.

قال أحمد[(٥)]: ضعيف ليس بالقوي.

قال الذهبي[(٦)]: شيخ.

وقال الحافظ[(٧)]: في التقريب: صدوق له أوهام[(٨)].

فعلى الرغم من تفرد ابن حبان برواية الحديث، ففيه كذلك رجل متكلم فيه فلا يقبل حديثه لمخالفة ما هو أصح منه.

---

(١) سورة النحل: الآية (١١٢).

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ٦٤٢)، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٦/ ٩٨) قال الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٣) عتبة بن حميد الضبي أبو معاذ، ويقال: أبو معاوية البصري، قيل عنه: أنه ضعيف وليس بالقوي ولم يشتبه حديثه، وقال أبو حاتم: صالح الحديث وذكره في الثقات. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٧/ ٨٨).

(٤) أي: ابن حبان.

(٥) سبق التعريف به (ص٢٥).

(٦) سبق التعريف به (ص١٩٠).

(٧) الحافظ، أي: ابن حجر، سبق التعريف به (ص٥٧).

(٨) انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٣/ ٤٩٢)، تقريب التهذيب (٢/ ٤)، ميزان الاعتدال (٣/ ٢٨).

ثانياً: هذا الحديث لم يروه إلا ابن حبان[1] في صحيحه، فقد قال: أخبرنا أحمد بن يحيى بن زهير، قال: حدثنا يوسف بن موسى القطان، قال: حدثنا مالك بن إسماعيل، قال: حدثنا زهير بن معاوية عن عتبة بن حميد، قال: حدثني عبيد بن أبي بكر، أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا طيرة والطيرة على من تطير، وإن تكن في شيء ففي الدار والفرس والمرأة»[2].

وأخرجه الطحاوي[3] في شرح معاني الآثار من طريق فهد عن أبي غسان بهذا الإسناد[4].

فنرى هذا الحديث لم يروه أصحاب الصحاح أو السنن، بل ورد ما يعارض هذا الحديث فيعتبر هذا الحديث مرجوحاً لمخالفته الأحاديث الصحيحة[5]، فيقدم ما اتفق على إخراجه الشيخين على غيره[6].

ثالثاً: ربما يكون هذا الحديث أثر عن ابن مسعود، لأن النخعي[7] قال: قال عبد الله بن مسعود: (لا تضر الطيرة إلا من تطير)[8]، أو تفسيراً من ابن مسعود للحديث بالمقصود بقوله: الطيرة على من تطير بأن المقصود بها الطيرة المضرة. قال ابن رجب: معنى هذا أن من تطير تطيراً منهياً عنه، وهو أن يعتمد على ما يسمعه أو يراه مما يتطير به حتى يمنعه مما يريد من حاجته فإنه قد يصيبه

---

(١) سبق التعريف به (ص١٣٢).

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٧/ ٤٩٣).

(٣) أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر، فقيه، ولد ونشأ في طحا في مصر، توفي سنة ٣٢١هـ. من مؤلفاته: شرح معاني الآثار.
انظر ترجمته في: البداية والنهاية (١١/ ١٧٤)، والأعلام (١/ ٢٠٦).

(٤) شرح معاني الآثار (٤/ ٣١٤).

(٥) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي (١/ ٢٠٢).

(٦) مثل حديث: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة).

(٧) إبراهيم النخعي بن تمام بن القاضي حفص بن غياث، المحدث الصادق، أبو محمد النخعي الكوفي، قيل اسمه عبد الله، ولد سنة ٢٢١هـ، مات سنة ٢٩٧هـ.
تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٦٠)، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٥)، السير (١٣/ ٥٥٨).

(٨) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٤٠) كتاب الآداب.

ما يكرهه، فأما من توكل على الله، ووثق به، بحيث علق قلبه بالله خوفاً ورجاءً، وقطعه عن الالتفات إلى هذه الأسباب المخوفة وقال ما أمر به من هذه الكلمات ومضى فإنه لا يضره ذلك[1].

(عن سعيد بن سالم عن أبيه أنه كان يعجب ممن يصدق بالطيرة ويعيبها أشد العيب وقال: خرجت لنا ناقة وأنا بالطائف ركبت في أثرها فلقيني هاني بن عبيد من بني وائل وهو مسرع وهو يقول: الشرع يلقي مطالع الأكم[2]، ثم لقيني آخر من الحي وهو يقول:

ولئن بغيت لهم بغاة ... ما البغاة بواجدينا

ثم دفعنا إلى غلام قد وقع في صغره في نار فأحرقته فقبح وجهه وفسد فقلت له: هل ذكرت من ناقة فارق؟ قال: هاهنا أهل بيت من الأعراب فانظر، فنظرت فإذا هي عندهم وقد نتجت)[3]، فلان الرجل لم يلتفت لما حدث له وسمع ورأى فإنه لم يصب بشيء، إنما وجدت ناقته قد أنتجت.

رابعاً: حتى لو كان هذا الحديث صحيحاً وهو من كلام رسول الله ﷺ فهو لا يعارض قول الرسول ﷺ، لأنه لو كان الحديث يعارض قول الرسول، لكان الحديث ينفي بعضه بعضاً، لأن الرسول ﷺ قال: «لا طيرة»، ثم قال: «الطيرة على من تطير»، فلا بد أن يكون للحديث معنى يزيل ما يلبس به علينا وقد فسّره بعض السلف.

تفسير السلف للحديث:

فقد قال الطحاوي[4]: (إنه لا تضاد فيه كما نظن ذلك من قوله لا طيرة على نفيها، وقوله بعد ذلك ما تطير به على نفسه في حقيقة، ولكن معناه إثمه على نفسه لأن الطيرة شرك[5]، كما أخبر رسول الله ﷺ)[6].

---

(١) لطائف المعارف ابن رجب (ص١٤٤)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (ص٤٢٨، ٤٢٩).
(٢) الأكم: التل أو الموضع الذي يكون أكثر ارتفاعاً. مطالع: موضع طلوع الكواكب. المنجد (١/ ٤٦٩).
(٣) مفتاح دار السعادة (٣/ ٢٦٦)، والفارق التي ضلت فارقت صواحبها.
(٤) سبق التعريف به (ص١٧٩).
(٥) حديث الطيرة شرك وما منا إلا . . . ولكن يذهبه الله بالتوكل.
(٦) مشكل الآثار (٣/ ١٠٩).

وقال ابن عبد البر[1]: (لو كان كما ظننت لكان هذا الحديث ينفي بعضه بعضاً لأن قوله: «لا طيرة»، نفي لها، وقوله: «والطيرة على من تطير» إيجاب لها. وهذا محال أن يظن بالنبي ﷺ مثل هذا من النفي والإثبات في شيء واحد ولكن المعنى في ذلك: نفي التطير، بقوله: «لا طيرة»، وأما قوله: (الطيرة على من تطير) فمعناه: إثم الطيرة على من تطير بعد علمه بنهي رسول الله ﷺ عن الطيرة)[2].

سأل بعض المتطيرين بعض العلماء، فقال له: إنني لا أتطير، فلا ينخرم على ذلك بل يقع الضرر بي، وغيري يقع له مثل ذلك السبب فلا يجد منه ضرراً، وقد أشكل ذلك علي: فهل لهذا أصل في الشريعة؟ فقال له: نعم، قوله ﷺ حكاية عن الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»، وفي بعض الطرق: «فليظن بي خيراً»[3]. وأنت تظن أن الله تعالى يؤذيك عند ذلك الشيء الذي تطيرت منه فتسيء الظن بالله ﷻ فيقابلك الله على سوء ظنك به بإذايتك بذلك الشيء الذي تطيرت به، وغيرك لا يسيء ظنه بالله تعالى، ولا يعتقد أنه يحصل له ضرر عند ذلك فلا يعاقبه الله تعالى فلا يتضرر[4].

فمن ترك ما أراد أن يعمله معتقداً أنه إن فعله حل به المكروه، كان ذلك شركاً، ومن مضى على عزمه خائفاً حقّت عليه الطيرة، لا لأنها حق في نفسها لكنها تحق عليه عقوبة له من هذا الوجه، وهو أن الله ﷻ يحق ذلك عقوبة لهم على تطيرهم وشركهم بالله، فهذا هو المنهي عنه.

وعليه فإن أصل الطيرة والتطير باطل والناس منهيون عن الباطل، مأمورون إذا أرادوا سفراً أو غيره، أن يحتاطوا لأنفسهم من الوجوه التي يشهد بصحتها العقل دون ما لا يوجد له في المعقول أصل، ثم يتوكلوا على الله ﷻ لما يريدون.

فالطيرة لا علاقة بينها وبين نجاح الأمور أو خيبتها، وقد يقع ما أخبر به أو ظن عقوبة من الله، لأنه أساء الظن بالله أو ابتلاء منه، والمؤمن عرضة للبلاء.

---

(١) سبق التعريف به (ص٦٤). (٢) التمهيد لابن عبد البر (٩/ ٢٨٤).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (١٣/ ٣٨٢ ـ فتح)، ومسلم في الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله (١٧/ ١ ـ نووي).
(٤) انظر: المنهاج للحليمي (٢/ ٢١)، والفروق للقرافي (٤/ ٢٣٨).



الفصل الخامس

علاج التطير وكيفية التحرز منه

وفيه مباحث:

المبحث الأول: التوكل.

المبحث الثاني: الدعاء.

المبحث الثالث: حسن الظن بالله.

المبحث الرابع: فعل الأسباب الجائزة.

المبحث الخامس: سد الذرائع المؤدية للتطير.

المبحث الأول

التوكل

الناظر المتأمل في الشريعة الإسلامية بعين البصيرة، يؤمن إيماناً كاملاً بهذه الآية: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[1].

ومن ذلك: أن الله ـ جل وعلا ـ جعل لكل داء دواء، وكما يتغلب الإنسان على الأمراض بالأدوية والعلاج، كذلك يمكن التغلب على التطير.

ولكن ليس بالذبائح كما يفعل بعض الجهال في الوقت الحاضر، فقد جرت العادة ـ عند بعض الناس ـ بذبح ذبيحة أو عدة ذبائح عند زفاف العروس إلى بعلها[2]، ووصولها عتبة بيته طرداً للأرواح الشريرة وإرضاء لها، وكذلك عند الانتقال إلى دار جديدة، وهذا لا يخفى ما فيه من الشرك، حيث أن الذبح نوع من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله ﷻ، ومن صرفها لغيره فقد أشرك. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[3].

وفي الصفحات السابقة بيّنّا المرض الذي ابتلي به كثير من الناس، وفيما يلي نبيّن العلاج ـ بإذن الله ـ وأوله التوكل.

التوكل:

وهو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به.

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٣٨).

(٢) وهي غير الوليمة التي تذبح في العرس، إنما هي ذبائح تذبح وتقوم العروس بالسير على الدم حتى تتبارك ولا يحدث لزوجها انفصال.

(٣) سورة الأنعام: الآية (١٦٢).

فتوكل اللسان شيء، وتوكل القلب شيء، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيء، وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شيء، فقول العبد: توكلت على الله مع اعتماد قلبه على غيره مثل قوله: تبت إلى الله وهو مصر على معصيته مرتكب لها[١].

ولا نقول كما قالت الصوفية[٢]: لا يستحق اسم التوكل إلا من لم يخالط قلبه خوف غير الله تعالى، حتى لو هجم عليه الأسد لا ينزعج، وحتى لا يسعى في طلب الرزق، لكون الله ضمنه له.

حقيقة التوكل:

بل إن التوكل يحصل، بأن يثق بوعد الله، ويؤمن أن قضاءه واقع، ويتم اتباع السنّة في ابتغاء الرزق، مما لا بد منه من مطعم ومشرب وتحرز من عدو بإعداد السلاح وإغلاق الباب، ونحو ذلك، ومع ذلك فلا يطمئن إلى الأسباب بقلبه بل يعتقد أنها لا تجلب بذاتها نفعاً ولا تدفع ضراً، بل السبب والمسبب فعل الله تعالى، والكل بمشيئته، فإذا وقع من المرء ركون إلى السبب قدح في توكله[٣].

ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾[٤]، فإن فيه أن الذين تخوفوا بجمع أهل مكة لقتالهم لم يخافوهم لكثرة عددهم لأنهم وثقوا من الله بأنه لا يخذل نبيه ﷺ من نصره ومعونته، فقد كانوا شاهدوا ذلك يوم بدر[٥] واستيقنوه،

---

(١) انظر: الفوائد لابن القيم (ص٨٧).

(٢) اختلف في سبب تسميتهم في الصوفية، ولعل أرجحها أنه نسبة إلى الصوف الذي كانوا يرتدونه وعرفوا بلبسه كناية عن الزهد، وظهر لفظ صوفي في القرن الثاني للهجرة، كان التصوف يدور في أول عهده مع العبادة والزهد بالدنيا، ثم تأثر بالفلسفة وبالنصرانية والمانوية حتى قالوا بوحدة الوجود.
انظر: موسوعة الفرق الإسلامية، د. محمد جواد مشكور (ص٣٥٥)، وموسوعة الفرق والملل والمذاهب الإسلامية، عبد المنعم الحفني (ص٢٨٠).

(٣) انظر: الفتح (١١/ ٤١٠) بتصرف.

(٤) سورة آل عمران: الآية (١٧٢).

(٥) وقعت في رمضان بين الرسول ﷺ وقريش، حينما علم الرسول ﷺ أن عيراً لقريش مقبلة من الشام مع أبي سفيان فيها أموال قريش، فخرج مسرعاً في ثلاثمائة وبضع عشرة رجلاً، وكان النصر حليف المسلمين، حيث أرسل الله إليهم ملائكته تثبت قلوبهم.
انظر: مختصر سيرة الرسول ﷺ، للإمام محمد بن عبد الوهاب (ص١٣٦) وما بعدها.

ففوضوا أمرهم إلى الله جل ثناؤه، ووطنوا أنفسهم على القتال إن حضر العدو، فكانوا بذلك جامعين بين التسبب وبين التوكل على الله، والتفويض إليه، ولم يبقوا في بيوتهم متربصين أنهم إن حضروا تولى الله جل ثناؤه كفايتهم إياهم وصدهم عنهم ولا كان ذلك مما أذن لهم فيه من أن يولوا ويتوبوا إليه، فعلمنا أن التوكل ليس في قطع الأسباب، لكن في استعمال الأسباب مع هذا الأمر وموافقته وتفويض النجاح إلى الله تعالى[1].

وقد جعل الله التوكل عليه من أبرز صفات المؤمنين، فقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾[2].

أي: يعتمدون عليه بقلوبهم، فلا يرجون سواه، وفي الآية وصف المؤمنين حقاً بثلاث صفات من مقامات الإحسان، وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده[3].

فالتوكل على الله فريضة يجب إخلاصها لله، وهو أجمع أنواع العبادة وأعلى مقامات التوحيد، وأعظمها وأجلّها لما ينشأ من الأعمال الصالحة.

بل لا يقوم به على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين، كما في حديث السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

ذكر الإمام مسلم[4]، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط[5]، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا

---

(١) انظر: المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢/ ١٥).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٢).

(٣) الإرشاد في صحيح الاعتقاد للفوزان (ص٥٩).

(٤) هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، الإمام الحافظ صاحب الصحيح، كان من أوعية العلم، وارتحل في طلب الحديث وسماعه حتى ألّف كتابه الصحيح، توفي سنة ٢٦١هـ.
انظر ترجمته في: البداية والنهاية (١١/ ٣٣)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٨٠).

(٥) هم الجماعة دون العشرة.

موسى ﷺ وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب».

ثم نهض، فدخل منزله، فخاض[1] الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «ما الذي تخوضون فيه؟» فأخبروه، فقال: «هم الذين لا يرقون[2]، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون»، فقام عكاشة فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم»، ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة»[3].

ففي هذا الحديث، وصف خاص للسبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة يوم القيامة بغير حساب ولا عذاب بتمام التوكل بأنهم لا يسألون غيرهم تلذذاً بالبلاء ولا يتطيرون، أي: يتشاءمون كالجاهليين القدامى وكثير من أتباعهم اليوم، فمن فعل ذلك، أي: تطير وتشاءم فقد ناقض التوكل على الله ﷻ[4].

ولذلك أمر الله به في غير آية من القرآن، أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة، بل جعله شرطاً في الإيمان والإسلام، فمفهوم ذلك انتفاء الإيمان والإسلام عند انتفائه كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5].

والتوكل على الله، فعل الأسباب النافعة، وتوقي الأسباب المؤذية، ودفع

---

(١) أي: تكلموا وتناظروا.

(٢) قال شيخ الإسلام عن هذه الزيادة (ولا يرقون): هذه الزيادة وهم من الراوي، لم يقل النبي لا يرقون، لأن الراقي محسن إلى أخيه.
انظر: تيسير العزيز الحميد (ص١٠٨).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول الطوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٣/ ٨٨ ـ النووي)، البخاري، الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (١١/ ٤٠٥، ٤٠٦ ـ الفتح) مختصراً، (١٥٥٨٠، ٢١١) مطولاً.

(٤) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٠٥)، وتيسير العزيز الحميد (١١/ ٣).

(٥) سورة المائدة: الآية (٢٣).

القدر بالقدر، والالتجاء من الله إليه، وليس في فعل الأسباب ما ينافي التوكل مع اعتماد القلب على خالق السبب، وليس التوكل بترك الأسباب، بل التوكل من الأسباب، وهو أعظمها وأنفعها[(١)].

ولكن ليس بالاعتماد عليها، فكل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه، أو يرزقوه، أو يهدوه، خضع قلبه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك.

فكيف بمن لا يحتاج العبد إليه فهذا لا ينبغي له أن يعلق قلبه به، فإذا علق قلبه به صار مستعبداً له، وربما صار معتمداً عليه، فلا يبقى معه حقيقة العبادة لله ولا حقيقة التوكل عليه، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله، وشعبة من التوكل على غير الله.

كيفية التوكل:

لهذا أرشدنا النبي ﷺ إلى التوكل الكامل على الله بهذا الذكر:

(لا حول ولا قوة إلا بالله)[(٢)]، ومعناه: لا تحول لإنسان من حال إلى حال إلا بإعانة الله.

قال النووي: هي كلمة استسلام لله وتفويض، وأن العبد لا يملك من أمره شيئاً، وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى[(٣)].

عن عروة بن عامر ﷺ قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[(٤)].

وعلى هذا يكون التوكل على الله ﷻ من أعظم الأمور، وأهمها، للتخلص من التطير، والطيرة، والشؤم، وغيرها من أمور الشرك.

---

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب لا حول ولا قوة إلا بالله (١١/ ٥٠٠ ـ فتح).

(٣) انظر: فتح الباري (١١/ ٥٠١).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الطب، باب في الطيرة (٤/ ١٨). قال النووي: حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح. رياض الصالحين (ص٥٣٧). قال الألباني: وفي التصحيح المذكور نظر بيّن، لأن عروة بن عامر، مختلف في صحته، ثم إن فيه عنعنة مدلس، فانظر الكلام الطيب رقم التعليق (١٩٣). قال المنذري.. قال أبو القاسم الدمشقي: ولا صحبة له تصح ـ يعني عروة ـ. وقال البخاري وغيره: أنه سمع من ابن عباس، فعلى هذا يكون الحديث مرسل. اهـ كلام المنذري (مختصر سنن أبي داود ٥/ ٣٧٩).

المبحث الثاني

الدعـــــاء

الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه، أو يخفظه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن، وله مع البلاء ثلاث مقامات:

الأول: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه، وإن كان ضعيفاً.

الثالث: أن يتقاوما، ويمنع كل واحد منهما صاحبه الآخر.

وقد روى الحاكم[١] في مستدركه من حديث ابن عمر[٢] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء»[٣].

وفيه أيضاً من حديث ثوبان[٤] عن النبي ﷺ: «لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»[٥].

---

(١) سبق التعريف به (ص١٨٥). (٢) سبق التعريف به (ص٣٨).

(٣) الحاكم (١/٤٩٣)، والحديث حسن. انظر: صحيح الجامع رقم (٣٤٠٣).

(٤) ثوبان بن بجدر، ويقال: ابن جحدر أبو عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمن الهاشمي مولى رسول الله ﷺ، قيل: أصله من اليمن، توفي في حمص سنة ٥٤هـ.
انظر: ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/٢٨).

(٥) مستدرك الحاكم (١/٤٩٣)، وسنن الترمذي في القدر، باب لا يرد القدر إلّا الدعاء (٤/٥٤)، وهو حديث حسن، كما قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٥٤). وابن ماجه، الفتن، باب العقوبات رقم (٤٠٢٢)، وابن حبان (٢/١١٦)، شرح مشكل الآثار (٨/٨٦). قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/٣٠٢): هذا إسناد حسن. وقال أيضاً فيه (١/٥٥): سألت شيخنا أبا الفضل العراقي عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث حسن.

مقامات البلاء مع الدعاء:

«لا يرد القضاء إلا الدعاء»، لا يرد القضاء المقدر «إلا الدعاء»، أراد بالقضاء هنا الأمر المقدر لولا دعاؤه، أو أراد تسهيله فيه حتى يصير كأنه رد، وقال بعضهم: شرع الله الدعاء لعباده لينالوا الحظوظ التي جعلت لهم في الغيب، حتى إذا وصلت إليهم فظهرت عليهم، توهم الخلق أنهم نالوها بالدعاء، فصار للدعاء من السلطان ما يرد القضاء.

قال القاضي[1]: القضاء قسمان:

١ ـ جازم، لا يقبل الرد والتعويق.

٢ ـ معلق، وهو أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، ما لم يرده عائق، وذلك العائق لو وجد كان ذلك أيضاً قدراً مقضياً[2].

ويجب الإلحاح في الدعاء، فقد روى ابن ماجه في سننه، من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه»[3].

وفي كتاب الزهد، للإمام أحمد، عن قتادة قال: قال مورق: ما وجدت للمؤمن مثلاً إلا رجلاً في البحر على خشبة، فهو يدعو: يا رب، يا رب، لعل الله ﷻ أن ينجيه[4].

الدعاء لغة:

النداء، والحث على الشيء.

الدعاء اصطلاحاً:

الابتهال إلى الله بالسؤال[5].

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ﴾[6].

---

(١) سبق التعريف به (ص١٥٥). (٢) انظر: فيض القدير (٦/ ٤٥٠).

(٣) ابن ماجه رقم (٣٨٢٧)، البخاري في الأدب المفرد رقم (٦٥٨) (ص١٩٨)، مسند الإمام أحمد (٢/ ٤٤٣، ٤٧٧)، الحاكم (١/ ٤٩١)، وقال: صحيح الإسناد. الترمذي، الدعوات، باب رقم (٢) بلفظ: أنه من لم يسأل الله يغضب عليه (٥/ ٢٤٤) حسّنه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٢٤).

(٤) انظر: الجواب الكافي (ص٧ ـ ٩). (٥) مفردات ألفاظ القرآن (ص٣١٥).

(٦) سورة الإسراء: الآية (١١٠).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1].

وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2].

وقد تواترت الآثار عن النبي ﷺ بالترغيب في الدعاء والحث عليه، كحديث أبي هريرة: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»[3].

حقيقة الدعاء:

قال الخطابي[4]: (حقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه العناية، واستمداده إياه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه، والبراءة من الحول والقوة التي له، وهو سمة العبودية وإظهار الذلة البشرية، وفيه معنى التألُّه على الله تعالى وإضافة الجود والكرم إليه)[5].

والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم، أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه أو قاعداً أو قائماً.

وإجابة الله لدعاء العبد، مسلماً كان أو كافراً، وإعطاؤه سؤله من جنس رزقه لهم ونصره لهم، وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقاً[6]، ثم قد يكون ذلك فتنة في حقه ومضرة عليه، إذا كان كفره وفسوقه يقضي بذلك[7].

أسباب إجابة الدعاء:

- علم الإنسان بأنه لا يقدر أحد على حاجته إلا الله، حتى ولو كان كافراً

---

(١) سورة غافر: الآية (٦٠). (٢) سورة البقرة: الآية (١٨٦).

(٣) أخرجه الترمذي، الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء (٥/ ٢٤٣)، ابن ماجه، باب فضل الدعاء رقم (٣٨٢٩) (٢/ ٢٣٠)، مستدرك الحاكم (١/ ٤٩٠)، صحيح ابن حبان (٢/ ١١٥)، حسّنه الألباني في صحيح الترمذي (٣/ ١٣٨).

(٤) سبق التعريف به (ص١٤٠). (٥) شأن الدعاء للإمام الخطابي (ص٤).

(٦) الإيجاب هنا: إيجاب تفضل وتكرم من الله، وليس إيجاب إلزام.

(٧) انظر: الفوائد (ص٤٧).

بالله ﷻ ولكن لصدق التوجه إلى الله. قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ﴾[1].

- الإخلاص وحضور القلب. قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[2]، قال يحيى بن معاذ[3]: من جمع الله عليه قلبه في الدعاء لم يرده. قال ابن القيم: إذا اجتمع عليه قلبه وصدقت ضرورته وفاقته وقوي رجاؤه فلا يرد دعاؤه[4] إلا إياه، وقال: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[5]، ولا سيما إذا كان في أوقات الإجابة مثل الثلث الأخير من الليل، عند الأذان، وآخر ساعة بعد العصر من يوم الجمعة، وغيرها، وبالأدعية المشروعة التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة أو أنها متضمنة لاسم الله الأعظم.

- أن لا يستعجل العبد ولا يستبطئ الإجابة. ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجاب لي»[6].

- أن لا يدعو بإثم أو قطيعة رحم. في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال يستجاب للعبد، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل»، قيل: يا رسول الله: وما الاستعجال؟ قال: «يقول: قد دعوت وقد دعوت، فلم أره يستجيب لي، فينحسر عند ذلك ويدع الدعاء»[7].

---

(١) سورة النمل: الآية (٦٢). (٢) سورة الإسراء: الآية (٦٧).

(٣) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، الصوفي، الواعظ، أقام ببلخ، وتوفي بنيسابور سنة ٢٥٨هـ، نسب إليه ابن النديم كتاب «المريدين».
انظر: الفهرست لابن النديم (ص٢٧٤)، معجم المؤلفين (١٣/ ٢٣٢).

(٤) انظر: الفوائد (ص٤٧). (٥) سورة غافر: الآية (٦٥).

(٦) فتح الباري (١٠/ ١٤٠٩)، كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يستعجل، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل (١٧/ ٥١ - النووي).

(٧) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل (١٧/ ٥١).

والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة به، والساعد ساعداً قوياً، والمانع مفقوداً، حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلّف واحد من هذه الثلاثة تخلّف التأثير، فإن كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثمة مانع من الإجابة لم يحصل الأثر[1].

ولكن هاهنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن الأذكار والآيات أو الأدعية التي يستشفى بها ويرق بها هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحل، وقوة همة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلّف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المتفعل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجح فيه الدواء، كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية، فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتفائه أثره، فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول.

وكذلك الدعاء، فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره، إما لضعفه في نفسه ـ بأن يكون دعاء لا يحبه الله، لما فيه من العدوان ـ وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرخو جداً، فإن السهم يخرُج منه خروجاً ضعيفاً، وإما لحصول المانع من الإجابة: من أكل الحرام والظلم، ومن الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وتمكنها عليها[2] كما في مستدرك الحاكم من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاهٍ»[3].

فيمكن رد الطيرة عن طريق الأدعية المشروعة، فهي تعالج ما يقع في

---

(١) انظر: الجواب الكافي (ص١٤، ١٥). (٢) انظر: الجواب الكافي (ص٥ ـ ٦).

(٣) أخرجه الترمذي، الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ (٥/ ٢٩٢)، أحمد (٢/ ١٧٧)، مستدرك الحاكم (١/ ٤٩٣). قال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٨٨): رواه أحمد بإسناد حسن. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٨): رواه أحمد وإسناده حسن. قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده حسن (١٠/ ١٤٠) شرح السنّة، وحسّنه الألباني في السلسلة رقم (٥٩٤).

النفس منها. عن عروة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عن رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[1].

فبيّن رسول الله ﷺ علاجاً حاسماً لمن قد يعرض له التطير، وذلك بأن يفوض أمره إلى الله بجلب الحسنات ودفع السيئات ويمضي في طريقه معتمداً على الله في تحقيق ذلك وفي أموره كلها.

وقد جعل الله دعاءً يكفِّر ما يقع في قلب الإنسان من الطيرة، فلأحمد من حديث عبد الله بن عمر: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»، قالوا: وما كفارة ذلك؟ قال أن يقول: «اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»[2].

(ففيه تفويض الأمور إلى الله تعالى تقديراً وتدبيراً وخلقاً والبراءة عما فيه تعلق بغير الله تعالى، فمن أعرض عما وقع في قلبه ولم يلتفت إليه واستمر على فعل ما عزم إليه توكلاً على الله وتفويضاً إليه كفر عنه ما وقع في قلبه من ذلك)[3].

وكذلك عن طريق الاستخارة، والاستخارة: هي طلب الخيرة في الشيء، يقال: استخر الله بتحريك[4]، واستخار الله طلب الخيرة، وخار الله أعطاه ما هو خير له، والمراد طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما. وقد ذكر البخاري في صحيحه عن جابر ﷺ قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن: إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول: «اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علّام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة

---

(١) سبق تخريجه (ص١٦٠).
(٢) سبق تخريجه (ص١٦١).
(٣) فتاوى ابن باز (ص٣٩٧).
(٤) انظر: لسان العرب (٥/ ٣٥)، وفتح الباري (١١/ ١٨٣).

أمري ـ أو قال: في عاجل أمري وآجله ـ فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: في عاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به، ويسمي حاجته»[١].

فيسنّ أن يستخير في الأمور كلها، والمقصود بها المباح والمستحب. قال ابن أبي جمرة[٢] مما نقله عنه ابن حجر: وهو عام أريد به الخصوص، فإن الواجب والمستحب لا يستخار في فعلهما، والحرام والمكروه لا يستخار في تركهما، فانحصر الأمر في المباح والمستحب إذا تعارض منه أمران أيهما يبدأ به ويقتصر عليه.

وقال ابن حجر: وتدخل الاستخارة فيما عدا ذلك في الواجب والمستحب والمخير، وفيما كان زمنه موسعاً، ويتناول العموم العظيم من الأمور والحقير، فَرُبّ حقير يترتب عليه الأمر العظيم[٣].

❑ ❑ ❑

(١) فتح الباري (١١/ ١٨٣)، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة.
(٢) أبو بكر، محمد بن أحمد بن عبد الملك بن موسى، صنّف كتاب نتائج الأفكار في معاني الآثار، مات بمرسية سنة ٥٩٩هـ.
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٩٨).
(٣) انظر: الفتح (١١/ ١٨٤).

المبحث الثالث

حسن الظن بالله

وردت عدة تفسيرات للظن، فالظن في كتب اللغة، هو التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم، وقيل: إن الظن هو الاعتقاد الراجح من احتمال النقيض[(١)]. وقال الأصفهاني[(٢)]: إنه اسم لما يحصل من إمارة، ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت لم تجاوز حد الوهم، ومتى قوي أو تصور القوي استعمل معه (إنَّ) المشددة، و(إن) المخففة منها، ومتى ضعفت استعمل (إن) المختصة بالمعدومين من القول والفعل[(٣)].

ومادة الظن تدل على الشك وعدم الثقة، ولذلك قالوا: بئر ظنون، أي: لا يدرى أفيها ماء أم لا؟ ودَين ظنون، وهو الذي لا يدري الدائن أيأخذه أم لا؟

وكل ما لا يوثق به، فهو ظنون، أو ظنين.

وأصل الظن وقاعدته: الشك مع ميل إلى أحد معتقديه، وقد يقع موقع اليقين[(٤)]، كما قال تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾[(٥)].

والظن في الشريعة قسمان: محمود، ومذموم.

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٨/ ٢٧١).

(٢) الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب، أديب، من الحكماء العلماء من أهل أصبهان، سكن بغداد. من كتبه: الذريعة إلى مكارم الشريعة، والمفردات، توفي سنة ٥٠٢هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠)، وانظر ترجمته في: الأعلام (٢/ ٢٥٥).

(٣) انظر: مفردات القرآن (ص٥٣٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٣٣١).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٥٦).

(٥) سورة الحاقة: الآية (٢٠).

فالمحمود منه ما سلم معه دين الظان، والمظنون عند بلوغه، والمذموم ضده، بدلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1]، وقوله: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾[2].

قال الترمذي: ذكر عن سفيان أنه قال[3]: (الظن ظنان: فظن إثم، وظن ليس بإثم، فأما الظن الذي هو إثم فالذي يظن ظناً ويتكلم به، وأما الظن الذي ليس بإثم، فالذي يظن ولا يتكلم به)[4].

ولكن قد يعتبر تقسيم سفيان رحمه الله للظن المذموم، أما المحمود فلا بأس أن يظن فيتكلم به كمن ظن أن في فلان خيراً فلا بأس أن يخبر به ولا يزكي على الله.

(والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، إن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة، وسبب ظاهر، كان حراماً واجب الاجتناب)[5].

والظن في كثير من الأمور مذموماً. لذلك قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾[6]. وعن أبي هريرة[7] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[8].

معنى حسن الظنّ بالله:

ومعنى حسن الظن بالله، أن يُغلب الإنسان جانب الرجاء على جانب

---

(١) سورة الحجرات: الآية (١٢).

(٢) سورة النور: الآية (١٢). انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ٢١٧).

(٣) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي. قال النسائي: هو أجلّ من أن يقال عنه ثقة، توفي سنة ١٦١هـ.
انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٤/ ١١٤)، السير (٧/ ٢٢٩).

(٤) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في ظن السوء (٣/ ٣٩٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ٢١٧).

(٦) سورة يونس: الآية (٣٦).

(٧) سبق التعريف به (ص١٣٢).

(٨) البخاري، كتاب الأدب، باب ما نهى عنه من التحاسد والتدابر، باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ (٨/ ١٩)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن (٤/ ١٩٨٥)، الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في ظن السوء (٣/ ٣٩٨)، قال عنه: حديث حسن صحيح.

اليأس منه. قال ابن القيم[1]: (حسن الظن هو الرجاء، فمن كان رجاءه هادياً له إلى الطاعة، وزاجراً له عن المعصية، فهو رجاء صحيح)[2].

قال النووي[3]: (إحسان الظن بالله الافتقار إلى الله تعالى والإذعان إليه)[4].

ولا شك أن حسن الظن بالله هو المنطلق الطبيعي، بمعنى الإيمان به والشعور بالحاجة إليه، واليقين بأنه كأنه كما يقول ﷻ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾[5]، وكما يقول في الحديث القدسي، الذي رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرّب إليّ شبراً، تقرّبت إليه ذراعاً، وإن تقرّب إليّ ذراعاً، تقرّبت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[6].

فإن الإيمان بذلك يفسح أمام المؤمن مجال الأمل والعمل، والتقرب إليه بما يرضيه، ويبعد عنه الاتكال والتواكل على الحظ أو غيره، من طير، أو حيوان. قال العلماء: معنى حسن الظن بالله تعالى، أن يظن أنه يرحمه، ويعفو عنه، قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفاً، راجياً، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف غالباً، فإذا دنت المنية غلب الرجاء أو محضه[7].

وذلك لأن الله تبارك وتعالى يعد الإنسان بالمثوبة على كل ما يقرب إليه، سواء كان شعوراً في النفس، أو ثناء باللسان، أو عملاً بالجوارح.

---

(١) سبق التعريف به (ص٢٣).
(٢) الداء والدواء، لابن القيم (ص٥١).
(٣) سبق التعريف به (ص١٣٨).
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٢١٠).
(٥) سورة غافر: الآية (٣).
(٦) الأحاديث القدسية (١/ ٦٢)، وأخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب يحذركم من نفسه، ويقول ـ جل ذكره ـ: «تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك» (٩/ ١٢٠) (١٣/ ٣٨٤ ـ فتح)، ومسلم، كتاب الذكر، باب الحث على ذكر الله (١٧/ ٢١٠ ـ النووي).
(٧) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٢١٠).

فقوله: «أنا عند ظن عبدي بي». قال القاضي[1]: قيل معناه: عند ظنه بالغفران له إذا استغفر، والقبول إذا تاب، والإجابة إذا دعا، والكفاية إذا طلب، وقيل: المراد به الرجاء وتأميل العفو[2].

والمتطير يظن أن الله يؤذيه عند ذلك الشيء الذي تطير به فيسيء الظن بالله ﷻ، فيقابله الله على سوء ظنه به بأذيته بذلك الشيء الذي تطير به، كما قال ابن عباس[3]: لا تضر الطيرة لا من تطير[4]. أما من لم يسئ الظن بالله تعالى ولا يعتقد أنه يحصل له ضرر عند ذلك فلا يعاقبه الله تعالى ولا يتضرر.

وليس معنى حسن الظن بالله التفريط في امتثال ما أمر به، وفي اجتناب ما نهى عنه أو التهاون في العمل اعتماداً على مجرد حسن الظن وسعة مغفرة الله ورحمته وعفوه وجوده، وأن رحمته سبقت غضبه، فإن هذا غرور وظن كاذب. قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾[5].

فقد أخرج الحاكم[6]، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن حسن الظن بالله تعالى من حسن عبادة الله»[7]. فحسن الظن ينفع من تاب وندم

---

(١) سبق التعريف به (ص١٥٥).

(٢) شرح النووي (١٧/ ٢١٠).

(٣) سبق التعريف به (ص١٨).

(٤) مصنف عبد الرزاق (٩/ ٤١).

(٥) سورة النساء: الآيتان (١٢٣، ١٢٤).

(٦) سبق التعريف به (ص١٨٥).

(٧) أخرجه الترمذي، أحاديث في أبواب الدعوات، باب رقم (١٣٦) (٥/ ٣٤٨). وقال: غريب من هذا الوجه. وأبو داود، الآداب، باب في حسن الظن (٤/ ٢٩٨) بنحوه، وأحمد (٢/ ٣٥٩، ٢٩٧، ٣٠٤)، وابن حبان (٢/ ١٤) رقم (٦٣٠)، والحاكم (٤/ ٢٤١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وابن حبان ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالصحة.
انظر: فيض القدير (١/ ٤٤٦)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في شرح السنن (١٥/ ١٠٢). قال الألباني: ضعيف.
انظر: ضعيف الجامع رقم (١٨٥١). وقال المنذري في مختصر أبي داود (٧/ ٢٨٢): في إسناده مهنا بن عبد الحميد أبو شبل البصري، سئل عنه أبو حاتم الرازي فقال: مجهول. فالحديث ضعيف لجهالة مهنا بن عبد الحميد.

وأقلع، وبدل السيئة الحسنة، واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ثم أحسن الظن بعدها فهذا هو حسن الظن[1].

ذكر ابن أبي الدنيا[2]، عن أخي حزم[3]، قال: رأيت مالك بن دينار[4]، بعد موته، في منامي فقلت: يا أبا يحيى - ليت شعري - بماذا قدمت على الله ﷻ، قال: قدمت بذنوب كثيرة فمحاها عني حسن الظن بالله ﷻ[5].

وحسن الظن بالله يجب أن يقوم على العمل والثقة في أن وعد الله حق، وأنه كما يقول: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[6]، وليس معناه التواكل والقصور عن القدرة على السعي والجهاد، والركون إلى ما لا ينفع والاعتماد على ما يقوله العرافون والكهنة، مما يوجب سخط الله تعالى، فيجب عليه أن يعمل وينتظر المثوبة من الله تعالى، ومع ما للعمل من قيمة عظيمة يجب أن يشعر المسلم بأن الثواب عليه فضل من الله لا حق واجب على الله، فإن الله لا يجب عليه شيء لعباده، إنما تفضلاً من الله ورحمة كما أخبر النبي ﷺ بقوله: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»[7].

---

(١) الداء والدواء (ص٣٦).

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي، مولاهم البغدادي صاحب التصانيف، من موالي بني أمية، ولد سنة ٢٠٨هـ. من مؤلفاته: الفرج بعد الشدة، والأدب، وغيرها.
انظر ترجمته في: السير (١٣/٣٩٧)، الجرح والتعديل (٥/١٦٣).

(٣) هو سهل بن بهران، ضعفه ابن معين والنسائي وابن حبان وابن حجر. قال البخاري: ليس بالقوي، مات سنة ١٧٥هـ.
انظر: الجرح والتعديل (٤/٢٤٧)، الميزان (٢/٢٤٤).

(٤) هو مالك بن دينار الشامي، أبو يحيى الزاهد، أخرج له الأربعة في سننهم، مات سنة ١٣٠هـ. انظر: الحلية (٢/٣٥٧)، التهذيب (١٠/١٤).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات (ص٤٠).

(٦) سورة الكهف: الآية (٣٠).

(٧) البخاري، الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل (١١/٢٩٤ - الفتح)، مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى (١٧/١٥٩ - النووي)، وابن منده في كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد (٢/١٨٧).

فيجب على المؤمن أن يكون معلقاً بين الخوف والرجاء فلا يهمل الأخذ بالأسباب ولا ينقطع أمله في الله، بل عليه أن يعمل ويأمل، ويذكر قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾[3].

ومن هذا المنطلق يجب على المؤمن أن يثق بربه ويعبد الله ويبذل جهده ويعمل ما في وسعه، ويترقب الجزاء من أعدل العادلين وأحكم الحاكمين.

وأن يكون شعاره، قوله تعالى: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾[4].

□ □ □

---

(١) سورة الطلاق: الآية (٢).

(٢) سورة الطلاق: الآية (٤).

(٣) سورة الطلاق: الآية (٥).

(٤) سورة الأنعام: الآيتان (١٦، ١٧).

المبحث الرابع

فعل الأسباب الجائزة

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾[1].

قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك ولا تعجزن، فإن غلبك أمر فقل: قدر الله، وإياك واللوّ فإن اللوّ تفتح عمل الشيطان»[2].

فالإنسان يجب عليه أن يجمع بين فعل الأسباب مع التوكل على الله؛ فإن الله قدر الأشياء بأسبابها، كما قدّر السعادة والشقاوة بأسبابها.

أنواع الأسباب:

والأسباب نوعان: أسباب الشر، وأسباب الخير.

أسباب الشر:

لا تضاف إلا إلى الذنوب، لأن جميع المصائب إنما هي بسبب الذنوب، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[4]، فالمصائب لا تضاف إلى شيء من الأسباب سوى الذنوب، فيسنّ اجتناب أسباب الشر بما وردت به الشريعة مثل اتقاء المجذوم والمريض، أما من خفي سببه فلا يشرع اتقاءه واجتنابه، لأن ذلك من الطيرة[5].

---

(١) سورة النساء: الآيتان (١٢٣، ١٢٤).

(٢) مسلم، القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (١٦/ ٣١٥ ـ النووي).

(٣) سورة النساء: الآية (٧٩).

(٤) سورة الشورى: الآية (٣٠).

(٥) انظر: لطائف المعارف (ص١٤٢).

أسباب الخير:

فالمشروع أنه يفرح بها ويستبشر ولا يسكن إليها، بل إلى خالقها ومسببها، وذلك هو تحقيق التوكل على الله والإيمان به، كما قال تعالى في الإمداد بالملائكة: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1].

ومن هذا الباب:

- الاستبشار بالفأل، وهي الكلمة الصالحة، يسمعها طالب الحاجة[2]، ولكن بشرط ألا يعتمد عليها، وإنما يعزم على الأمر ثم يسير.

- الأذكار والدعوات التي وردت عن رسول الله ﷺ فهي خير حرز للإنسان، مثل قوله ﷺ: «من قال حين يصبح ويمسي: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لم يصبه البلاء»[3]، وبخاصة التي وردت في مجال دفع الطيرة مثل قوله ﷺ: «اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك»[4]. وقوله: «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[5].

الأسباب التي يجوز فعلها:

فالواجب الالتجاء والاحتماء بالله سبحانه بدلاً من تطير الطير لمعرفة الفلاح أم الخسار عند السفر عن طريق الدعاء المشروع. فعن عبد الله بن سرجس[6]: قال الرسول ﷺ: «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا»[7].

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٢٦).

(٢) انظر: لطائف المعارف (ص١٤١).

(٣) الترمذي، الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح، وإذا أمسى (٩/ ٢٣٣ ـ التحفة)، وقال: حسن غريب صحيح.

(٤) سبق تخريجه (ص١٥٢).

(٥) سبق تخريجه (ص٢٠٢).

(٦) عبد الله سرجس المزني، وقيل: المخزومي، حليف لهم، صحابي، سكن البصرة. انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ٢٠٤)، والسير (٣/ ٤٢٦).

(٧) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج مسافراً (٥/ ٢٧٥). وقال عنه: حديث حسن صحيح. وهو جزء من حديث لعبد الله بن عمر، الدعوات، =

ـ ومن الأسباب المشروعة، كذلك الاستشارة، ثم الاستخارة، وذلك باستشارة أولي العلم عند الإقدام على أمر ما، ثم بعد ذلك يطلب الخيرة من الله على فعل ذلك الأمر، ولقد اتفقت المذاهب الأربعة على أن الاستخارة تكون في الأمور التي لا يدري العبد وجه الصواب فيها، أما ما هو معروف خيره، أو شره، كالعبادات، وصنائع المعروف، والمعاصي، والمنكرات، فلا حاجة إلى الاستخارة.

ـ كذلك من الأسباب المشروعة، صلاة الحاجة. فعن عثمان بن حنيف[1] رضي الله عنه أن أعمى أتى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يكشف لي عن بصري، قال: «أو أدعك». قال: يا رسول الله، إنه قد شق علي ذهاب بصري، قال: «انطلق فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك ما توجه إليك نبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد[2] إني أتوجه إلى ربي بك أن يكشف لي عن بصري، اللهم شفّعه فيّ، وشفّعني في نفسي»، فرجع وقد كشف الله عن بصره[3].

ـ ومنها إذا رأى الإنسان ما يكره في منامه أن يستعيذ بالله من الشيطان، وينفث عن يساره ويتغير من الجنب الذي هو عليه، ولا يضره ما رأى حتى لا

= باب ما جاء فيما يقول إذا ركب دابة (٥/ ٢٧٩)، ومسلم، الحق، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره. المسند (٩/ ١٨٥).

(١) عثمان بن خبيب بن راهب الأنصاري، الأوسي، أبو عمر الداني، استعمله عمر على ساحة أرض الكوفة، وعلى أرض البصرة، مات في خلافة معاوية. انظر: التقريب (٢/ ٧ ـ ٨).

(٢) التوسل هنا مباح: وهو مما يفعل بالأحياء دون الأموات، بأن يتوسل بدعائهم؛ وشفاعتهم كأن يجيء يطلب منه ذلك؛ بينما الميت لا يجوز أن يطلب منه شيء لا دعاء ولا غيره.
انظر: الرد على شبهات المستعين بغير الله، أحمد بن إبراهيم الحنبلي النجدي (ص٦٠).

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب. الترمذي، أحاديث شتى في أبواب الدعوات (١٠/ ٢٣ ـ التحفة)، أحمد (٤/ ١٣٨)، ابن ماجه، باب ما جاء في صلاة الحاجة رقم (١٣٨٥)، الحاكم (١/ ١٣، ٥١٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحيح ابن خزيمة رقم (١٢١٩)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/ ٢٣٢).
انظر: المنتقى من الترغيب والترهيب للمنذري، يوسف القرضاوي (١/ ١٧٦).

يقع في نفسه شيء ويتطير. فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره»[1]. وعن جابر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها، فليبصق عن يساره ثلاثاً ويستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً ويتحول عن جنبه الذي كان عليه»[2].

وذكر البخاري عن أبي سلمة أن أبا قتادة الأنصاري[3]، وكان من أصحاب النبي ﷺ وفرسانه، قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم بما يكرهه فليبصق عن يساره ويستعيذ بالله منه فلن يضره»[4].

ـ وكذلك من المشروع الصلاة بعد رؤية ما يكره في المنام. فقد ذكر البخاري عن أبي هريرة ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وما كان من النبوة فإنه لا يكذب» ـ قال محمد[5]: وأنا أقول هذا ـ قال: وكان يقال: الرؤيا ثلاث: حديث النفس، وتخويف الشيطان، وبشرى من الله، فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم فليصل. .»[6].

ـ وكذلك منها العدول عن الأسماء القبيحة التي تدعو إلى التطير إلى أسماء

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٣٦٩)، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله، كتاب إذا رأى ما يكره فلا نخبر بها ولا بذكرها (١٢/ ٤٢٠).

(٢) مسلم، كتاب الرؤيا (١٥/ ٢٠).

(٣) اسمه الحارث بن ربعي، وقيل: النعمان، وقيل غير ذلك، صحابي، توفي بالكوفة سنة ٥٤هـ.
انظر: تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٢٤)، والسير (٢/ ٤٤٩).

(٤) فتح الباري، كتاب التعبير، باب الحلم من الشيطان، فإذا حلم فليبصق عن يساره، وليستعذ بالله ﷻ (١٢/ ٣٩٣)، ومسلم، الرؤيا (١٥/ ١٦ ـ النووي).

(٥) محمد بن سيرين. سبق التعريف به (ص٤٠).

(٦) فتح الباري، كتاب التعبير، باب القيد في المنام (١٢/ ٤٠٥ ـ الفتح)، مسلم، الرؤيا (١٥/ ٢٠ ـ النووي).

حسنة كما غيَّر رسول الله ﷺ كثير من الأسماء كما في حديث حزن جد سعيد بن المسيب، وكما فعلها بعض الجاهليين فقد تجاهلوا الأسماء التي تبعث على التشاؤم بتسميتها بضدها فقد سموا اللديغ بالسليم، وسموا الغراب بحاتم، والبرية بمفازة، وكنّوا الأعمى أبا بصير إلى ذلك.

ـ وكذلك التحول من المكان الذي يدعو النفس إلى التطير إلى مكان آخر، كما أمر رسول الله ﷺ الذي شكا له من داره التي يسكنها، فقد ذهب المال والأولاد، فقال له رسول الله ﷺ: «ذروها فإنها ذميمة»[1].

ـ ومنها الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فهو يجري من بني آدم مجرى الدم، والطيرة مصدرها الشيطان، إذ هو يلقي في نفس المتطير أن ذلك مؤثر، وأن ما ظنه حق ولا شك فيه، وما توهمه أمر لا بد واقع. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[2] فيكدر صفو حياته وينكد عيشه، ويفسد دينه ويجعله تحت سلطان الحوادث، فعليه أن يقول: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، حتى يحفظ ذلك اليوم.

فقد ذكر أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا دخل المسجد: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، قال: اقط؟»[3] قال: نعم، قال: «فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حفظ مني سائر ذلك اليوم»[4].

أما الشيطان ليس له سلطان على الذين آمنوا وتوكلوا على الله. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)﴾[5]، فتضمن ذلك

---

(١) سبق تخريجه (ص١٧٨).
(٢) سورة البقرة: الآية (٢٠٨).
(٣) أقط: الألف للاستفهام، وقط: اختصار لكلمة فقط.
(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل عند دخوله المسجد (١/١٢٦)، حسّنه النووي في الأذكار (ص٢٦) قاله الألباني وحسّنه ابن حجر.
انظر: الكلم الطيب (ص٥٢)، وصححه الألباني في تخريج المشكاة (ص٧٤٩)، وقال: إسناده صحيح.
(٥) سورة النحل: الآيتان (٩٩ ـ ١٠٠).

أمرين: أحدهما: نفي سلطانه وإبطاله على أهل التوحيد والإخلاص، والثاني: إثباته على أهل الشرك[1].

فعلى المسلم أن يفعل الأسباب الجائزة، ثم يعلم أن النعم والمصائب كلها داخلة تحت مشيئة الله وقدره، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[2].

أي: ما أصاب من مصيبة في الأرض، من قحط، وضعف النبات، ونقص في الثمار، وفي أنفسكم من أوصاب وأسقام، وضيق المعاش، إلا كانت مكتوبة ومعلومة في اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾، أي: نخلقها ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾، أي: إثباتها في الكتاب على كثرته، فهو على الله يسير غير عسير[3].

وعلى هذا يكون العبد مطمئناً في هذه الأمور، فلا داعي إلى التطير والطيرة، لأن الضر والنفع تحت مشيئة الله وقدره، كما قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر الله، حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز»[4].

ومعنى الحديث واضح: (إن جميع الأمور إنما هي بتقدير الله في الأزل، فالذي قدر لا بد أن يقع، والمراد كل المخلوقات أي بتقدير محكم، وهو متعلق بالإرادة الأزلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب (حتى العجز) أي: التقصير فيما يجب فعله أو من الطاعة أو أعم، والكيس بفتح الكاف، أي: النشاط والحذق والظرافة، أو كمال العقل، أو شدة معرفة الأمور، أو تميز ما فيه الضر من النفع)[5].

حتى أن الطير بذاته يسير بقدر الله، كما قال ﷺ: «الطير تجري بقدر وكان يعجبه الفأل الحسن»[6].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم (١/ ١٠٨).

(٢) سورة الحديد: الآية (٢٢). (٣) فتح القدير (٥/ ١٧٦).

(٤) مسلم، القدر، باب كل شيء بقدر (١٦/ ٢٠٤ ـ النووي)، ابن حبان (٨/ ٧) رقم (٦١٢١٦)، أحمد (٢/ ١١٠).

(٥) فيض القدير (٥/ ٢٢).

(٦) السنن لابن أبي عاصم (٢/ ٥٤)، أحمد (٦/ ١٢٩) وصححه الألباني في سلسلة =

فإذا كانت الطير تجري بقدر الله ﷻ فلماذا يحملها هؤلاء الجهال من المشركين في القديم، ومن جهال المسلمين في الحديث ما لا تحتمل ويجعلونها سبباً في جلب نفع أو دفع ضر؟؟

إن هذا كله ناتج عن عدم ثقتهم بالله ﷻ وأنه على كل شيء قدير، وقلة فهم للنصوص، وضعف إيمان في النفوس، فعلى المسلم أن يتخذ الأسباب المشروعة التي أمر الله باتخاذها، لتحقيق ما يريد ويلاحظ أن ما يرجوه من نتائج محاط باحتمالات فشل كثيرة، لا يملك سد ثغراتها وتفادي مخاطرها، فهو مهدد من كل جانب بأن لا تنفعه أسبابه ووسائله، لذلك يجب عليه أن يباشر الأسباب وفق سنن الله في كونه وأوامره في شريعته، ويلجأ بقلبه إلى الله، متوكلاً عليه، معتمداً على معونته، مستيقناً بقوته، لتحقيق ما يرجوه من نتائج باشر أسبابها على قدر استطاعته، وسأل الله أن يدفع عنه العقبات ويمنع عنه العراقيل، ويمده بالتأييد والتسديد والتوفيق والمعونة.

فالتوكل على الله، والاعتماد عليه، والاستعانة به، أمور من أعمال القلب، فإذا امتلأ بها قلب المؤمن وهو يباشر الأسباب المشروعة سيحقق له الله ما يرجوه إذا علم به الخير له.

وحين لا تتحقق النتائج المرجوة بعد اتخاذ الأسباب يجب أن يعرف المؤمن أن الله قد قضى له ما هو الخير، وادخر له الأفضل والأحسن، فيكون قلبه مطمئناً رضياً، ويكون في أعماله باذلاً أقصى ما يستطيع، متفائلاً بأن الله لا يقضي إلا ما هو خير.

❑ ❑ ❑

= الأحاديث الصحيحة رقم (٨٦٠)، والحاكم (١/ ٣٢) وصححه ووافقه الذهبي، والطحاوي في شرح المشكل (٥/ ١٠١).

المبحث الخامس

سد الذرائع المؤدية للتطير

سد الذرائع قاعدة أصولية لها تطبيقات عديدة، وقد أشار إليها القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(١).

ووجه الاستدلال أن الله ﷻ حرم سب الآلهة مع أنه عبادة، وعلل هذا المنع بكونه ذريعة إلى سبهم له ـ جل وعلا ـ فمصلحة تركهم سب الله ـ سبحانه ـ راجحة على مصلحة سبنا لآلهتهم(٢).

وحتى تتضح لنا هذه القاعدة نعرّف بالذريعة، فما هي الذريعة؟

الذريعة لغة:

مفرد ذرائع، والذريعة هي: الوسيلة، والسبب إلى الشيء، والطريق الموصل إليه، أصلها لغة من ذرع(٣).

فسد الذرائع لغة: سد الطرق حتى لا تؤدي إلى نتائجها وآثارها بصرف النظر عن كون هذه الآثار محمودة أو مذمومة(٤).

الذرائع اصطلاحاً:

كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الذريعة هي: الوسيلة، لكنها أصبحت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضى إلى فعل محرم)(٥).

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٠٨).
(٢) الفتاوى الكبرى (٦/ ١٧٤).
(٣) انظر: مادة «ذرع» في القاموس المحيط (٣/ ٢٤)، ومختار الصحاح (ص٢٢١).
(٤) انظر: سد الذرائع للبرهاني (ص٥٢) وما بعدها.
(٥) الفتاوى الكبرى (١/ ١٧٤).

وعرّفها القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (عبارة عن أمر غير ممنوع في نفسه، يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع)[1]، وللذريعة عدة تعريفات[2]، ولكن ما ذكره القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أرجح التعريفات.

وعلى هذا فالذريعة بالمعنى الاصطلاحي هي: أحد أفراد الذريعة في المعنى اللغوي، ويؤكد ذلك ما قاله القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اعلم أن الذريعة كما يجب سدها يجب فتحها).

وتكره، وتندب، وتباح، فإن الذريعة هي الوسيلة، فكما أن الوسيلة المحرمة محرمة، فوسيلة الواجب واجبة، كالسعي للجمعة والحج، ومواد الأحكام على قسمين:

- مقاصد: وهي المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها.
- وسائل: وهي الطرق المقتضية إليها، وحكمها حكم ما أفضت إليه من تحريم وتحليل، غير أنها أخفض رتبة من المقاصد في حكمها، والوسائل إلى أفضل المقاصد أفضل الوسائل وإلى أقبح المقاصد أقبح الوسائل، وإلى ما يتوسط متوسطة[3].

فالذريعة إذن؛ ثلاثة أركان، هي: الوسيلة، المتوسل إليه، الواسطة بها، أو إفضاء الوسيلة إلى المتوسل إليه.

مثال ذلك بالنسبة لموضوعنا قوله ﷺ: «أقروا الطير على وكناتها»[4].

فتطيير الطير لا شيء فيه، فهو وسيلة غير ممنوعة في نفسها، ولكن استخدامه في الزجر ومعرفة الغيب وهو المتوسل إليه غير جائز، لذلك حرم زجر الطير أو تطيرها.

واستدل العلماء على هذه القاعدة (سد الذرائع) بالنقل والعقل، فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[5]، فهذا النفي

---

(١) سد الذرائع للبرهاني (ص٧٢).
(٢) هناك تعريفات أخرى. انظرها في: البحر المحيط للزركشي (٦/ ٨٢).
(٣) الفروق (٢/ ٣٢).
(٤) سبق تخريجه (ص١٣١).
(٥) سورة المائدة: الآية (١٠١).

ظاهر في المنع من السؤال المباح، إذا خيف إفضاؤه إلى محظور، وكذلك قوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «لولا قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين، باب يدخل منه الناس، وباب يخرجون»[1]، وقد ترجم له البخاري، بقوله: باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه[2].

ولا جدال في أن الضرورة ملحة على كل مسلم عارف عالم أن يزيح الباطل بكل وسيلة، لأنه سوف يخسر أثمن شيء كان من الواجب أن يصونه ويعتز به سوف يخسر عقيدته، فلأن التطير أو التشاؤم شرك ينافي التوحيد، أو كماله ـ على حسب التعلق ـ لذلك حرم الإسلام التطير، لأنه لا يخلو من أمرين أحدهما أعظم من الآخر:

كيفية سد الإسلام الذريعة للتطير:

الأول: أن يستجيب لذلك الداعي، فيترك ما كان عازماً على فعله، أو بالعكس، فيتطير بذلك، وينكص عن الأمر الذي كان عازماً عليه، فهذا ـ كما ترى ـ علق قلبه بذلك المكروه غاية التعلق، وعمل عليه، وتعلق ذلك المكروه في إرادته وعزمه وعمله، فلا شك أنه على هذ الوجه أثر على إيمانه، وأخلّ بتوحيده، وتوكله، ثم بعد هذا، لا تسأل عما يحدث له هذا الأمر من ضعف القلب ووهنه، وخوفه من المخلوقين، وتعلُّقه بالأسباب، وبأمور ليست أسباباً، وانقطاع قلبه من تعلُّقه بالله، وهذا من ضعف التوحيد والتوكل، ومن طرق الشرك ووسائله، ومن الخرافات المفسدة للعقل.

الثاني: أن لا يستجيب لذلك الداعي، ولكنه يؤثر في قلبه حزناً وهماً وغماً، فهذا وإن كان دون الأول لكنه شر وضرر على العبد وضعف لقلبه وموهن لتوكله، وربما أصابه مكروه، فظن أنه من ذلك الأمر فتقوي تطيره وربما تدرج به إلى الأمر الأول[3].

---

(١) انظر مناسبة الحديث في: الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ٩٤١)، والحديث أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها (٣/ ٤٣٩)، مسلم، الحج، باب نقض الكعبة وبنائها (٩/ ٨٨ ـ النووي).

(٢) فتح الباري (١/ ٢٢٤).

(٣) القول السديد (ص٧٩).

لذلك لم يدع الإسلام منفذاً يطل منه التطير، أو التشاؤم، إلا ألقى عليه ستاراً كثيفاً من حسن الظن بالله، وثقة المرء بنفسه، وقوة اعتماده بعد الله على عمله وكفاحه، وقرن بذلك اليمن والنجاح والأمل، ولعلّ الرؤيا والأحلام التي يراها النائم في المنام تلعب دوراً كبيراً وخطيراً فيما ينتاب الإنسان من أوضاع نفسية حسنة كانت أو سيئة، فبادر الإسلام إلى وضع صمام أمان عن طريق أقوال وأذكار يرددها النائم حين تفزعه الرؤيا، ثم الكف عن حكايتها.

روى مسلم، عن جابر ﷺ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني رأيت في المنام كأن رأسي ضرب فتجرّح، فاشتددت على أثره، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تحدث الناس بها فيلعب الشيطان ولو في منامك»[1].

لمّا كان الاحتراز من التطير بليغ العسر والمشقة، رفع عن الإنسان ما يعتريه منه، وما يوسوس له الشيطان فيه، ولم يؤخذ إلا بركونه إليه أو اعتماده عليه. أخرج عبد الرزاق[2] عن إسماعيل بن أمية[3] قال: قال النبي ﷺ: «ثلاث لا يعجزهن ابن آدم: الطيرة، وسوء الظن، والحسد، قال: فينجيك من الطيرة ألا تعمل بها، وينجيك من سوء الظن ألا تتكلم به، وينجيك من الحسد ألا تبغي أخاك سوءاً»[4].

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: قلت: يا رسول الله أموراً كنا نصنعها في الجاهلية، كنا نأتي الكهّان، قال: «فلا تأتوا الكهان»، قال: قلت: كنا نتطير، قال: «ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم»[5].

---

(١) مسلم، الرؤيا (١٥/ ٢٧ ـ النووي).

(٢) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم أبو بكر الصنعاني، ثبت الحديث، توفي سنة ٢١١هـ.
انظر: تهذيب التهذيب (٦/ ٢٧٩)، السير (٩/ ٥٦٣).

(٣) إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص، كان ثقة، توفي سنة ١٤٤هـ. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (١/ ٢٤٨).

(٤) مصنف عبد الرزاق (ح١٩٥٠٤) (١٠/ ٤٠٣).

(٥) مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (١٤/ ٢٢٣).

معناه: أن كراهية ذلك تقع في نفوسكم في العادة، ولكن لا تلتفتوا إليه ولا تتراجعوا عما كنتم عزمتم عليه قبل هذا[1].

إذا خاف أن يتطير بأن رأى ما يكره، فقد أخبر رسول الله ﷺ بذكر يقوله حتى يبعد عنه ما علق بقلبه ويعيده إلى التوكل على الله ﷻ. فعن عروة بن عامر رضي الله عنه قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[2]. هذه كفارة لما يقع من الطيرة بأن يمضي ويتوكل على الله، ويعلم أن الطير من خلق الله مسخر مملوك لله، لا يأتي بخير ولا يدفع شر، وأنه لا خير في الدنيا والآخرة إلا خير الله، فكل خير فيها فهو من الله تعالى، تفضلاً على عباده، وإحساناً إليهم، وأن الإلهية كلها لله ليس فيها لأحد من الملائكة والأنبياء عليهم السلام فضلاً عن أن يشرك بها ما يراه ويسمعه ومما يتشاءم به.

ومما تقدم من الآيات والأحاديث، يعلم طالب النجاة، والراغب في الحفاظ على دينه، والسلامة من الشرك دقيقه وجليه: أن التطير والتشاؤم والتعلق بالطير وغيرها من المخلوقات من عمل أهل الجاهلية المشركين، ومن الشرك بالله سبحانه، وقد سدّ الإسلام جميع الذرائع التي توصل إليه، سواء كان ذلك قبل التطير[3]، أو بعد هجوسه[4]، أو بعد التطير[5]، بأن جعل له كفارة تكفر عنه ما علق في قلبه، فالواجب تركه، والحذر منه، والتواصي بتركه، والإنكار على من فعله.

---

(١) المرجع السابق (١٤/ ٢٢٤).

(٢) مصنف عبد الرزاق (ح١٩٠٥١) (١٠/٤٠٣)، قال عنه النووي: حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناده صحيح. قال الألباني: وفي التصحيح المذكور نظر لأن عروة بن عامر مختلف في صحبته، ثم إن فيه عنعنة مدلس، فانظر الكلام الطيب رقم التعليق (١٩٣).

(٣) كما في حديث: (أقروا الطير على أوكارها).

(٤) كما في: (ثلاثة لا يسلم منهن ابن آدم...).

(٥) كما في: (إذا رأى أحدكم ما يكره...).

فواجب المؤمنين أن ينتبهوا إلى عبث الدجّالين بإشاعة فكرة التشاؤم بينهم ووسائل استطلاع الغيب، هذه الفكرة التي يصير بها الإنسان أسير الوهم بكلمة يسمعها، أو بيوم يمر عليه، أو منظر يراه، وواجبهم أن يطهروا قلوبهم من هذه الأوهام، وأن يقوموا على أعمالهم وتصرفاتهم وقضاء مصالحهم متى اقتنعوا وعزموا عليها ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1]، معتمدين في ذلك على إيمانهم النقي، وعلى توفيق الله إياهم، وبذلك تسلم حياتهم وتستقر شؤونهم، وتسير بهم السفينة إلى شاطئ الأمان والاستقرار، ويجب على العلماء ألا يكتموا علماً يعلمونه وخاصة فيما يتعلق بأساس الدين وتطهير المعتقد، ومن واجبهم أن ينكروا صنيع العامة فيما يجنح إليه من التقاليد الموروثة.

فلا يحل أن تكتم النصيحة عن أحد من المسلمين ـ برّهم وفاجرهم ـ في أمر الدين، فمن كتم فقد غشّ المسلمين، ومن غشّ المسلمين فقد غشّ الدين، ومن غشّ الدين، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين[2].

قال ﷺ: «الدين النصيحة»، قلنا: لِمَنْ؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[3].

❑ ❑ ❑

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

(٢) شرح السنّة، لابن خلف البربهاري (ص٣٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس (٣/ ١٩٣ ـ فتح) بلفظ النصح لكل مسلم، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٢/ ٣٧ ـ النووي).





الباب الثاني

الفصل الأول: معنى الفأل، وفيه مباحث:

المبحث الأول: معنى الفأل لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: الفرق بين الطيرة والفأل.

المبحث الثالث: صورة وأمثلة من الفأل.

الفصل الثاني: حكم الفأل تفصيلاً، وفيه مباحث:

المبحث الأول: أمر القرآن والسنة بالفأل.

المبحث الثاني: كلام أهل العلم بالفأل.

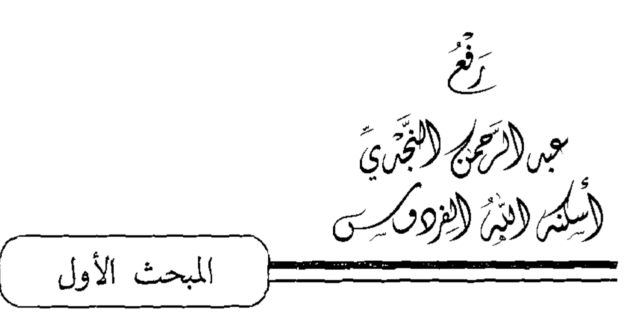
المبحث الثالث: أثر الفأل في حياة المسلم.





الفصل الأول

معنى الفأل



المبحث الأول

معنى الفأل لغة واصطلاحاً

الفأل لغة:

الفأل: جمعه فؤول وأفؤل.

قال الجوهري[1]: الجمع أفؤل، وأنشد الكميت[2]:

ولا أسأل الطير عما تقول ولا تتخالجني الأفؤل[3]

وقد تفاءل به، وتفأل، والافتئال، افتعال منه.

والتفئيل: تفعيل.

ولا فأل عليك: لا طير.

ورجل فئل اللحم: ككتف، كثيره[4].

والفأل: ما يتفاءل به ضد الطيرة[5].

قال ابن الأثير[6]: (يقال: تفاءلت بكذا وتفألت، على التخفيف والقلب وقد أولع الناس بترك الهمزة تخفيفاً)[7].

الفأل اصطلاحاً:

لم يذكر أغلب أهل اللغة معنى الفأل، وإنما ذكروا صفته، فقد قال

(١) سبق التعريف به (ص٤٦).

(٢) الكميت بن زيد الأسدي الكوفي، مقدم شعراء وقته، قيل: بلغ شعره خمسة آلاف بيت، كان شيعياً، توفي سنة ١٢٦هـ.
انظر ترجمته في: السير (٥/٣٨٩).

(٣) انظر: لسان العرب (١٠/١٦٧).

(٤) انظر: القاموس المحيط (٤/٢٨).

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/٣٦٨).

(٦) سبق التعريف (ص٣٤).

(٧) النهاية لابن الأثير (٣/٤٠٥).

الزمخشري[١]، والفيومي[٢]، الفأل: هو أن يسمع الكلمة الطيبة، فيتيمن بها[٣]. قال الأصمعي: سألت ابن عون[٤] عن الفأل، فقال: أن يكون مريضاً فيسمع: يا سالم، أو يكون باغياً فيسمع: يا واجد)[٥].

وقال الرازي[٦]، والفيروزآبادي[٧]، وابن الأثير[٨]: (أن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر قول: يا سالم، أو يكون طالباً فيسمع آخر يقول: يا واجد)[٩].

وقد عرّفه القرافي[١٠]: بأنه ما يظن عنده الخير عكس الطيرة غير أنه تارة يتعين للخير وتارة للشر وتارة متردد بينهما.

---

(١) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، كبير المعتزلة صاحب الكشاف والمفصل، توفي سنة ٥٣٨هـ.
انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/ ٨١)، الإعلام (١٧٨/٧).

(٢) أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، لغوي، اشتهر بكتابه: المصباح المنير، ولد ونشأ بالفيوم بمصر، توفي سنة ٧٧٠هـ. الإعلام (١/ ٣١٤)، الدرر الكامنة (٢٢١/١٢).

(٣) انظر: المصباح المنير (٢/ ٦٦٤)، أساس البلاغة (٢/ ١٨١).

(٤) عبد الملك الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، البصري، ثقة، وكان من أهل العربية، توفي في البصرة سنة ٢١٣هـ.
انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٦٥/ ٣٦٨).

(٥) عبد الله بن عون بن أرطبان المزني، مولاهم أبو عون الخزار البصري، كان ثقة وكثير الحديث ورعاً، توفي سنة ١٥١هـ.
انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (١/ ٣٠٣).

(٦) سبق التعريف (ص١٦٣).

(٧) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم، أبو طاهر مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي، من أئمة اللغة والأدب، صاحب كتاب القاموس المحيط. انظر: الأعلام (١٤٦/٧).

(٨) سبق التعريف (ص٣٤).

(٩) انظر: مختار الصحاح (ص٤٨٩)، وانظر: القاموس المحيط (٤/ ٢٨)، وانظر: النهاية (٣/ ٤٠٥)، وانظر: أساس البلاغة (٢/ ١٨١)، وانظر: المصباح المنير (٢/ ٦٦٤).

(١٠) شهاب الدين أبي العباس، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي، المشهور بالقرافي، من علماء المالكية، مصري المولد والمنشأ والوفاة، توفي سنة ٦٩٤هـ. من مؤلفاته: الفروق. انظر: الأعلام (١/ ٩٤).

فالمتعين للخير مثل الكلمة الطيبة الحسنة، يسمعها الرجل من غير قصد، نحو: يا فلاح، ويا مسعود، ومنه تسمية الولد والغلام بالاسم الحسن، حتى متى سمع استبشر القلب، ومثل المنظر الحسن يراه الرجل من غير قصد فيستبشر به[1].

وقد فسّر الرسول ﷺ معنى الفأل: بأنه الكلمة الطيبة. عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل»، قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة»[2].

ومن خلال أقوال أهل العلم في صفته وقول الرسول ﷺ في تفسير الفأل نخرج بتعريف الفأل هو: ترجيح أسباب النجاح في عمل من الأعمال وتأميل الخير، أو بمعناه المحدود هو توقع الخير.

❑ ❑ ❑

---

(١) انظر: الفروق للقرافي (٤/ ٢٤٠)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٤١).

(٢) سبق تخريجه (ص١٣٣).

المبحث الثاني

الفرق بين الفأل والطيرة

التفاؤل والتيمن: هو سنّة الحياة، والتشاؤم نشوزها، والتفاؤل سنّة العمل وسنّة الفطرة التي يدين بها الوجدان قبل أن تدين بها الأذهان، ففيه ارتياح واستبشار، وظفر وفوز، وهو عنوان الثقة بالله فتنشرح له النفس، وتستبشر بقضاء الحاجة وبلوغ الأمل.

أما التشاؤم والشؤم فإنه يبعث في النفس الإحجام واليأس من الظفر والنجاح، ويدعو إلى التخاذل والإيحاء بالفشل فتضعف الروح المعنوية، ويسوء الظن بالله.

(فالشؤم: سوء ظن بالله ﷻ من غير سبب ظاهر يرجع الظن إليه ويبني في الحقيقة عليه، والتيمن بالفأل الحسن، حسن الظن بالله تعالى وتعليق حسن الأمل به، وذلك بالإطلاق، محمود، وأما إساءة الظن به عز اسمه من غير أمارة ظاهرة وسبب معروف فمذمومة)[1].

ويمكن تلخيص الفرق بين الفأل والطيرة بما يلي:

ـ الفأل فيما يُسر ويسوء، والطيرة لا تكون إلّا فيما يسوء، وربما استعملت فيما يسر[2] مجازاً وكأن ذلك بحسب الواقع، أما الشرع: محض الطيرة فيما يسوء والفأل فيما يسر[3].

ـ الفأل من الطيرة ولكنه خيرها، يشهد لهذا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا طيرة وخيرها الفأل»، قالوا: وما الفأل يا

---

(١) المنهاج للحليمي (٢/ ٢٥)، وانظر: الفروق للقرافي (٤/ ٢٤١).

(٢) النهاية لابن الأثير (٣/ ٤٠٥). وانظر: شرح السنّة (١٢/ ١٧٥).

(٣) قاله النووي. فتح الباري (١٠/ ٢١٤ ـ ٢١٥).

رسول الله؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»[١].

يقول ابن القيم[٢] رحمه الله في شرح الحديث الآنف الذكر: (أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة وهو خيرها، فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها، ولكنه خيرها، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد، ونفع أحدهما ومضرة الآخر، ونظير هذا منعه من الرقي بالشرك وإذنه في الرقية إذا لم تكن شركاً لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة، فقوله ﷺ: «لا طيرة وخيرها الفأل»، ينفي عن الفأل مذهب الطيرة من تأثير أو فعل أو شرك ويخلص الفأل منها)[٣].

على أن الكرماني[٤] رحمه الله يرى أن هذه الجملة: «وخيرها الفأل»، إضافة إلى توضيح، فقال تبعاً لغيره: (هذه الإضافة تشعر أن الفأل من جملة الطيرة وليس كذلك بل هي إضافة توضيح.

ولكن ما أخرجه الترمذي من حديث حابس التميمي[٥]، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «العين حق، وأصدق الطيرة الفأل»[٦]، ففيه التصريح: أن الفأل من جملة الطيرة ولكنه مستثنى)[٧].

ـ أن بينهما قدراً مشتركاً أوضحه ابن حجر رحمه الله في قوله: (إن أفعل التفضيل في ذلك إنما هو بين القدر المشترك بين الشيئين، والقدر المشترك بين الطيرة والفأل تأثير كل منهما فيما هو فيه، والفأل في ذلك أبلغ)[٨].

مع أن هناك من أخذ من هذا القدر المشترك بينهما وهو التأثير على أنه لا خير فيهما[٩]، لكنني لست مع هذا التوجه، فالفأل خير وينبغي أن يكون سمة

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٣).
(٢) سبق التعريف به (ص٢٣).
(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٥١٣).
(٤) انظر التعريف به (ص٢٥٤).
(٥) حابس التميمي، روى عن النبي ﷺ، وليس هو والد الأقرع، وقد جزم ابن عبد البر أن اسم أبيه ربيعة.
انظر: تهذيب التهذيب (٢/ ١١٠).
(٦) سبق تخريجه.
(٧) فتح الباري (١٠/ ٢١٤).
(٨) حاشية المصدر السابق (١٠/ ٢١٤).
(٩) انظر: الدر النضيد على أبواب التوحيد، سلميان الحمدان (ص١٩٣).

المسلم فهو حسن الظن بالله ﷻ الذي يعلم السر وأخفى. ولهذا نجد الخطابي[1]، وهو إمام في اللغة يوضح لنا هذا المعنى بقوله: (وإنما كان ذلك لأن مصدر الفأل عن نطق وبيان، فكأنه خبر جاء عن غيب، بخلاف غيره فإنه مستند إلى حركة الطائر أو نطقه وليس فيه بيان أصلاً إنما هو تكلف ممن يتعاطاه)[2].

ـ الفأل تقوية للعزيمة وتحضيض على البغية وإطماع في النية، أما المتفائل يلتزم بروح التفاؤل وتمتلئ نفسه ثقة وإشراقاً، فيستهين بكل شدة ويستسهل كل صعب ويرضى بما حل به بكل صبر وقوة وثبات.

والطيرة تكسر النية، وتصد عن الوجهة وتثني العزيمة، فهي سبباً للشر والكآبة والهموم فتنغص على المرء حياته، وتحيل سعادته إلى شقاء وفرقة وحزن وأمله إلى خيبة، وسروره إلى تعاسة، فكم شاهدنا من الناس من ينظر إلى الحياة بنظرة قاتمة واستنتاجات تقوم على أشياء لا أصل لها.

ـ الطيرة فيها يأس وتوقع بلاء، والفأل فيه رجاء الخير، ورجاء الخير أحسن بالإنسان من اليأس وقطع الرجاء عن الخير[3].

ـ الفأل والطيرة وإن كان مأخذهما سواء ومنبتهما واحد فإنهما يختلفان بالمقاصد ويفترقان بالمذاهب، فما كان محبوباً مستحسناً تفاءلوا به وسموه الفأل وأحبوه ورضوه، وما كان مكروهاً قبيحاً منفراً تشاءموا به وكرهوه وتطيروا منه وسمّوه طيرة تفرقة بين الأمرين وتفصيلاً بين الوجهين.

سئل بعض الحكماء فقيل له: ما بالكم تكرهون الطيرة وتحبون الفأل؟ فقال لنا: الفأل عاجل البشرى وإن قصر عنه الأمل، ونكره الطيرة لما يلزم قلوبنا من الوجل، وهذا الفرقان حسن جداً، وأحسن منه ما قاله ابن الرومي[4] في ذلك: الفأل لسان الزمان والطيرة عنوان الحدثان[5].

ـ من الفروق كذلك: أن الطيرة والتطير لم يحكها الله إلا عن أعداء

---

(١) سبق التعريف به (ص١٤٠).
(٢) فتح الباري (١٠/ ٢١٤).
(٣) انظر: شرح السنّة (١٢/ ١٧٥)، وانظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (ص٢٧٦).
(٤) سبق التعريف به (ص٨٨).
(٥) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٥).

الرسل، كما قالوا لرسلهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ۝١٩﴾[١].

بينما الفأل يدعو إليه القرآن ويحث عليه، فقد قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾[٢].

ـ الفأل إبانة والتطير استدلال، والإبانة أكثر وأشهر وأوضح وأفصح، لأن من كان في قلبه وضميره شيء فسمع قائلاً يقول: قل الخير وامض بسلام أو أبشر أو نحو ذلك، فقد اكتفى بما سمع من الاستدلال، والذي يرى طائراً يصيح أو ينوح، فليس معه إلا الاستدلال على اليمن بالسانح والشؤم بالبارح، وهذا أمر قد يكون، وقد لا يكون، وذلك الفأل في الأعم يكون[٣].

ـ إن المتشائم من الشيء المرئي أو المسموع، إذا استعملها الإنسان وتراجع بهما من سفره، وامتنع بهما مما عزم عليه، فقد قرع باب الشرك، بل ولجه، وبرئ من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله، والتطير مما يراه أو يسمعه، وذلك قاطع له عن مقام ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، واعبده وتوكل عليه، ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾، فيصير قلبه متعلقاً بغير الله عبادة وتوكلاً، فيفسد عليه قلبه وإيمانه وحاله، ويبقى هدفاً لسهام الطيرة ويساق إليه من كل أوب ويقيض له الشيطان، من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه، وكم هلك بذلك وخسر الدنيا والآخرة، فأين هذا من الفأل الصالح السار للقلوب المؤيد للآمال الفاتح باب الرجاء المسكن للخوف، الرابط للجأش، الباعث على الاستعانة بالله والتوكل عليه والاستبشار المقوي لأمله السار بنفسه فهذا هو الطيرة.

ـ الفأل رجوع إلى قول مسموع وأمر محسوس، يحسن معناه في العقول، فيدخل للنفس وقوع مثل ذلك المعنى، ويحسن الظن بالله سبحانه ورجاء الخير منه بادئ سبب لا يقبح، والطيرة أخذ المعاني من أمور غير محسوسة ولا معقولة ولا معنى يشعر العقل بما يتوقع من ذلك فلهذا فارقت الفأل.

---

(١) سورة يس: الآيتان (١٨ ـ ١٩).
(٢) سورة الحجر: الآية (٥٦).
(٣) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٠).

ـ الطيرة لا تقع إلا على أمر مكروه، والفأل يقع على ما يحب ويكره، والمستحسن منه ما يحب، وأما ما يكره فيتقي وإلا كان ـ وهو أحد قسمي الفأل ـ طيره[1].

ـ الفأل تقوية لمن فعله بإذن الله، توكل عليه، والطيرة معارضة لذلك، فيُكره للإنسان أن يتطير وإنما تضر الطيرة من تطير[2].

ـ الفأل خير من الطيرة، لأن مصدره عن نطق وبيان، فكأنه خير جاءك عن غيب، أما شؤم الطير وبروحها، فليس فيه شيء من هذا المعنى وإنما هو تكلف من المتطير وتعاط لما لا أصل له في نوع علم وبيان، إذ ليس للطير والبهائم نطق ولا تميز، فيستدل بنطقها على مضمون معنى فيه وطلب العلم من غير مظانه جهل، فلذلك تركت الطيرة واستؤنس بالفأل[3].

ـ الفأل الحسن لا يخل بعقيدة الإنسان ولا بفعله وليس فيه تعليق الخلق بغير الله، بل فيه من المصلحة النشاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة.

ـ فالفأل يقضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد، والطيرة تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك[4].

ـ وأخيراً الطيرة تفضي إلى تعطيل قوة التحدي عند الإنسان المؤمن بها فهي عامل سلب، ونقيض الاعتقاد بها عامل إيجاب، فالطيرة عامل سلبي والفأل عامل إيجاب إلى العمل والثقة بالله ﷻ.

❑ ❑ ❑

(١) انظر: المعلم بفوائد مسلم، للإمام المازري (٣/ ١٠٤).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٨١).
(٣) انظر: أعلام الحديث، للخطابي (٣/ ٢١٣٦).
(٤) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧).

المبحث الثالث

صور وأمثلة من الفأل

صور من تفاؤل النبي محمد ﷺ:

عن بشير[1] قال: أوفدني قومي بنو الحارث بن كعب إلى النبي ﷺ، فلما أتيته قال لي: «مرحباً ما اسمك؟»، قلت: كثير، قال: «بل أنت بشير»[2].

وعن أبي حدر[3] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من يسوق إبلنا هذه؟» فقام رجل، فقال: أنا، فقال: «ما اسمك؟» قال: فلاناً، قال: «اجلس»، ثم قام آخر فقال: «ما اسمك؟» قال: فلان، قال: «اجلس»، ثم قام آخر، فقال: «ما اسمك؟» قال: ناجية، قال: «أنت لها فسقها»[4].

التفاؤل عند العرب وما تفاءلوا به:

كان التفاؤل كذلك معروفاً في الجاهلية، فعلى الرغم من أنهم كانوا

---

(١) بشير الحارثي، والد عصام بن بشير، له صحبة، كان اسمه كثير، فسماه النبي ﷺ بشيراً. قال البغوي: لا علم له حديثاً غير حديث تغيير النبي ﷺ اسمه.
انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٤١٣).

(٢) مستدرك الحاكم، كتاب الآداب (٤/ ٢٧٥)، قال عنه: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي: صحيح في التلخيص الحبير، هامش المستدرك.

(٣) قيل: اسمه عبد، قاله أحمد، وقيل: عبيد، وقيل: سلامة بن سعد بن الحارث بن عبس، روى عن النبي ﷺ، توفي سنة ٧١هـ.
انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (١٢/ ٧٢).

(٤) مستدرك الحاكم، الآداب (٤/ ٢٧٦)، قال عنه: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
قال الهيثمي بمجمع الزوائد: رواه الطبراني عن طريق أحمد بن بشير عن عمه، ولم أر فيه جرحاً أو تعديلاً، وبقية رجاله ثقات (٨/ ٤٧).
وفعل الرسول ﷺ ذلك، ليس من قبيل التطير كما قلنا، ولكن ربما يكون مقصده الدعوة إلى تحسين الاسم، وكذلك حتى لو حدث شيء للإبل بقدر الله، لا يظن الناس وهم حديثو عهد بجاهلية أنه بسبب سائق الإبل.

يتشاءمون ببعض الأشياء كانوا كذلك يتفاءلون بالبعض الآخر، وربما حولوا ما يتشاءمون منه إلى أسماء حسنة حتى يبعدوا عنه الشؤم ويتفاءلوا به، مثل البرص فتكنى منه بالوضح، وقولهم للفلاة مفازة، لأن القفار في ركوبها الهلاك، وكان حقها أن تسمى مهلكة، ولكنهم اجتنبوا لفظها تطيراً وعكسوه تفاؤلاً، وقولهم للديغ: سليم، تفاؤلاً[1].

ويسمون العطشان ناهلاً أي: سينهل، والنهل: الشرب، تفاؤلاً باسم الري.

وكذلك كانت لهم مذاهب في تسمية أولادهم، فمنهم من سموه بأسماء الظفر تفاؤلاً بالظفر على أعدائهم، نحو: غالب، وغلاب، ومالك، وظالم، وعارم، ومُنازل، ومقاتل، ومُعارك، ومسهر، ومؤرق، ومصبح، وطارق.

ومنهم من تفاءل بالسلام، كتسميتهم بسالم وثابت ونحوه، ومنهم من تفاءل بنيل الحظوظ والسعادة كسعد وسعيد وأسعد وسعود وسعدى وغانم ونحو ذلك.

ومنهم من قصد التسمية بأسماء السباع ترهيباً لأعدائهم، نحو: أسد وليث وذئب وضرغام وشبل، ونحو ذلك.

ومنهم من قصد التسمية بما غلظ وخشن من الأجسام تفاؤلاً بالقوة، كحجر وصخر ونحو ذلك[2].

هذه صورة من صور التفاؤل عندهم، وإليك صورة أخرى تتمثل بتعليق الحلي والجلاجل على اللديغ، حيث يرون أنه يفيق بذلك ويقال: أنه إنما يعلق عليه لأنهم يرون إن نام سرى السم فيه فيهلك، فشغلوه بالحلي والجلاجل وأصواتها عن النوم، فكانوا يقولون: أنه إذا علق عليه حلي الذهب برأ وإن علق الرصاص أو حلي الرصاص مات، وقيل لبعض الأعراب: أتريدون سهرة؟ فقال: أن الحلي لا تسهر ولكنها سنّة ورثناها[3].

فترى أنهم كانوا يتفاءلون بالذهب، اعتقاداً منهم أنه يشفي، أو يمنع

---

(١) انظر: الحيوان (٣/٤٥٧).
(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/٢٤٦).
(٣) انظر: بلوغ الأرب (٢/٣٠٤).

سريان السم ولم يكن القصد من التعليقة هو السهر حتى لا يسري السم في بقية أنحاء الجسم.

وصورة أخرى من تفاؤلهم تمثلت بالتفاؤل بالهدهد وغيرها، فهم تفاءلوا بالهدهد إلى أبعد حد، لأنهم زعموا أنه كان يهدي سليمان ﷺ إلى مواضع الماء في أعماق الأرض، وزعموا أن الله آثره بالقنزعة التي على رأسه مثوبة له على بره بأمه[1]، لأنها لما ماتت جعل قبرها على رأسه، فهذه القنزعة عوضاً عن تلك الوهدة[2].

ومما تفاءلوا به الدجاجة، وذلك لما ولد لسعيد بن العاص، عنبسة بن سعيد، قال لابنه يحيى: أي شيء تنحله؟ قال: دجاجة بفراريجها، يريد احتقاره بذلك، إذ كان ابن أمه ولم يكن ابن حرة، فقال سعيد ـ أو قيل له ـ: إن صدق الطيرة ليكونن أكثرهم ولداً فهو اليوم أكثرهم ولداً، وهم بالكوفة والمدينة[3].

ومن الصور:

التفاؤل باختلاج العين، وذلك أن الرجل منهم كان إذا اختلجت عينه قال: أرى من أحبه، فإن كان غائباً توقع قدومه، وإن كان بعيداً توقع قربه.

قال بشر[4]:

إذا اختلجت عيني أقول لعلها   فتاة بني عمرو بها العين تلمع[5]

وهذا الوهم باق في الناس لليوم، وربما كان ذلك لدى البعض منهم

---

(١) نرى أن العرب ترى أهمية البر بالوالدين بالرغم من جهلهم وعدم معرفتهم بأن ذلك من أوجب الواجبات إلا أن لديهم بعض العادات المستحبة، صدق الرسول ﷺ، إذ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». أخرجه أحمد (٢/٣١٨)، الحاكم (٢/٦١٣)، قال الألباني: إسناده حسن، سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٧٥).

(٢) القنزعة: الوهدة التي تعلو رأس الهدهد.

(٣) انظر: نهاية الأرب (٢/١٤٣).

(٤) قاله بشر بن أبي خازم بن عوف بن مدركة، شاعر جاهلي من بني أسد، لا يعرف متى ولد ومتى مات.
انظر ترجمته في: الشعر والشعراء (ص٢٢٧)، ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي (ص٧).

(٥) ديوان بشر بن أبي خازم (ص٩١).

كالقاعدة المطردة[١]، ولكن بالعين اليمنى فقط، أما اليسرى فيتشاءمون منها.

ومن أفعالهم أيضاً التي قد تكون شركاً بالله ﷻ ويستعينون بها لحفظهم، وذلك تفاؤلاً تعليق كعب أرنب.

قال ابن الأعرابي: قلت لزيد بن كثرة: أتقولون أن من علق عليه كعب أرنب لم تقربه جنان الدار ولا عمَّار الحي؟ قال: أي والله ولا شيطان الحماطة[٢]، ولا جار العشيرة[٣]، ولا غول الفقر[٤].

وقيل: كانت العرب تعلق على الصبي سن ثعلب، وسن هرة، خوفاً من الخطفة والنظرة، هذا من الشرك بالله ﷻ، فمن اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة فهذا شرك أكبر، وهو شرك في الربوبية، حيث اعتقد شريكاً مع الله في الخلق والتدبير، وشرك في العبودية، حيث مآله لذلك وعلق به قلبه طمعاً ورجاء لنفعه.

وإن اعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده، ولكن اعتقدها سبباً يستدفع بها البلاء، فقد جعل ما ليس سبباً شرعياً ولا قدراً سبباً وهذا محرم[٥].

يروى عن عبد الله بن حكيم[٦] مرفوعاً: «من تعلق شيئاً وكل إليه»[٧].

مما قيل في الفأل: أنه لما طلب عامر بن إسماعيل مروان بن محمد، اعترضه الغيرم ـ قوم من العرب ـ، فسأل رجلاً: ما اسمك؟ فقال: منصور بن سعد، وأنا

---

(١) انظر: بلوغ الأرب (٢/ ٣٢١).

(٢) الحماطة وهو شجر شبيه بالتين، وهو أحب شجر إلى الحيات.
انظر: بلوغ الأرب (٢/ ٣٢٤).

(٣) العشيرة: وهي تصغير العشرة وهي شجرة أيضاً. انظر: بلوغ الأرب (٢/ ٣٢٤).

(٤) انظر: بلوغ الأرب (٢/ ٣٢٤).

(٥) انظر: القول السديد، شرح كتاب التوحيد للسعدي (ص٣٢).

(٦) عبد الله بن حكيم الضبي، كان اسمه عبد الحارث فغيره الرسول إلى عبد الله. انظر: ميزان الإصابة (٢/ ٢٩٨).

(٧) رواه أحمد (٤٠/ ٣١٠)، الترمذي، الطب، باب جاء في كراهية التعليق (٦/ ١٩٦ ـ التحفة)، الحاكم (٤/ ٢١٦)، البيهقي (٩/ ٣٥١)، صححه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ٢٠٨).

من سعد العشيرة، فتبسم تفاؤلاً وتيمناً، واستصحبه، فظفر بمروان تلك الليلة[١].

ومن أمثلة ما يتفاءل به كذلك:

الغراب إذا صاح صيحة واحدة.

الريحان يتفاءل به لأنه مشتق من الروح.

التفاءل عند المعاصرين:

ومن ضروب التفاؤل، أنه متى وصلت العروس إلى بيت الزوج، فقبل دخولها الباب، يرش عليها الماء، لتكون باردة على الزوج وأهل البيت، وعند الدخول توضع رجلها في ماء بارد، وسدر، لتكون على أهل المنزل خضراء مباركة، بمعنى أنه لا يصاب زوجها ولا يفتقر، وإذا وصلت المجلس جلست على كرسي مرتفع، ووضع في حجرها ولد تفاؤلاً، وليكون أول حملها بالولد الذكر[٢].

كذلك من شعر بالحكة في باطن قدم رجله اليمنى قال: صديق يذكرني، وإن كان الأكل في صفحة الرجل المذكورة قال: صديق لي يذكرني وهو جوعان، فإن كان بمؤخرة الرجل وبالرجل اليسرى قال: هذا عدو يغتابني ويطعن بعرضي، وإذا حكه بواطن كفيه قال: أمسك بهما لحماً أو دراهماً، أو يقع على أمر مكروه، فاصفق بهما بعضهما على بعض، وإذا حكه خده قال: سوف يحصل على أمر تدمع له عيناي، أو مطر يضرب على وجهي، وإذا رفّت عيناه قال: هذا نذير المطر، وإذا احتبط شيء من لحم جسده، قال: سوف يحدث علي أمر عظيم يهمني، وإذا حكته شفتاه، قال: غائب يقدم وأقبله، وإذا هرت النار أجابها قائلاً: ذاكر خير، هذا واحد يتكلم فيّ، وإذا طار شرر النار، قال: ضيوف يقدمون علينا بعدد الشرر، أو غائب يصل إلينا قريباً[٣].

وهناك من يتفاءل بلمس الحديد، فمن حسن حظك مثلاً ـ على رأيهم ـ أن تعثر على دبوس ملقى على الأرض فتلتقطه، وتغرزه في مكان خفي من ثنية معطفك، فإذا أهملت هذا كان شؤماً عليك.

---

(١) انظر: نهاية الأرب، للنويري (٣/ ١٤٤).

(٢) الإيضاحات السلفية لبعض المنكرات والخرافات، عبد الله بن سعد الغامدي (ص١٦).

(٣) المصدر السابق (ص٦٠).

وكذلك حدوة الفرس، فهي رمز الحظ السعيد، وهي موجودة مسمّرة على أبواب المنازل، ومصوّرة على بطاقات التهنئة وكعكة العرس[1]، وكذلك نجدها مصنوعة من الأساور والسلاسل الذهبية[2]، وقد أجرى الدكتور عبد الرحمن عيسوي[3] بحثاً على (٦٠٤) من طلاب وطالبات في لبنان، ووجد أن (٩٢,٧٪) منهم ومنهنّ يرى أن تعليق حدوة الحصان على مدخل الدار يجلب الحظ الحسن[4].

ويضع بعض النصارى في مصر، تمساحاً على باب البيت لجلب السعد[5].

حتى أرباب الأقلام وأصحاب المؤلفات، فقد أشار مؤلف كتاب «شمس وليل» إلى أنه يتفاءل عند سفره بحلة معينة يلبسها[6]، حتى إنه أصبح هناك تعويذات تباع لجلب الحظ، فقد ذكرت لي بعض الأخوات أن أختها عندما قدمت من الولايات المتحدة أحضرت معها بعض الأحجار وتقول: لا أعرف كيف تم خداعي وصدقت أنها فعلاً تجلب الحظ.

واقرأ معي بعض الأفعال التي يعتقد من أعمى الله بصيرتهم أنها تجلب الحظ، كما نشرت بعض وكالات الأنباء في ١٩٩٢/٧/٢٥م، لنطلع على نفسيات بعض أناس القرن الحادي والعشرين الذين لا يزالون يؤمنون بالخرافات، ويعتقدون أن من الحجارة أو المعدن ما يرد قدر الله ﷻ عما يعتقدون:

- رياضية من أمريكا تتفاءل بقبعة حققت انتصارات وهي تلبسها.
- رياضية أخرى من أمريكا تتفاءل بدمية دبة.
- ومصارع برتغالي يتفاءل بزوج من الأحذية.
- وعدّاءة من جامايكا تتفاءل بساعة أهداها لها صديقها لأنها ـ كما تزعم ـ تجلب لها كثيراً من الحظ.

---

(١) انظر: خرافات سائدة في حياة البشر، مقال مجلة العربي، شوال ١٣٩٢هـ، (ص١٥٤).

(٢) المرجع السابق (ص١٥٥).

(٣) وهذا من الغرب الذي يقصد منه إفساد العقائد، وصدق القائل:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ... ومن لم يعرف الشر من الخير يكد يقع فيه

(٤) انظر: سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي (ص٢٢، ٨٢، ١٢٧، ٢٣٥).

(٥) الألوهية في العقائد الشعبية (ص١٧٠). (٦) المرجع السابق (ص١٧٠).

وفي النهاية يقول أحدهم: لا أعتقد أنني التقيت قط برياضي غير متطير، فبعضهم يرفض حتى تغيير أغطية الأسرة لاعتقادهم أن ذلك يجلب سوء الحظ.

ومن خلال تلك الصور، نطرح السؤال التالي ونجيب عليه، هل هذا هو الفأل الذي كان يحبه الرسول ﷺ وكان يعمل به؟

الشرط في صحة الفأل:

بالطبع لا، لأن من شرط الفأل أن لا يعتمد عليه، وأن لا يكون مقصوداً، بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له بالاً.

ولعل ما مر في الصفحات السابقة، يعطي الإجابة الوافية على هذا السؤال، ولكن لكي يتضح لنا بعد الناس عن المنهج الصحيح وسلوكهم المسلك السيئ المتمثل في الانحراف عن العقيدة الصحيحة وارتكاب البدع الذميمة المخالفة لما يحبه رسول الله ﷺ والمتمثل بأخذ الفأل من المصحف. ويروى أن أول من أحدث هذه البدعة بعض المروانية[1]، وأن أحدهم تفاءل يوماً ففتح المصحف فاتفق لاستفتاحه قول الله ﷻ: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ الآيات، فيقال: أنه أحرق المصحف غضباً من ذلك، وقال أبياتاً لا تسود بها الأوراق[2].

فالفأل إذا قصده المتفائل فهو طيرة كالاستقسام بالأزلام، وقد روي عن الإمام أحمد رحمه الله في تعريف الطيرة، من حديث الفضل بن عباس[3]: (إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك)[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أما استنتاج الفأل من المصحف: فلم ينقل عن السلف فيه شيء، وقد تنازع المتأخرون فيه.

---

(١) سلالة من الأكراد، حكمت في ديار بكر (٣٨٠ ـ ٤٨٩هـ)، قضى عليها السلاجقة. انظر: الكامل في التاريخ (٧/ ١٤٣)، والمنجد في اللغة والأعلام (٢/ ٥٤٠).

(٢) معارج القبول (٢/ ٣٢٤)، والآية سورة إبراهيم: الآية (١٥).

(٣) الفضل بن عباس بن إبراهيم، ويقال: ابن مهدي، ويقال: ابن مهران أبو العباس الحلبي البغدادي الأصل، وثقه النسائي.
انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٨/ ٢٥١).

(٤) سبق تخريجه (ص٤٤).

وذكر القاضي أبو يعلى[1] فيه نزاعاً، ذكر عن ابن بطة[2]، أنه فعله، وذكر عن غيره أنه كرهه، فإن هذا ليس الفأل الذي يحبه رسول الله ﷺ فإنه كان يحب الفأل ويكره الطيرة، والفأل الذي يحبه رسول الله ﷺ هو أن يفعل أمراً أو يعزم عليه متوكلاً على الله فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره مثل أن يسمع، يا نجيح، يا مفلح، يا سعيد، يا منصور، ونحو ذلك)[3].

فمن هذا النقل نرى أن ابن تيمية رحمه الله يشترط في الفأل أن لا يكون مقصوداً لذاته.

والرسول ﷺ عندما يهم بأمر يسلك مسلك الاستخارة لله، والتوكل عليه، والعمل بما شرع له.

يقول ابن تيمية رحمه الله موضحاً أن المرء: (هو في كل واحد من محبته للفأل وكراهته للطيرة إنما يسلك مسلك الاستخارة لله والتوكل عليه، والعمل بما شرع له من الأسباب لم يجعل الفأل آمراً له، وباعثاً له على الفعل، ولا الطيرة ناهية له عن الفعل، إنما يأتمر وينتهي عن مثل ذلك أهل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام، وقد حرم الله الاستقسام بالأزلام في آيتين من كتابه[4]، وكانوا إذا أرادوا أمراً من الأمور، أحالوا به قداحاً مثل السهام أو الحصى، أو غير ذلك، وقد علموا على هذا علامة الخير وعلى هذا علامة الشر، وآخر غُفل، فإذا خرج هذا فعلوا، وإذا خرج هذا تركوا، وإذا خرج الغفل، أعادوا الاستقسام.

---

(١) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي ابن الفراء الحنبلي، انتهت إليه الإمامة في الفقه. ألّف مؤلفات عدة منها: أحكام القرآن، مسائل الأعيان، وغيرها كثير.
انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٢٠٥)، والسير (١٨/ ٨٩).

(٢) عبد الله بن محمد بن محمد بن حمدان أبو عبد الله العكبري، شيخ العراق، مصنف كتاب الإبانة الكبرى، توفي سنة ٣٨٧هـ.
انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ١٥)، السير (١٦/ ٥٢٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٦٦).

(٤) في قوله: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

فهذه الأنواع التي تدخل في ذلك مثل الضرب بالحصى، والشعير واللوح والخشب والورق المكتوب عليه حروف أو أبيات من الشعر، أو نحو ذلك ما يطلب به الخيرة مما يفعله الرجل ويتركه، ينهى عنها لأنها من باب الاستقسام بالأزلام، وإنما يسن له استخارة الخالق واستشارة المخلوق والاستدلال بالأدلة الشرعية التي تبين ما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه وينهى عنه)[١].

ونختم هذا الباب بحادثة وقعت لابن القيم رحمه الله حيث قال: (إني أضللت بعض الأولاد يوم التروية بمكة، وكان طفلاً فجهدت في طلبه والنداء عليه في سائر الركب إلى وقت يوم الثامن، فلم أعثر له على خبر، فيئست منه، فقال لي إنسان: إن هذا عجز، اركب وادخل الآن ـ أي مكة ـ فتطلبه فيها، فركبت فرساً، فما هو إلا أن استقبلت جماعة يتحدثون في سواد الليل في الطريق، وأحدهم يقول: ضاع له شيء فلقيه، فلا أدري انقضاء كلمته أسرع أم وجداني الطفل مع بعض أهل مكة في محلة عرفته بصوته)[٢].

نرى ابن القيم رحمه الله فعل الفأل الذي حثّ عليه الرسول ﷺ حيث كان ماشياً عازماً على البحث عن ابنه، وعندما سمع كلاماً به خير تفاءل خيراً بأن يجد ابنه، فكان ما ظن، فالله تعالى عند حسن ظن العبد به، فيجب على المسلم أن يكون شعاره حسن الظن بالله تعالى.

❑ ❑ ❑

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٣/٦٧، ٦٨).

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/٢٤٦).

الفصل الثاني

حكم الفأل تفصيلاً

وفيه مباحث:

المبحث الأول: أمر القرآن والسنة بالفأل.

المبحث الثاني: حكم أهل العلم بالفأل.

المبحث الثالث: أثر الفأل في حياة المسلم.

المبحث الأول

أمر القرآن والسنّة بالفأل

كما نهى الإسلام عن التطير وذكره عن أعداء الرسل، نجده يأمر بالفأل ويحث عليه في نصوص كثيرة من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

ورغم أنه لم ترد لفظة الفأل في القرآن الكريم، إلّا أن الله تعالى أمر بعدم اليأس والقنوط من رحمة الله ويدعو إلى الاستبشار خيراً وانتظار الفرج من عند الله.

فقد ذكر الله تعالى في سياق قصة يوسف عليه السلام، عندما يقول الأب الحاني يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾[1]، ويتوارى يوسف عليه السلام إلى حين، ويلحق به أخوه، ويعاني الأب حرارة الشوق ولوعة الفراق، فيلتمس الفرج من خلال الرجاء في لطف الله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[2]، ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3].

ويطلب من أبنائه عدم اليأس والتفاؤل بروح الله: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[4]، ولما كان هذا الشعور منه والثقة المطلقة بالله تعالى أعاد عليه من هو أهل للثقة ببنيه.

وهناك آيات كثيرة تدعو أيضاً إلى عدم القنوط واليأس من روح الله، فالذين اقترفوا السيئات وأشركوا بالله عز وجل ثم تابوا وأنابوا إلى الله فإنه يغفر لهم. قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ

(١) سورة يوسف: الآية (١٣).
(٢) سورة يوسف: الآية (١٨).
(٣) سورة يوسف: الآية (٨٣).
(٤) سورة يوسف: الآية (٨٧).

﴿ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[1].

واعتبر الذي ييأس ويقنط من روح الله ولا يتفاءل ويأمل الخير من الله تبارك وتعالى من القوم الكافرين أو الضالين.

قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[2]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[3].

وحتى إذا كثرت المصائب، فإن الله تبارك وتعالى يدعو إلى عدم اليأس والتشاؤم. قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾[4].

فالقرآن الكريم ـ كما مرّ ـ يأمر المؤمنين به والمعتقدين بصدق ما أمره فيه أن تسري فيهم روح صافية مفعمة بالتفاؤل.

وكذلك جاءت السنّة الشريفة دالة وحاثّة على التفاؤل، وموضحة فعل الرسول ﷺ الدال على ذلك.

فقد أخرج البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا طيرة، وخيرها الفأل»، قالوا: وما الفَأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»[5].

وذكر الإمام مسلم رحمه الله عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل»، قال: قيل: وما الفأل، قال: «الكلمة الطيبة»[6].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل

---

(١) سورة الزمر: الآية (٥٣).
(٢) سورة الحجر: الآية (٥٦).
(٣) سورة يوسف: الآية (٨٧).
(٤) سورة الشرح: الآيات (٥ ـ ٦).
(٥) البخاري، كتاب الطب، باب الفأل (١٠/ ٢١٤ ـ فتح)، مسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل ويكون في الشؤم (١٤/ ٢١٨ ـ نووي)، ومسند أحمد (٢/ ٢٦٦)، (٤٠٦)، البيهقي في السنن الكبرى، كتاب. . . ، باب العيافة والطيرة والطرق (٨/ ٢٤٠).
(٦) مسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم (١٤/ ٢١٩)، البيهقي (١/ ٢٤٠)، ومصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٤١)، الآداب، والترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة (١٠/ ٢١٤ ـ فتح).

الصالح والكلمة الصالحة»[1].

وفي المسند، عن عروة بن عامر، عن أحمد القرشي[2]، قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[3].

وعن مضارب بن حزن[4]، قال: قلت ـ يعني أبي هريرة ـ: هل سمعت من خليلك شيئاً تحدثنيه، قال: نعم، سمعته يقول ﷺ: «لا عدوى ولا هامة وخير الطير الفأل والعين حق»[5].

وفي رواية: حدثني شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ فقلت: قال رسول الله ﷺ: «الطير تجري بقدر، وكان يعجبه الفأل الحسن»[6]. قال ابن تيمية رحمه الله: الفأل الذي يحبه هو أن يفعل أمراً أو يعزم عليه متوكلاً على الله، فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره، مثل أن يسمع: يا نجيح، يا مفلح، يا سعيد، يا منصور، ونحو ذلك، كما لقي في سفر الهجرة رجلاً فقال: ما اسمك؟ قال: يزيد، قال: يا أبا بكر، يزيد أمرنا[7].

أما فعله عليه الصلاة والسلام:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ يعجبه إذا خرج لحاجته أن يسمع: يا راشد يا نجيح[8].

---

(١) أحمد بن عبد بن الله، القرشي المخزومي حجازي، قال عنه الذهبي: ليس بمشهور. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (١/ ٤٩).

(٢) سبق تخريجه (ص١٦٠).

(٣) مضارب بن حزن، ويقال: ابن بشر التميمي، ويقال: العجلي أبو عبد الله، البصري، كان قليل الحديث.

(٤) انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (١٠/ ١٥١).

(٥) المسند (٢/ ٤٨٧)، مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٤٠ ـ الآداب). قال الألباني: حسن. سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٤٢٦).

(٦) سبق تخريجه (ص٢٧١).

(٧) الفتاوى (٢٣/ ٦٦).

(٨) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٧٣)، والترمذي في السير، باب ما جاء في الطيرة (٣/ ٢٢٨)، وقال عنه: حديث حسن صحيح.

عن ابن بريدة عن أبيه[1] أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، وإذا أعجبه اسمه فرح به ورؤي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رؤي كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها وإن كره اسمها رؤي كراهية ذلك في وجهه[2].

وذكر البيهقي، عن أبي هريرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ: «أنه سمع كلمة من رجل فأعجبته، فقال: أخذنا فالك من فيك»[3].

وإذا تقرر أن الإسلام يدعو إلى التفاؤل وينفر من التشاؤم، فلا بد أن نعلم أن التفاؤل وحده لا يكفي بل لا بد أن ينبثق عنه عمل دائب وأخذ بالأسباب وذلك واضح من قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾[4].

❑ ❑ ❑

---

(١) بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي، أبو عبد الله، وقيل غير ذلك، أسلم قبل بدر ولم يشهدها، شهد خيبر وفتح مكة، توفي سنة ٦٣هـ، روى عنه أبيه عبد الله.
انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٣٧٨).

(٢) سنن أبو داود (٤/ ١٩)، كتاب الطب، باب في الطيرة والخط، وحسنه الحافظ في فتح الباري (١٠/ ١٨٢)، وشعب الإيمان للهيثمي (٢/ ٦٢)، باب التوكل والتسليم، المسند (٢/ ٣٨٨)، وصححه الألباني في السلسلة رقم (ح٧٢٦) (٢/ ٦٢).

(٣) شعب الإيمان (٢/ ٦٢).

(٤) سورة النساء: الآيتان (١٢٣ ـ ١٢٤).

المبحث الثاني

كلام أهل العلم في الفأل

تكلم أهل العلم في الفأل، فمنهم من وصفه أو عرَّفه، ومنهم من ذكر شرطه، ومنهم من بيّن اشتقاقه وأقسامه، ومنهم من شرح معنى الترخيص به.

وسبق أن ذكرنا أقوال بعض أهل العلم في معناه وفي شرطه[1]، ونذكر هنا ما قالوه في أقسامه، ومقصود الرسول ﷺ في معنى الترخيص بالفأل؛ أما من ذكر أقسامه منهم:

الكرماني[2] رحمه الله يقول: (إن الفأل ليس من جملة الطيرة)[3].

أما القرافي[4] رحمه الله فيذكر أن الفأل أعم مطلقاً من الطيرة، وأنه عبارة عما يظن عنده الخير أو الشر، وذلك تارة يتعين للخير، وتارة للشر، وتارة يتردد بينهم.

فالمتعين للخير مثل الكلمة الحسنة يسمعها الرجل من غير قصد، نحو: يا فلاح، يا مسعود، ومنه تسمية الولد والغلام بالاسم الحسن، حتى متى سمع استبشر القلب، ومثل المنظر الحسن يراه الرجل من غير قصد فيستبشر به، ومنه إرسال الرسول الحسن الوجه لقضاء الحوائج وطلب الحوائج ممن كان حسن الوجه أملاً في قضائها، فهذا فأل حسن مباح مقصود.

وأما الفأل الحرام، فقد قال الطرطوشي[5] في تعليقه: أنه أخذ الفأل من

---

(١) سبق بيان أقوالهم في تعريفه وكذلك في صور من التفاؤل.

(٢) محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، عالم بالحديث، ألّف كتاب الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، توفي سنة ٧٨٦هـ، في طريق بغداد. انظر ترجمته في: الإعلام (١٥٣/٧).

(٣) فتح الباري (٢١٤/١٠).

(٤) سبق التعريف به (ص٢٣٣).

(٥) محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أبو بكر، أديب من فقهاء =

المصحف، وضرب الرمل والقرعة[1]، والضرب بالشعير، وجميع هذه الأنواع حرام، لأنه من باب الاستقسام بالأزلام، والأزلام أعواد كانت في الجاهلية مكتوب على أحدهما افعل، وعلى الآخر غفل، وعلى الآخر لا تفعل، فيخرج أحدهما، فإن وجد عليه افعل أقدم على حاجته التي يقصدها، أو لا تفعل، أعرض عنها واعتقد أنها ذميمة، أو خرج المكتوب عليه غفل أعاد الضرب، فهو يطلب قسمه من الغيب بتلك الأعواد، فهو استقسام، أي: طلب القسم الجيد يتبعه، والردي يتركه، وكذلك أخذ الفأل من المصحف، أو غيره، إنما يعتقد هذا المقصد، وإن خرج جيداً اتبعه، أو رديئاً اجتنبه، فهو عين الاستقسام بالأزلام الذي ورد القرآن بتحريمه فيحرم، وما رأيته حكى في ذلك خلافاً[2].

فالفأل ينقسم إلى قسمين: قسم يأتي اتفاقاً وهو المباح، وقسم مقصود لذاته، والمقصود لذاته قد يكون محرماً، وقد يكون متردداً بين الإباحة والتحريم، فالمحرم الذي ينتهي عن العمل إذا خرج له لا تفعل، فكأنه استقسم الأزلام أو تطير، وأما المتردد بين الإباحة والتحريم، هو الذي يكتب عليه افعل فهو قد فعله، ولكن به شبهة الاستقسام بالأزلام، هذا والله أعلم.

قال الشاعر[3]:

وسميته يحيى ليحيا ولم يكن	إلى قدر الرحمن فيه سبيل
تفاءلت لو يغني التفاؤل باسمه	وما خلت فألاً قبل ذلك يقبل[4]

= المالكية، قيل عنه أن زهده وعبادته أكثر من علمه، من أهل طرطوش، توفي سنة ٥٢٠هـ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٩٢).
انظر: الأعلام (٥/ ١٢٣).

(١) القرعة: جائزة. فقد كان الرسول الله ﷺ يقرع بين زوجاته إذا أراد السفر.
انظر: فتح الباري، كتاب النكاح، باب القرعة بين النساء إذا أراد سفر (٩/ ٣١٠ فتح).

(٢) انظر: الفروق للقرافي (٤/ ١٤٠).

(٣) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن العلي الأسدي الكوفي، وكناسة لقب جده عبد العلي، ولد سنة ١٢٣هـ، توفي في الكوفة سنة ٢٠٧هـ. وله كتاب: الأنواء، ومعاني السفر وغيرها.
انظر ترجمته في: التاريخ الكبير (١/ ١٣٥)، السير (٩/ ٥٠٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٠٩).

وقد بيّن ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ، والحكمي[1] أنه يشترط في الفأل أن لا يكون مقصوداً إنما يأتي اتفاقاً ولا ينتهي به ولا يأتمر.

أما من شرح معنى الترخيص في الفأل:

قال الطيبي[2]: معنى الترخيص في الفأل والمنع من الطيرة أن الشخص لو رأى شيئاً فظنه حسناً، ومحرضاً على طلب حاجته، فليفعل ذلك، وإن رآه بضد ذلك فلا يفعله بل يمضي في سبيله فلو قبل وانتهى عن المضي... فهو الطيرة، الطيرة التي اختصت بأن تستعمل في الشؤم.

قال النووي[3]: أحب الفأل لأن الإنسان إذا أمل فائدة الله وفضله عند سبب قوي أو ضعيف فهو على خير، وإن غلط في جهة الرجاء فالرجاء له خير، وأما إذا قطع رجاءه وأمله من الله تعالى فإن ذلك شر له[4].

وهناك من أخبر أن الفأل والطيرة لا تأثير لهما، فهما لا خير فيهما.

فقد قيل: (إن كلًّا من الطيرة والفأل لا خير فيه، لأن أفعل التفضيل في ذلك إنما هو في القدر المشترك بين الشيئين، والقدر المشترك بين الطيرة والفأل تأثير كل منهما فيما هو فيه)[5].

ولكن لا نسلم للشيخ رَحِمَهُ اللهُ في هذا، لأن الفأل فيه رجاء من الله تَعَالَى، فيكون فيه خير وإن كان هو لا يؤثر على الشيء ولكن الله عند حسن ظن العبد به، كما أخبر الرسول عن الله: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء»، وقد قال ابن عون[6]: (مما جعل في غرائز الناس وتركيبهم استحبابه والأُنس به، وكما جعل على الألسنة من التحية بالسلام، والتبشير بالخير، وكما يقال: أنعم وأسلم، وأنعم صباحاً، وكما تقول الفُرس: عش ألف نوروز، والسامع لهذا يعلم أنه لا يقدم ولا يؤخر، لا يزيد ولا ينقص، ولكن جعل في الطباع محبة

---

(١) سبق التعريف به (ص١٦٧).
(٢) سبق التعريف به (ص١٧٠).
(٣) سبق التعريف به (ص١٣٨).
(٤) انظر: المفتاح (٢/٢٦٦ ـ ٢٦٧)، وانظر: فتح الباري (١٠/٢١٥).
(٥) الدرر النضيد (ص١٩٣)، قاله الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الحمدان.
(٦) سبق التعريف به (ص٢٣٣).

الخير، والارتياح للبشرى، والمنظر الأنيق، والوجه الحسن والاسم الخفيف، وقد يمر الرجل بالروضة المنورة فتسرّه وهي لا تنفعه، وبالماء الصافي فيعجب به، وهو لا يبشر به ولا يرده، وفي بعض الحديث أن رسول الله ﷺ كان يعجب بالأترج ويعجبه الحمام الأحمر، وتعجبه الفاغية ـ وهو نَور الحناء ـ وهذا مثل إعجابه بالاسم الحسن والفأل الحسن)[١].

قال ابن القيم رحمه الله: (ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك بل ذلك إبانة من مقتضى الطبيعة، وموجب الفطرة الإنسانية التي تمثل إلى ما يلائمها ويوافقها مما ينفعها كما أخبر الرسول ﷺ أنه حبّب إليه من الدنيا النساء والطيب، وكان يحب الحلواء والعسل، وكان يحب الشراب البارد الحلو ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان، ويستمع إليه، ويحب معالي الأخلاق ومكارم الشيم، وبالجملة يحب كل كمال وخير وما يفضي إليهما، والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم السلام والفلاح والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر والغنم والربح والطيب ونيل الأمنية والفرح والغوث والعز والغنى وأمثالها، فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع استبشرت النفس وانشرح لها الصدر، قوي بها القلب)[٢].

قال الخطابي[٣]: (إنما صار الفأل خير أنواع هذا الباب، لأن مصدره عن نطق وبيان، فكأنه خير جاءك من غيب)[٤].

□ □ □

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢١٦، ٢٦٧).
(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٤).
(٣) سبق التعريف به (ص١٤٠).
(٤) أعلام الحديث للخطابي (٣/ ٢١٣٦).

المبحث الثالث

أثر الفأل في حياة المسلم

نجد التوجيهات الإسلامية في الفأل، تحمل في ثناياها فكرة الإيحاء الحسن الذي نوّه علماء النفس بآثاره الحميدة في رفع معنويات المرء، ودعم ثقته بنفسه، وتقوية أمله في مستقبل أفضل.

فالفأل يفتح أمام المرء مجالات النشاط والعمل والإيجابية في الحياة وتجعله دائم الأمل في رحمة الله.

ولعل التفاؤل من أبرز عوامل نجاح الشخص في الحياة، وجعله يسعد في حياته ويفوز في أعماله ويبلغ ما يطمح إليه من آمال ومثل وسؤدد، فهو يغرس في النفس أموراً شتى ذات أثر إيجابي في مستقبل الشخص وفي خط سيره الحيوي، ويوطن النفس على أن تكون أكثر قدرة واستعداداً لمواجهة الحياة، وهو سلاح يرفعه صاحبه في وجه كل بلاء.

حتى في أشد حالات المؤمن كرباً، فيجب على الإنسان أن يتفاءل ويرجو رحمة ربه، فيعتقد أن الله رؤوف رحيم عفو كريم، فقد ذكر مسلم[1]، عن جابر[2] أن الرسول ﷺ قال: «لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»[3].

وفي رواية لمسلم بلفظ قال الله تعالى: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»[4].

---

(١) سبق التعريف به (ص٢٠٠). (٢) سبق التعريف به (ص١٣٣).

(٣) مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت (١٧/ ٢٠٩ ـ النووي).

(٤) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار (٥/ ٣١٨).

ويتابع الرسول ﷺ تزويد المؤمن بطاقات هائلة من قوة الروح وطمأنينة النفس حتى أنه ﷺ يصرح بأقصى غايات التفاؤل، وأبلغ معاني البشر والسعادة، وذلك بما رواه أبو داود والترمذي والحاكم عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[١].

كذلك يقوي فيه عقيدة الرجاء الشرعي الذي هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه، وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى، والفرق بين الرجاء والتمني: أن الرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل، أما التمني فيكون مع الكسل ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد.

لذا أجمع العلماء على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل[٢]، فالخوف والرجاء لا بد أن يكونا في قلب المؤمن، لأن انفراد الخوف يخاف منه القنوط واليأس، وانفراد الرجاء قد يؤدي إلى الجرأة على اقتراف المعاصي وترك الفرائض.

وروى الترمذي[٣]، عن أنس[٤] رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: كيف تجدك؟ فقال: أرجو الله يا رسول الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف»[٥].

---

(١) كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته لابن منده (٢/ ٤٥)، وأبو داود كتاب الجنائز، باب ما يستحب من حسن الظن بالله (٣/ ٨٩)، سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في التشديد عند الموت (٢/ ٢٩٤).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٧).

(٣) هو أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، أحد العلماء الحفاظ، صاحب الجامع، توفي سنة ٢٧٩هـ.
تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٣)، البداية والنهاية (١١/ ٧).

(٤) سبق التعريف به (ص٣٨).

(٥) أخرجه الترمذي، باب الجنائز، باب ما جاء في كراهية النعي (٢/ ٢٩٦)، وابن ماجه، كتاب الترمذي، باب ذكر الموت والاستعداد له (ح٤٢٦١)، قال عنه الترمذي: حديث غريب وقد روى بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلاً، وحسّنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

لذلك نرى البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ قد بوّب الرجاء مع الخوف، فقال: (باب الرجاء مع الخوف) وذكر حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار»[1].

فيجب على الإنسان أن لا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف، ولا في الخوف عن الرجاء، لئلا يفضي في الأول إلى الكبر، وفي الثاني إلى القنوط، وكل منهما مذموم. والمقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله، ويرجو أن يمحو عنه ذنوبه تفاؤلاً وثقة بالله عَزَّ وَجَلَّ، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجياً عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا غرور[2]، فالراجي مؤمل بفضل ربه، ومحسن الظن به، متعلق بالأمل ببره وجوده، عابد له بأسمائه، وكذلك يقوي فيه عقيدة الصبر عندما يعلم أن بعد الشدة فرجاً، وبعد العسر يسراً، فيصبر على قضاء الله أملاً ورجاءً بالله عَزَّ وَجَلَّ أن يكشف عنه السوء وإن عاقبته الجنة. قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾[3]، وقال: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[4].

والصبر هو حبس النفس عن المكروه، وعقد اللسان عن الشكوى، والمكابدة في تحمله، وانتظار الفرج[5].

والشكوى إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لا تنافي الصبر، فإن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وعد بالصبر الجميل، والنبي لا يخلف وعده، ثم قال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[6]، وإنما ينافي الصبر شكوى الله، لا الشكوى إلى الله، كما رأى بعضهم رجلاً

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف (١١/٣٠١ ـ فتح).
(٢) انظر: فتح الباري (١١/٣٠١).
(٣) سورة الرعد: الآية (٢٤).
(٤) سورة النحل١٢٦).
(٥) انظر: مدارج السالكين (٢/١٥٥)، فتح الباري (١١/٣٠٣).
(٦) سورة يوسف: الآية (٨٦).

يشكو إلى آخر فاقة وضرورة، فقال: يا هذا تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك[1].

فالإنسان عندما يتفاءل حتى عند المصيبة بأن فرج الله قريب، فقد حقق الصبر على المعصية والله عند حسن ظنه.

فالفأل يحيي كثيراً من الأمور العقدية القلبية، لذلك نرى أن الإسلام حارب التشاؤم ونهى عنه دوماً إلى التحلل منه، ودعا إلى التفاؤل في كل الأمور لما له من أثر حميد في المزاج والسلوك، لأن الناس إذا أملوا فائدة الله تعالى ورجوا فائدته عند كل سبب فهم على خير، لأن الله هو الصمد المقصود من الناس جميعاً بالآمال والمطالب، وهو الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، وهو سبحانه يجب أن يكون موضع رجاء المؤمن ودعائه.

وإن كان التشاؤم والتفاؤل كلاهما لا صلة له بالأعمال وإنما أحب الإسلام التفاؤل من حيث أنه نوع من حسن الظن بالله، ولو بغير سبب، وهو من مستحبات الإسلام في كل حال، وأبغض التشاؤم من حيث أنه مظهر لسوء الظن بالخالق بدون ما سبب ظاهر.

فمتى افتقد الشخص هذه الصفة فقد ينشأ عن ذلك أمور عكسية تكون سبباً في تعكير صفو حياته، فتتقاسمه الهموم وتنتابه المخاوف، ويقلق لكل ما حوله ويجزع لكل ما يصيبه.

فيجب على الآباء والأمهات والأساتذة أن يربوا الصغار على التفاؤل، وتعويدهم على أن ينظروا للحياة من زواياها الحسنة ونوافذها المضيئة والثقة بالحاضر والمستقبل.

ومن باب أولى، يجب أن نربي نفوسنا، ونروّض عقولنا على أن تكون دائماً متفائلة وبعيدة عن كل تشاؤم، ونجسم روح التفاؤل في كثير من أعمالنا، وننظر للأمور نظرة أمل وفرح وسرور، لا نظرة تشاؤم وقنوط، فطالما كان التشاؤم سبباً للبشر والكآبة والهموم، فهو ينغص على المرء حياته ويحيل سعادته إلى

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٦١) بتصرف.

شقاء، لذلك يجب علينا دائماً أن نتذكر قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1]، فكم في هذا القول من توجيه كريم، وبرهان عظيم على رجاء الخير دائماً.

وليكن رائدنا ورفيقنا في أيام الشدة والرخاء، وفي العمل والمنزل وفي السفر والإقامة، وفي الصحة والمرض، وفي الفوز والإخفاق.

والله الموفق والهادي إلى أقوم الطريق.

❑ ❑ ❑

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢١٦).

الخاتمة

بعد أن منّ الله تعالى عليَّ بإتمام كتابة موضوع البحث (**الطيرة والفأل، دراسة عقدية**)، أستطيع ـ بتوفيق الله تعالى ـ استخلاص أبرز نقاط البحث، وأهم نتائجه فيما يلي:

١ ـ أن التوحيد عموماً، هو إفراد الله بالعبادة، مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً.

٢ ـ أن التوكل على الله ﷻ حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها، فهي عبارة عن معرفة بالرب وصفاته مع إثبات الأسباب والمسببات مع اعتماد القلب على الله والسكون إليه وحسن الظن بالله والاستسلام له مع التفويض والرضى.

٣ ـ أن التوكل على غير الله يكون شركاً أكبر في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، ويكون شركاً أصغر إذا توكل على غير الله في الأسباب الظاهرة.

٤ ـ اختلاف أحوال الناس مع الأسباب، فهناك من أهمل الأسباب، وهناك من اهتم بالأسباب وترك المسبب، وهناك من أثبت الأسباب مع ملاحظة المسبب.

٥ ـ أن الطيرة كان أصل استعمالها في الطير، ثم استعملت فيما يتطير به من السوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرها.

٦ ـ أن الشؤم يطلق على كل ما يكره ويخاف عاقبته.

٧ ـ أن العرب تشاءموا بجميع نواحي الحياة، بالحيوان والألفاظ، والأيام، والأحداث، والحركات، ولكن لم يكن كل العرب يتشاءم، فهناك من لا يكترث بالطير ويستهزئ بمن يكترث به.

٨ ـ أن الصفر يراد به ـ والله أعلم ـ ثلاثة معاني، وهي الحية التي يخافون منها

أن تعدو فتشاءموا منها، والنسيء في الشهور، والتشاؤم بشهر صفر.

٩ ـ أن الاستدلال على الحوادث بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها هو شرك، حتى وإن قال: أن ذلك بتقدير الله ﷻ.

١٠ ـ ولع العرب بالتأثر، فتشاءموا بالهامة وقالوا بوجودها.

١١ ـ صدق بعض أحداث التطير لا يعني صدق الطيرة، فقد يوافق قول العراف قضاء الله وقدره.

١٢ ـ أن الطيرة ما زالت موجودة حتى الوقت الحاضر بالرغم من تحريم النبي ﷺ لها، وكذلك بالرغم من الوصول للدرجة الكبيرة من العلم.

١٣ ـ عدم معرفة كثير من الناس لحكم الطيرة، وأنها قد تصل إلى الشرك الأكبر، فأقصى ما يعتقده البعض أنها قد تكون محرمة (فقط).

١٤ ـ أن الله لم يحك التطير في القرآن إلا عن أعداء الرسل، وبيان الرسول ﷺ لحكم الطيرة بصريح الأحاديث الصحيحة وأنها من الشرك.

١٥ ـ أن الطيرة تكون شركاً أكبر، إذا اعتقد أن هذه الأشياء فاعلة، أو سبب مؤثر في جلب النفع أو دفع الضرر، وتكون شركاً أصغر، إن كانت بالأقوال أو الأفعال أو اعتقد بالمقارنة بينها وبين ما يتوقعه من نافع أو ضار.

١٦ ـ أن الطيرة نوع من أنواع السحر فهي من الجبت.

١٧ ـ أن الطيرة بمعنى الشؤم الذاتي والنحوسية الخلقية منفية، إنما الشؤم المثبت هو ما يلحق من المضار أحياناً (في المرأة ـ والدار ـ والفرس) بسبب هذه المرأة العاصية، أو الدار الضيقة، أو الفرس التي لا يغزى عليها، وليس لشؤم ذاتي والله أعلم.

١٨ ـ أن معنى الطيرة على من تطير، أي آثم من تطير بعد علمه بنهي الرسول ﷺ عنها، فقد يكون من باب المحاكاة وليس معناها إثبات الطيرة.

١٩ ـ أن الإسلام عندما نهى عن الطيرة لم يتركها بلا علاج، بل سدّ الذرائع

التي توصل إليها عن طريق بعض الأدوية، منها التوكل، وفعل الأسباب المباحة، حسن الظن بالله ﷻ، والدعاء وغير ذلك.

٢٠ ـ أن الفأل هو ترجيح أسباب النجاح في عمل من الأعمال وتأميل الخير، ومن شروطه أن لا يقصد لذاته إنما يأتي تلقائياً.

٢١ ـ أن هناك فرقاً بين الفأل والطيرة.

٢٢ ـ أن الفأل موجود أيضاً في العرب منذ القديم، وما زال موجوداً حتى الوقت الحاضر، ولكن خالطه بعض التطير.

٢٣ ـ أن القرآن لم يذكر لفظة الفأل، وإنما حث عليها بألفاظ أخرى كالاستبشار وعدم القنوط واليأس والسنّة حثّت عليها.

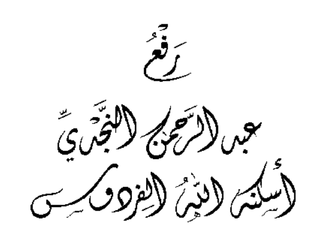
٢٤ ـ أن للفأل أثر كبيرٌ في حياة الناس، لذلك أباحته الشريعة الإسلامية السمحة.

وفي ختام هذا البحث، أتوجه إلى الله العلي القدير، أن يجعل هذا العمل في ميزان أعمالي الصالحة يوم القيامة، وأن يغفر لي كل خطأ أو سهو أو تقصير، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❑ ❑ ❑





فهرس المصادر والمراجع[1]

١ ـ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو الجهمية والمعطلة: لابن القيم، دار المعرفة.
٢ ـ الأحاديث القدسية: دار الحكمة للطباعة والنشر، دمشق.
٣ ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: للإمام علاء الدين علي بن سليمان الفارسي، تحقيق وتخريج الأحاديث شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، (١٣١٢هـ).
٤ ـ أحكام القرآن: لأبي بكر أحمد الجصاص، مطبعة الأوقاف الإسلامية، القسطنطينية، (١٣٣٥هـ).
٥ ـ أدب الدنيا والدين: لأبي الحسين علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦ ـ الآداب الشرعية والمنح المرعية: لابن مفلح، مطبعة المنار بمصر، ط١، (١٣٤٩هـ).
٧ ـ الآداب: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٦هـ).
٨ ـ الأدب المفرد: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، خرّج أحاديثه ووضع فهارسه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩ ـ أديان العرب قبل الإسلام: تأليف القس جرجس داود، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، بيروت، (١٩٨٢م).
١٠ ـ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد: تأليف صالح بن فوزان الفوزان، دار ابن خزيمة، ط١، (١٤١٤هـ).
١١ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: تأليف محمد ناصر الدين الألباني، بإشراف محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، (١٣٩٩هـ).
١٢ ـ أساس البلاغة: للزمخشري، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٣٨٥هـ).

---

(١) كل المراجع التي لم أذكر سنة طباعتها، أو من طبعه، فإني لم أقف على ذلك ضمن معلومات المرجع الطباعية.

١٣ ـ الاستيعاب: لابن عبد البر.
١٤ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة: لعز الدين بن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٥ ـ الإسلام وتقاليد الجاهلية: تأليف آدم الألوري.
١٦ ـ الإصابة في تمييز الصحابة: للحافظ ابن حجر العسقلاني، مطبعة السعادة بمصر، ط١، (١٣٢٨هـ).
١٧ ـ أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري: للإمام حمد بن محمد الخطابي، تحقيق محمد بن سعد آل سعود، أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة.
١٨ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن القيم الجوزية، تحقيق عصام الدين الصباطي، دار الحديث، ط١، (١٤١٤هـ).
١٩ ـ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٠، (١٩٩٢م).
٢٠ ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: لابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق مجد فتحي السيد، دار الحديث.
٢١ ـ الأغاني: تأليف أبي الفرج الأصفهاني، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت.
٢٢ ـ إفادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: تأليف عبد الرحمن الجطيلي، دار اللواء للنشر والتوزيع، (١٤٠٣هـ).
٢٣ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: تأليف الإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق وتعليق د.ناصر بن عبد الكريم العقل، ط١، (١٤٠٤هـ).
٢٤ ـ الألوهية في العقائد الشعبية على ضوء الكتاب والسنّة: تأليف عبد السلام البسيوني، دار الإيمان.
٢٥ ـ أمثال الشعر العربي: لعائق غيث البلادي، دار مكة للنشر والتوزيع، ط١، (١٤٠٩هـ).
٢٦ ـ الإيضاحات السلفية لبعض المنكرات والخرافات الوثنية: للشيخ عبد الله بن سعدي الغامدي، مكتبة الطرفين، ط١٢، (١٤١٢هـ).
٢٧ ـ الإيمان: تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية.
٢٨ ـ الإيمان وآثاره والشرك ومظاهره: تأليف زكريا علي يوسف، مكتبة السلام العالمية، القاهرة، ط٢.

٢٩ ـ البحر الزاخر المعروف بمسند البزار: لأبي بكر أحمد بن عمرو عبد الخالق، مؤسسة علوم القرآن.
٣٠ ـ البحر المحيط في أصول الفقه: للزركشي، قام بتحريره عبد القادر عبد الله، وراجعه عمر الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط٢، (١٤١٣هـ).
٣١ ـ البحر المحيط وبهامشه تفسيران جليلان: لأبي حيان، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.
٣٢ ـ بدائع الفوائد: للإمام أبي عبد الله، المعروف بابن القيم الجوزية، تحقيق معروف مصطفى رزيق، دار الخير، ط١، (١٤١٤هـ).
٣٣ ـ البداية والنهاية: للحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق أبو ملحم وآخرون، دار الريان للتراث.
٣٤ ـ بذل المجهود في حل سنن أبي داود: للشيخ أحمد الهارتقوري، مع تعليق للشيخ محمد الكاندهلوي، دار الكتب العلمية العامة.
٣٥ ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: تأليف محمود شكري الألوسي، عنيَ بشرحه وتصحيحه محمد بهجة الأثري، منشورات ابن رمح، بيروت.
٣٦ ـ بلوغ المرام من أدلة الأحكام: للإمام الحافظ أحمد بن حجر، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتاب العربي.
٣٧ ـ البيان والتبيين: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، بتحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، (١٣٨٠هـ).
٣٨ ـ تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مكتبة التراث العربي، الكويت، (١٣٨٧هـ).
٣٩ ـ التاريخ الكبير: تأليف الحافظ النقاد أبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
٤٠ ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها وحتى سنة ٤٦٣هـ: للبغدادي، دار الفكر.
٤١ ـ تأويل مختلف الحديث: للإمام ابن قتيبة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٤٢ ـ تحفة الأحوذي: دار الكتب العلمية، ط١، (١٤٠٦هـ).
٤٣ ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: لجمال الدين المزي، تصحيح وتعليق عبد الصمد شرف الدين، طبعة أولى.
٤٤ ـ تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: للعراقي، وابن السبكي والزبيدي، استخراج أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد، دار العاصمة للنشر، الرياض.

٤٥ ـ تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد: للبهلال، دار الأثر، ط١، (١٤١٥هـ).

٤٦ ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: لجلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب الحديثة، ط٢، (١٣٨٥هـ).

٤٧ ـ تذكرة الحفاظ: شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٨ ـ الترغيب والترهيب: للمنذري، تحقيق محيي الدين وآخرون، دار ابن كثير، ط١، (١٤٠٦هـ).

٤٩ ـ تطهير الجنان والأركان عن أعداء الشرك والكفران: تأليف أحمد بن حجر آل بوطامي، دار الحكمة، الكويت، ط٢، (١٣٩٢هـ).

٥٠ ـ تفسير القرآن العظيم: تأليف أبي الفداء ابن كثير القرشي الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، (١٤١٥هـ).

٥١ ـ التفسير الكبير: للفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، ط٢.

٥٢ ـ تقريب التهذيب: تأليف ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة.

٥٣ ـ تلبيس إبليس: للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي، عنيت بنشره والتعليق عليه إدارة الطباعة المنيرية، مكتبة المتنبي، دار العلوم الحديثة، بيروت.

٥٤ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: تأليف أبي عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (١٤١٠هـ).

٥٥ ـ التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية: تأليف عبد العزيز ناصر الرشيد، مطبعة الإمام، القاهرة، (١٣٧٧هـ).

٥٦ ـ تهذيب الآثار: لأبي جعفر الطبري، تخريج محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، مصر.

٥٧ ـ تهذيب التهذيب: للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، (١٤٠٤هـ).

٥٨ ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: تأليف الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، ط٧، (١٤٠٨هـ).

٥٩ ـ تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير: اختصره وعلق عليه محمد نسيب الرفاعي، مكتبة المعارف، الرياض، (١٤١٠هـ).

٦٠ ـ تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول: تأليف عبد الرحمن بن علي، المعروف بابن الربيع، دار المعرفة، (١٣٩٧هـ).

٦١ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول: تأليف ابن الأثير الجزري، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحواني.
٦٢ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر.
٦٣ ـ الجامع الفريد: لعدد من أئمة الدعوة، دار الأصفهاني للطباعة، كدا، ط٢.
٦٤ ـ الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي، دار الفكر، عمان، ط١، (١٤٠٨هـ).
٦٥ ـ الجامع لشعب الإيمان: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق د. عبد العلي الحميد حامد، الدار السلفية بومباي، الهند، ط١، (١٤٠٧هـ).
٦٦ ـ الجرح والتعديل: للرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٣٧١هـ).
٦٧ ـ جمهرة أنساب العرب: لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٣هـ).
٦٨ ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق محمد عون، مكتبة المؤيد، ط١، (١٤٠٩هـ).
٦٩ ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية: لأبي الوفاء القرشي، تحقيق وتعليق د. عبد الفتاح الحلو، دار العلوم، الرياض، ط١، (١٤٠٨هـ).
٧٠ ـ حاشية كتاب التوحيد: بقلم عبد الرحمن بن قاسم العاصي النجدي، ط٣، (١٤٠٨هـ).
٧١ ـ حقائق وغرائب: تأليف محمد العزب موسى، مكتب مدبولي، القاهرة.
٧٢ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، (١٩٨٥م).
٧٣ ـ الحياة العربية من الشعر الجاهلي: تأليف د. أحمد محمد الحوفي، دار العلم، بيروت، لبنان.
٧٤ ـ الحيوان: لأبي عثمان بن عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث.
٧٥ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة.
٧٦ ـ الداء والدواء: لابن قيم الجوزية، تقديم محمد جميل غازي، المكتبة التجارية.
٧٧ ـ الديباج المذّهب في طبقات أعيان علماء المذهب: لبرهان الدين إبراهيم بن علي اليعمري، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٧٨ ـ الدر النضيد على أبواب التوحيد: تأليف سليمان بن عبد الرحمن الحمدان، المطبعة السلفية، ط١، (١٣٩٦هـ).
٧٩ ـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية: تأليف عبد الرحمن قاسم العاصي، دار الإفتاء، المملكة العربية السعودية، ط١، (١٣٨٥هـ).
٨٠ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: تأليف شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، ط٢، (١٣٨٥هـ).
٨١ ـ دعوة التوحيد: تأليف محمد خليل هراس، مطبعة الإمام، القاهرة.
٨٢ ـ دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية: جمع وتقديم وتحقيق محمد السيد، دار الأنصار، القاهرة، ط١، (١٣٩٨هـ).
٨٣ ـ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: تأليف محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي، وضع بأعلى الصحائف كتاب رياض الصالحين للنووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٨٤ ـ ديوان حسان بن ثابت: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.
٨٥ ـ ديوان المفضليات، وهي نخبة من قصائد المقلين في الجاهلية وأوائل الإسلام: لأبي العباس المفضل الضبي، مع شرح وافر، لأبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، تحقيق أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، المعارف بمصر، ط٤.
٨٦ ـ ديوان النابغة: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.
٨٧ ـ ديوان امرؤ القيس: دار بيروت للطباعة والنشر، (١٣٩٢هـ).
٨٨ ـ ذيل طبقات الحنابلة على طبقات الحنابلة: لابن رجب، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع.
٨٩ ـ الرد على شبهات المستعينين بغير الله: تأليف أحمد بن إبراهيم بن عيسى الحنبلي النجدي، اعتنى بنشرها وتصحيحها عبد السلام بن برجس، (١٤٠٩هـ).
٩٠ ـ الرسالة التدمرية: تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية.
٩١ ـ رسالة الشرك ومظاهره: تأليف مبارك بن محمد الميلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مركز شؤون الدعوة، ط٢، (١٤٠٨هـ).
٩٢ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل شهاب الدين الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٩٣ ـ رياض الصالحين: للإمام النووي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٣، (١٤٠٦هـ).

٩٤ ـ زاد المسير في علم التفسير: للإمام أبي فرج عبد الرحمن بن الجوزي، المكتب الإسلامي.

٩٥ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد: لابن القيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٥، (١٤١٢هـ).

٩٦ ـ سد الذرائع في الشريعة الإسلامية: تأليف محمد هشام البرهاني، مطبعة الريحاني، بيروت، ط١، (١٤٠٦هـ).

٩٧ ـ السلسلة الضعيفة وأثرها في الأمة: تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط١، (١٣٩٩هـ).

٩٨ ـ السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢، (١٣٩٩هـ).

٩٩ ـ السنّة: لأبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنّة، بقلم محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط١، (١٤٠٠هـ).

١٠٠ ـ سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي.

١٠١ ـ سنن أبو داود: للإمام أبي داود سليمان الأشعث السجستاني، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، نشر وتوزيع محمد علي السيد، حمص.

١٠٢ ـ السنن الكبرى: لللإمام أبي بكر أحمد بن الحسين علي البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٣ ـ سنن النسائي: اعتنى بها أبو غدة، ط٢، (١٤٠٩هـ).

١٠٤ ـ سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٧، (١٤١٠هـ).

١٠٥ ـ سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي: لعيسوي، طبعة دار النهضة، بيروت.

١٠٦ ـ شذرات الذهبي في أخبار من ذهب: لعبد الحي العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٨، (١٤٠٤هـ).

١٠٧ ـ شروح السنّة: لابن خلف البربهاري، تحقيق محمد بن سعيد القحطاني، ط١، (١٤١٤هـ) رمادي.

١٠٨ ـ شرح السنّة: للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق وتعليق وتخريج شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي.

١٠٩ ـ شرح ديوان امرؤ القيس ومعه أخبار المراقشة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام: تأليف حسن السندوي، المكتبة الثقافية، بيروت.

١١٠ ـ شرح صحيح مسلم: للنووي، دار الفكر.
١١١ ـ شرح عقيدة أهل السنّة: للإمام الأصفهاني أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل، تحقيق ودراسة محمد بن ربيع، دار الراية للنشر والتوزيع.
١١٢ ـ شرح معاني الآثار: للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية.
١١٣ ـ شعب الإيمان: للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية.
١١٤ ـ الشعر والشعراء: تأليف ابن قتيبة، تحقيق د. مفيد قمحية، راجعه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (١٤٠٥هـ).
١١٥ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا: تأليف أحمد بن علي القلقشندي، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ).
١١٦ ـ صحيح ابن خزيمة: للإمام أبي بكر إسحاق بن خزيمة، تحقيق وتعليق وتخريج د. محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية، ط٢، (١٤٠١هـ).
١١٧ ـ صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان: تأليف محمد السهسواني، مطابع القصيم، الرياض، ط٤، (١٣٨٦هـ).
١١٨ ـ ضعيف الجامع الصغير وزيادة الفتح الكبير: تأليف محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢، (١٣٩٩هـ).
١١٩ ـ ضعيف سنن الترمذي، ضعف أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على استخراجه وطباعته والتعليق عليه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط١، (١٤١١هـ).
١٢٠ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: تأليف شمس الدين حمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
١٢١ ـ طبقات الحنابلة: للشاطبي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، دار الباز للنشر والتوزيع.
١٢٢ ـ طبقات الشافعية: لأبي بكر أحمد بن قاضي شهبة الدمشقي، تعليق الحافظ عبد العليم خان، دار الندوة الجديدة، بيروت، (١٤٠٧هـ).
١٢٣ ـ طبقات الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحي، مع مقدمة تحليلية للكتاب، إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت.
١٢٤ ـ الطبقات الكبرى: لابن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر.

١٢٥ ـ طبقات المدلسين: ابن حجر العسقلاني، وأسماء المدلسين، للسيوطي، تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب، دار الصحوة للنشر، ط١، (١٤٠٧هـ).
١٢٦ ـ طبقات المفسرين: للحافظ شمس الدين محمد بن علي الداوودي، راجعه لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٣هـ).
١٢٧ ـ طبقات النحويين واللغويين: لأبي بكر محمد بن الحسين الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف، ط٢.
١٢٨ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين: لابن قيم الجوزية، تحقيق أبي حفص، دار الحديث، القاهرة.
١٢٩ ـ الطير في حياة الحيوان: للجميري، تحقيق عزيز العلي الغربي، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، ط١، (١٩٨٦م).
١٣٠ ـ عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي: للإمام ابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي.
١٣١ ـ العقائد السلفية شرح الدرر السنية: تأليف أحمد بن حجر آل بوطامي، بيروت، ط١، (١٩٧٠م).
١٣٢ ـ علم أصول الفقه: تأليف عبد الوهاب خلاف، دار القلم، الكويت، ط١٧، (١٤٠٨هـ).
١٣٣ ـ علماء نجد خلال ستة قرون: لعبد الله بن عبد الرحمن البسام، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط١، (١٣٩٨هـ).
١٣٤ ـ علماء ومفكرين عرفتهم: لمحمد مجذوب، دار الثقافي، بيروت، ط١، (١٣٩٧هـ).
١٣٥ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: لابن رشيق، دار الجيل، بيروت.
١٣٦ ـ عمل اليوم والليلة: للنسائي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، (١٤٠٨هـ).
١٣٧ ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود: للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي، مع شرح الحافظ ابن القيم، تحقيق عبد الرحيم محمد عثمان، الناشر محمد عبد المحسن، المدينة المنورة.
١٣٨ ـ عيون الأخبار: لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٣٩ ـ غاية النهى في طبقات القراء: لابن الأثير، عُنِيَ بنشره ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤٠ ـ غريب الحديث: للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق عبد الكريم العزباوي، دار الفكر، دمشق، (١٤٠٢هـ).

١٤١ ـ الفتح الرباني مع مختصر بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني: تأليف أحمد عبد الرحمن البنا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
١٤٢ ـ فتح القدير: تأليف محمد بن علي الشوكاني، دار إحياء التراث، بيروت.
١٤٣ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، دار اليقين للنشر والتوزيع.
١٤٤ ـ الفتوحات الربانية على الأذكار النووية: محمد بن علان الشافعي، دار إحياء التراث.
١٤٥ ـ الفرق بين الفرق: للعالم عبد القاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني، تحقيق محمد محيي الدين عبد المجيد، المكتبة العصرية، (١٤١١هـ).
١٤٦ ـ الفروق: للإمام شهاب الدين أبي العباس المشهور بالقرافي، وبهامشه تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية، عالم الكتب، بيروت.
١٤٧ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل: للإمام أبي محمد علي بن أحمد، المعروف بابن حزم الظاهري، دار المعرفة، بيروت، (١٤٠٦هـ).
١٤٨ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن حجر، رقّمه وكتب أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيحه محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٤٩ ـ الفوائد: للإمام شمس الدين بن أبي بكر بن القيم الجوزية، دار الفكر، (١٤٠٨هـ).
١٥٠ ـ في ظلال القرآن: تأليف سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٧، (١٣٩١هـ).
١٥١ ـ فيض القدير: تأليف محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت.
١٥٢ ـ قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين: وهو تعليق للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب، على كتاب التوحيد، مكتبة الرياض الحديثة.
١٥٣ ـ القضاء والقدر: لابن تيمية، تعليق د. أحمد عبد الحليم، ود. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، (١٤١١هـ).
١٥٤ ـ القاموس المحيط: تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة.
١٥٥ ـ القول السديد في مقاصد التوحيد: للعلامة عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض، ط٢، (١٣٨٤هـ).

١٥٦ ـ الكامل في التاريخ: لأبي الحسن محمد بن محمد القباني المعروف بابن الأثير، عني بمراجعته نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، (١٤٠٣هـ).
١٥٧ ـ كتاب التوحيد الذي على حق الله في العبيد: تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب، علق عليه أحمد شاكر، خرّج أحاديثه إبراهيم الحازمي، دار الشرق، الرياض، (١٤١٤هـ).
١٥٨ ـ كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ، صفاته على الاتفاق والتفرد: تأليف الإمام أبي عبد الله بن محمد بن حمندة، حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه.
١٥٩ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: لإسماعيل العجلوني، دار زاهد القدسي، القاهرة.
١٦٠ ـ الكلام الطيب: للألباني.
١٦١ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان إماما المحدثين أبو عبد الله محمود بن إسماعيل البخاري، وأبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري: وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث، ط١، (١٤٠٧هـ).
١٦٢ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
١٦٣ ـ لبيد بن ربعية العامري: تأليف د. يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت ط٣، (١٩٨٣م).
١٦٤ ـ لسان العرب: للإمام العلامة ابن منظور، تنسيق وتعليق علي سيبة، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، ط٢١، (١٤١٢هـ).
١٦٥ ـ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: لأبي الفرج بن رجب الحنبلي، تحقيق ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، ط١، (١٩٨٣م).
١٦٦ ـ لوامع الأنوار البهية: للعلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي، الرياض، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، (١٤١١هـ).
١٦٧ ـ مجلة البحوث العلمية: مجلة دورية، تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، عدد ٢٧، (١٤١٠هـ).
١٦٨ ـ مجمع الأمثال: لأبي الفضل حمود بن أحمد الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (١٣٧٤هـ).
١٦٩ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، (١٤٠٦هـ).

١٧٠ ـ مجمل اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، اللغوي، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٠٤هـ).
١٧١ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، وساعده ابنه محمد، دار الرحمة، القاهرة.
١٧٢ ـ مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: تأليف، الشيخ عبد العزيز بن باز، جمع وإشراف د. محمد بن سعد الشويعر، دار أولي النهى، (١٤١٣هـ).
١٧٣ ـ المحلى: لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم، طبعه وصححه وقابله الشيخ أحمد شاكر، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.
١٧٤ ـ محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية: لبطرس البستاني، مكتبة لبنان.
١٧٥ ـ مختار الصحاح: تأليف محمد بن بكر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، (١٩٧٩م).
١٧٦ ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط١، (١٤١٠هـ).
١٧٧ ـ المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنّة والجماعة: تأليف د. إبراهيم بن محمد البركيان، دار السنّة للنشر والتوزيع، ط٢، (١٤١٥هـ).
١٧٨ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: للعلامة علي بن سلطان القاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٧٩ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر: تصنيف أبي الحسن علي بن الحسين السعودي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
١٨٠ ـ مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية: تأليف محمد بن عبد الوهاب، بشرح السيد محمود الألوسي، دار الوطن، ط٣، (١٤٠٨هـ).
١٨١ ـ المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة: جمع وتحقيق ودراسة عبد الله بن سلمان بن سالم الأحمدي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، (١٤١٢هـ).
١٨٢ ـ المستدرك على الصحيحين: للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، بذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
١٨٣ ـ المستقصي في الأمثال العربية القديمة: تأليف د. عفيف عبد الرحمن، دار العلوم، ط١، (١٤٠٥هـ).

١٨٤ ـ مسند أبي داود الطيالسي: للحافظ الكبير سليمان بن داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٨٥ ـ مسند الإمام أحمد: بتحقيق أحمد شاكر توزيع دار المعارج الدولية، الرياض.
١٨٦ ـ المسند للإمام أحمد بن حنبل: المكتب الإسلامي.
١٨٧ ـ مشكاة المصابيح: تأليف محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، (١٣٩٩هـ).
١٨٨ ـ مصابيح السنّة: للإمام محيي السنّة أبي محمد بن الحسين البغوي، تحقيق د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٨٩ ـ مصابيح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: دراسة وتقديم كمال الحدث، دار الجنان، ط١، (١٤٠٦هـ).
١٩٠ ـ المصباح المنير: للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار القلم، بيروت.
١٩١ ـ المصنف: للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق وتعليق وتخريج حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي.
١٩٢ ـ معارج القبول بشرح سلم الأصول إلى علم الأصول في التوحيد: تأليف الشيخ الحافظ أحمد الحكمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٩٣ ـ معالم السنن: للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، وهو شرح سنن الإمام أبي داود، المكتبة العلمية، بيروت، ط٢، (١٤٠١هـ).
١٩٤ ـ معجم البلدان: لياقوت الحموي، دار الفكر، ط٣، (١٤٠٠هـ).
١٩٥ ـ معجم الأمثال العربية القديمة: د. عفيف عبد الرحمن، دار العلوم، (١٤٠٥هـ).
١٩٦ ـ المعجم الفلسفي: تأليف د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، (١٩٧٩م).
١٩٧ ـ المعجم الفلسفي: صادر عن مجمع اللغة العربية، عالم الكتب، بيروت.
١٩٨ ـ المعجم الكبير: للطبراني، حققه وخرّج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
١٩٩ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: تأليف ج.ب. منسنج وآخرون، ترجمة د. أحمد الطيب، دار الدعوة، إستانبول.
٢٠٠ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الجيل، بيروت، (١٤٠٨هـ).
٢٠١ ـ المعجم الموضوعي لآيات القرآن: تأليف صبحي عبد الرؤوف، دار الفضيلة.

٢٠٢ ـ معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٠٣ ـ المعجم الوسيط: قام بإخراجه عدة من العلماء، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، عن مجمع اللغة العربية، مطبعة مصر، (١٣٨١هـ).
٢٠٤ ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط٥، (١٤٠٥هـ).
٢٠٥ ـ معجم متن اللغة: موسوعة لغوية حديثة، للعلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (١٣٧٨هـ).
٢٠٦ ـ معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسن بن فارس، مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٠٤هـ).
٢٠٧ ـ المعلم بفوائد مسلم: للإمام أبي عبد الله بن علي المازري، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي، دار الغرب الإسلامي
٢٠٨ ـ المغني: لابن قدامة، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، (١٤١١هـ).
٢٠٩ ـ مفتاح دار السعادة: لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية.
٢١٠ ـ مفردات القرآن: للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط١، (١٤١٢هـ).
٢١١ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: تأليف د. جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، (١٩٧٠م).
٢١٢ ـ مقالات الإسلاميين: للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، (١٤٠٥هـ).
٢١٣ ـ المقدمة: للعلامة ابن خلدون، من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، دار العودة، بيروت، (١٩٨٨م).
٢١٤ ـ المقصد العلي في زوائد أبو يعلى الموصلي: تأليف نايف بن هاشم الدعيس، الناشر: تهامة، جدة.
٢١٥ ـ الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
٢١٦ ـ المنامات: لابن أبي الدنيا، تحقيق حمدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن.
٢١٧ ـ المنتقى شرح موطأ الإمام مالك: للإمام البلتاجي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت.

٢١٨ ـ المنتقى من الترغيب والترهيب للمنذري: ليوسف القرضاوي، من منشورات مركز بحوث السنّة والسيرة.
٢١٩ ـ المنجد في اللغة والأعلام: منشورات دار الشروق، بيروت، ط٢٨.
٢٢٠ ـ منهاج السنّة النبوية: للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر، ط١٠، (١٤٠٦هـ).
٢٢١ ـ منهاج شعب الإيمان: تصنيف الإمام الحافظ أبي عبد الله الحسين بن الحسم الحلمي، تحقيق حلمي محمد فودة، ط١، (١٣٩٩هـ).
٢٢٢ ـ المهذب في اختصار السنن الكبرى: للإمام الحافظ أحمد بن الحسين بن علي الهيثمي، اختصار محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق وتعليق حامد إبراهيم محمد حسين، الناشر: زكريا علي يوسف.
٢٢٣ ـ الموافقات في أصول الأحكام: للحافظ أبي إسحٰق إبراهيم بن موسى اللخمي، الشهير بالشاطبي، علق عليه محمد حسنين مخلوف، دار الفكر.
٢٢٤ ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: للحافظ نور الدين علي أبي بكر الهيثمي، تحقيق ونشر محمد عبد الرزاق، دار الكتب العلمية.
٢٢٥ ـ موسوعة الفرق الإسلامية: د. محمد جواد مشكور، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، ط١، (١٤١٠هـ).
٢٢٦ ـ موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية: عبد المنعم الخفي، دار الرشد، ط١، (١٤١٣هـ).
٢٢٧ ـ الموسوعة الفقهية: إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، (١٤٠٣هـ).
٢٢٨ ـ الموطأ للإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: صححه ورقّمه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، إعداد أحمد راتب عرموش، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط٧، (١٤٠٤هـ).
٢٢٩ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال: تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي محمد البجادي، دار الفكر.
٢٣٠ ـ النبوات: للإمام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دراسة وتحقيق محمد عبد الرحمن عوض، الناشر دار الكتاب العربي، ط١، (١٤٠٥هـ).
٢٣١ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب: تأليف شهاب الدين النويري، مطابع كدستاتسوماس وشركاه.

٢٣٢ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين المبارك الجزري ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار الفكر للطباعة والنشر.

٢٣٣ ـ النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد: جاسم الفهيد الدوسري، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، (١٩٨٤م).

٢٣٤ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأحمد بن خاقان، تحقيق محمد محيي الدين، مطبعة السعادة، مصر، (١٣٦٧هـ).

الدوريات:

١ ـ مجلة الإسلام.

٢ ـ مجلة البحوث الإسلامية.

٣ ـ مجلة العربي.

٤ ـ المجلة العربية.



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الباب الأول
(الطيرة وأحكامها)
وفيه فصول

الموضوع	الصفحة

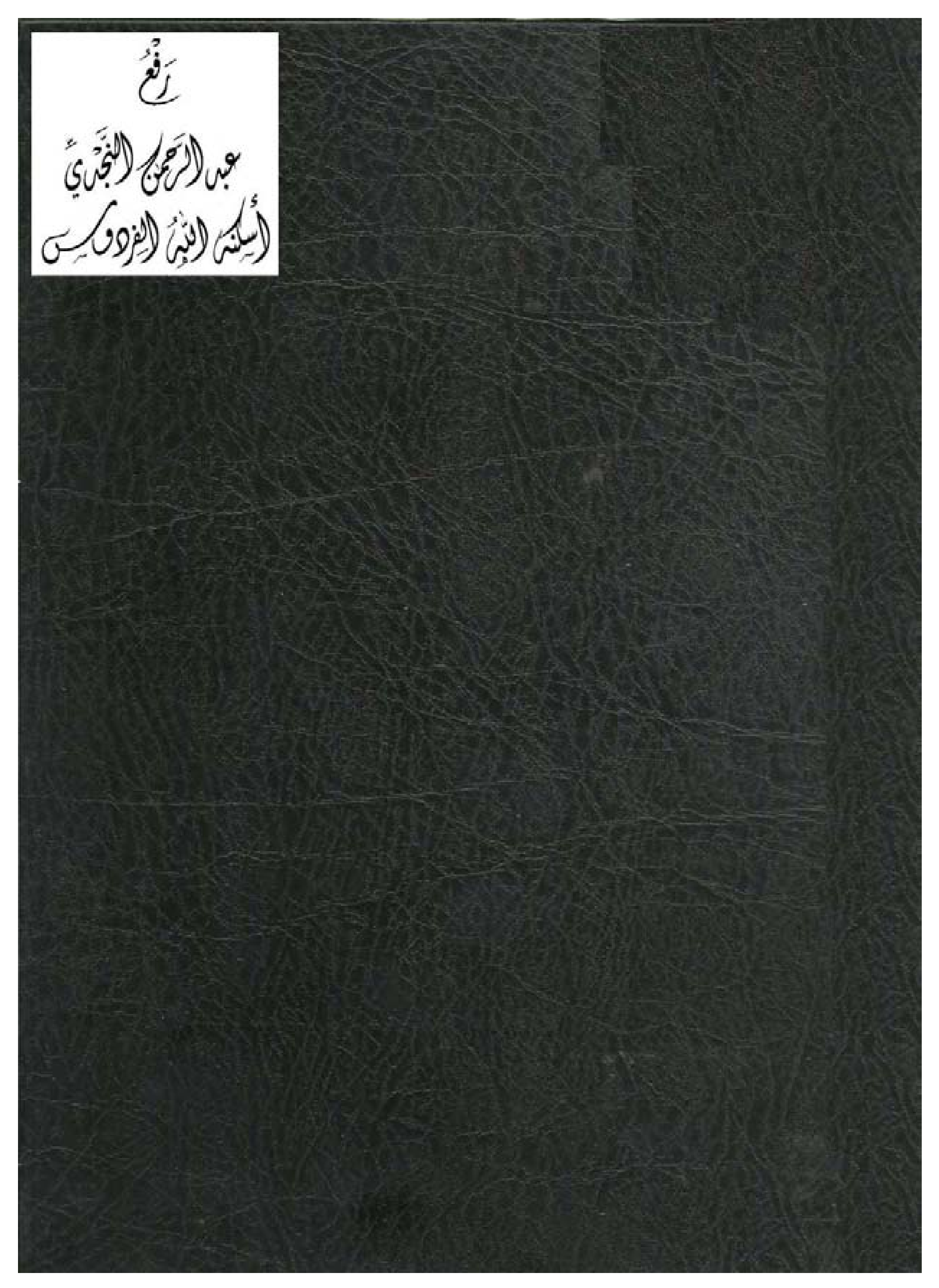
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الثاني

معنى الفأل وحكمه

الموضوع	الصفحة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس